

من النفحات الحرمية

مما استفاده جامع السفينة أيام طلبه للعلم في مكة المكرمة

١٣٧٦هـ - ١٣٨١هـ



جمع وترتيب

الفقير إلى الله تعالى

سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري

عفا الله عنه

الجزء الثاني

قسم التفسير وعلوم القرآن



الفوائد الشاطرية

من النفحات الحرمية

الجزء الثاني

قسم التفسير وعلوم القرآن

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م



Tel.: +971 2 559 3007 - Fax: +971 2 559 3027
P.O.Box: 42700 - Abu Dhabi - U.A.E.
E-mail: letters@eim.ae



الفوائد الشاطرية

من النفحات الحرمية

الجزء الثاني

من السفينة وعلوم القرآن البالغة نحو عشرين مجلداً في ثمانية وعشرين علماً

قسم التفسير وعلوم القرآن

مما استفاده جامع السفينة من دروس

السيد العلّامة علوي بن عباس المالكي (رحمه الله تعالى)

أيام طلبه للعلم في مكة المكرمة من سنة ١٣٧٦ هـ إلى سنة ١٣٨١ هـ

ومما استفاده من رباط تريم وعدن والمطالعات

جمع وترتيب

الفقير إلى الله تعالى

سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري

عفا الله عنه


حروف للنشر والتوزيع





تفسير

سورة الفرقان

الدرس السابع والسبعون[1]

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان].

هذه السورة المباركة تُسمى سورة الفرقان، والفرقان من أسماء القرآن، وإنما سمي القرآن بالفرقان؛ لأنه فارق بين الحق والباطل، فقبل نزول القرآن التبس الحق بالباطل، فاعتقد قوم الحق باطلاً، والباطل حقاً، فلما جاء الله بالفرقان فرّق بين الحق والباطل، ولهذا لما دخل ﷺ يوم الفتح الأعظم، وجاء البيت الحرام قال: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] فهذا دليل ظاهر على أن القرآن لا شك أن

---

(١) كتب هذا الدرس ليلة الخميس ١٨/٨/١٣٧٨هـ.



الله تعالى فرق به ما بين الحق والباطـل، ولذا قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦] فالفرقان هو القرآن.

وهذه السورة تشـتمل على أحكام التوحيد، وعلى ذكر الدفاع عن مقام النبوة والرسالة، والرد على أقوال المشركين.

وهي سورة مكية، والمراد بالمكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة.

والقرآن مائة وأربع عشرة سورة، منها ثلاثون أو ثمانية وعشرون من المدني، والباقي مكي، فثلثا القرآن مكـي، وثلثه مدني؛ لأن النبي ﷺ أُنزل عليه القرآن وهو في أربعين سنة، ومكث في مكة ثلاث عشرة سنة ينزل عليه القرآن، ثم سافر إلى المدينة ومكث عشر سنين.

فالسـور المكية تتضمن الحث على مكارم الأخـلاق، والرد على الكفار المشركين الذين كانوا يستهزؤون بالله واليوم الآخر.

أما السور المدنية فهي تتعلق بالأحكام وأدلتها؛ لأن غالب الفروع من الصيام والحج وأكثر الفروع الشرعية إنما نزلت بالمدينة، ففيها شرع الأذان والزكاة والصيام والحج، وبُيِّنَتْ فروع الإسلام من المعاملات والآداب.

وهذه السـورة مكية، وعدد آياتها سبع وسبعون آية، إلا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٨] فهـذه الآيات إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠] نزلـت بالمدينة، وما قبلها وما بعدها نزلت بمكة.

والحكم على السورة بأنها مكية أو مدنية العبرة فيه بغالب الآيات.

قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تَبَارَكَ﴾ أي: تعاظم وتعالى الإله الحق ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ الفارق ما بين الحق والباطل، وإنما قال: ﴿نَزَّلَ﴾ ولم يقل أنزل؛ لأن أنزل يستعمل غالباً فيما أنزل جملة واحدة، وأما نزّل فيستعمل فيما أنزل مرتبا، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]، فالقرآن يقال فيه غالباً نزل، وقد يقال أنزل، ولما أنزل القرآن مرتباً، قالت اليهود لِمَ لَمْ ينزل القرآن دفعة واحدة، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾ أي: تنزه الله في ذاته وصفاته؛ لأنه قديم، وما سواه حادث، فتبارك أي: تعاظم واتصف بكل كمال ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ يعنى به حبيبه ﷺ، ووصفه بالعبودية؛ لأنها أشرف أوصافه عليه الصلاة والسلام، ولهذا قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله**»[1] أو ما هو معناه، فالنبي ﷺ أمر أن لا يُطرىٰ، أي: يرفع فوق مقامه؛ لأن العبد عبد وإن تعالى، والمولى مولى وإن تنزل، ووصفه بأنه عبد الله أشرف أوصافه، ولذا قال: «**فقولوا عبد الله ورسوله**»، ومجنون ليلى لما تفانى في محبتها قال:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦] رقم ٣٤٤٥، وغيره.



ولذا قال القاضي عياض:

ومما زادني شرفاً وتيها ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبيا

ولذا قال ﷺ: «فقولوا عبد الله ورسوله».

وقد وصفه الله بالعبودية في مقام الإسراء والمعراج فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، ووصفه بالعبودية في مقام الإيحاء فقال: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ١٠]، ووصفه بالعبودية في مقام التذكير فقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]،ووصفه بالعبودية في مقام التنزيل فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.

وكان يقول في دعائه: «**اللهم لا تجعلني لغيرك عبداً، ولا تجعل دعائي رداً، ولا تجعل عيشي كداً**».

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ أي: ليكون للعالمين منذراً ومخوفاً لهم من العذاب، فهو ﷺ بشير لمن آمن بالجنة، ونذير لمن كفر بالعقاب.

والملائكة في الأصل ليسوا مكلفين بل إن عبادتهم جبلية، أي: من أصل الطبيعة، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فمنهم الطائف والقائم والراكع والساجد، قال ﷺ: «**أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله...**»[1]، فهم

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب أبواب الزهد باب قول النبي ﷺ: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا) برقم ٢٣١٢.

أرواح مقدسة لا تعصي، ولذا قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾... الآية، فالملائكة ليسوا مكلفين، وعبادتهم من أصل الجبلة، والرسول أرسل إليهم إرسال تشريف لا تكليف، وإلا فإنهم يعبدون الله من أصل الجبلة، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩] الآية أي: من يقل من الملائكة فرضاً وتقديراً إني إله من دون الله فذلك نجزيه جهنم، فهذا تهديد شديد.

وفي ليلة الإسراء والمعراج ما مر بفوج إلا ويردون عليه السلام، ويقولون: وعليك السلام يا رسول الله، فشهدوا له بالرسالة، وما مر بقوم إلا وضحكوا إلا مالكاً فلم يضحك، فقال لجبريل: من هذا؟، فقال: مالك، لم يضحك أبدا، ولو ضحك لأحد لضحك لك؛ لأنه في مقام الجلال، وهو من خشية الله كالسعفة في مهب الريح.

فنبينا رسول العالمين لكن رسالته إلى الإنس والجن رسالة تكليف، وإلى الملائكة رسالة تشريف.

قال تعالى: ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ وهو جمع عالم، وإنما قيل: له عالم؛ لأنه علامة على وجود الله ﷻ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ أي: لم يكن له ولد ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ بل هو المنفرد بالملك والتدبير، وإليه المصير، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض والسماء ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الممكن، وهو الذي يستوي فيه الطرفان، أي: الوجود والعدم، أما الواجب فهو موجود فكيف يوجد، والمستحيل



لا يوجد، فلــو أوجد لأدى إلــى قلــب الحقائق، والوجــود صفة من أوصافــه ﷻ، وكذلك بقية أوصاف الكمال نثبتها لــه ﷻ إثباتاً حقيقياً من غير تعطيل ولا تحريف ولا تكييــف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشــورى: ١١]، فلا نثبت له صفة لم يثبتها لنفسه، فَنَصِفُ الله بكل كمال، وننزّهه عن كل نقص، فله الصفات العليا، والأســماء الحســنى، وكل شـــيء تحت القضاء والقدر، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمــر ٤٩ ـ ٥٠]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلــة: ٢١]، ولما سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان قال: «أن تؤمــن بالله» إلى أن قال: «وأن تؤمن بالقدر خيره وشــره حلوه ومره من الله»[1]، وأمسك ﷺ بلحيته وقال: آمنت بالقدر كله خيره وشره من الله تعالى، وحكمة إمســاكه بلحيته أن العرب كانــوا إذا جاءوا إلى بعضهم مستسلمين يجئ أحدهم وهو ماسك لحيته، فنحن نؤمن بالقدر من الله تعالى ولا نزيد على ذلك لا فلسفة ولا إشكال، آمنا بالقدر خيره وشره من الله تعالى، ولا نحرف ولا نعطل ولا نؤوِّل ولا نشبه ولا نمثل، ونعتقد عقيدة السلف الصالح، نسأل الله الثبات عليها.

---

(١) أخرجه ابن حبان في كتاب فرض الإيمان ذكر الإخبار عن وصف الإســلام والإيمان بذكر جوامع شــعبهما رقم ١٦٨، والبيهقي في شعب الإيمان في باب في القدر خيره وشره من الله ﷻ رقم ١٧٧، وغيرهما لكن من غير زيادة (حلوه ومره).

■ الدرس الثامن والسبعون[1]

تابع لتفسير الآيات ١ ـ ٦ من سورة الفرقان

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾ [الفرقان].

هذه السورة المباركة تُسمى سورة الفرقان، وإنما سميت بذلك؛ لأن الله تعالى بَيَّن فيها من الأحكام والأمثال والمواعظ والأنباء ما فرق به بين الحق والباطل، وقد ذكر الحق تعالى نزول القرآن، وبَيَّن ما اشتمل عليه من الهدى والتبيان، وبَيَّن فضل الرسول، ودافع عنه، وبَيَّن أقوال المعترضين، ثم كَرَّ عليها ونقضها عروة عروة، ففي هذه

(١) كُتب هذا الدرس ليلة الأربعاء ١٣٧٨/٨/٢٣هـ.



السورة دفاع من القرآن عن من أنزل عليه، وتقرير لفضل الرسالة، ورد على أولئـك المعترضين، وعلى كثير ممن لم يعرفوا فضل الرسـالة والنبـوة، وبَيَّن في ختام هذه السـورة من الأدعيـة والأحكام ما فيه الموعظة لقوم يؤمنون.

وهذه السورة مكية، وهو ما نزل قبل الهجرة، وعكسه المدني، وهو ما نزل بعـد الهجرة، والقرآن ثلثاه مكي، وثلثـه مدني، والمكي يعادل اثنين وثمانين سـورة، والمدني إحدى وثلاثين أو اثنين وثلاثين سورة على الخلاف في ذلـك، فالمدني هذه التي ذكرهـا صاحب المنظومة الزمزمي بقوله:

مَكِّيُّـهُ مـا قَبْـلَ هِجْـرَةٍ نَـزَلْ والمَدَنِـيْ مَا بعدها، وإِنْ تَسَـلْ
فَالمَدَنِـيْ أَوَّلَتـا القُـرْآنِ مَـعْ أَخِيْرَتَيْـهِ، وكـذا الحَـجُّ تَبَـعْ
مائِـدَةٌ، مَـعْ مَـا تَلَـتْ، أَنْفَالُ بَـراءَةٌ، والـرَّعْـدُ، والـقِـتَالُ
وتَالِيَاهـا، والحَدِيْـدُ، النَّصْـرُ قِـيـامَـةٌ، زَلْـزَلَـةٌ، والـقَـدْرُ
والنُّورُ، والأَحْـزَابُ، والمُجَادِلَةْ وَسِـرْ إلى التَّحْرِيْمِ وَهْيَ داخِلَةْ
ومـا عَـدا هَـذا هُـوَ المَكِّـيُّ على الَّـذي صَـحَّ بهِ المَـرْوِيُّ

فجزء (قد سـمع الله) كله مدني، وبه يلغز فيقال: لنا جزء من القرآن كله مدني، وترتيب سـور القـرآن توقيفي، ويدل لهـذا الحديث، وهو «إن جبريل إذا نزل بشـيء من القرآن يقول له: ضع آية كذا بين آية كذا وكذا»، وإلا فلو كان ترتيب القرآن عقلي وليس توقيفي لكان أول القرآن سورة إقرأ.



والسورة طائفة من القرآن، لها أول وآخر، وأقصر سورة في القرآن سورة الكوثر، وأطولها سورة البقرة.

وأما الآية فهي لغة: العلامة، واصطلاحا: طائفة من كلمات القرآن مفصولة عما قبلها وما بعدها، وأفضل آية: آية الكرسي، وأطول آية: آية الدين، وأقصر آية ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٤][1].

وسور القرآن مائة وأربعة عشر سورة، وآيات القرآن ست آلاف وأربعمائة على خلاف في ذلك.

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ﴾ أي: تعاظم وتعالى، أي: الله ﷻ ﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ﴾ أي: أنزل مفرقا في خلال ثلاث وعشرين سنة، وأما إنزاله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا فكان في ليلة واحدة، وهي ليلة القدر، ونزل معه سبعون ألف ملكا، قال تعالى في تعيين هذه الليلة: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]، وقال تعالى مبينا تعيين الشهر الذي فيه هذه الليلة: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ونزل القرآن مفرقاً، وأما التوراة وبقية الكتب أنزلت دفعة واحدة، ونزول القرآن مفرقاً كان إحدى الشبه التي تعلقت بها اليهود والنصارى، ولذا قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [الفرقان: ٣٢]... الآية؛ والجواب: إن فؤاده ﷺ لا يتحمل نزوله مرة واحدة، فإن القرآن لو نزل على الجبال الصم لاندكت ولما طاقت له، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ

---

(١) أي باعتبار الكلمات فهي على كلمة واحدة، أما باعتبار عدد الحروف فآية ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [المدثر: ٢١].



أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [الرعد: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١] الآية، فكيف بفؤاده ﷺ لولا أن ثبته الله ﷻ.

والقرآن كلام الله القديم، وهو صعب لولا أن الله يسره على عباده، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]، قال تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢] هذه الحكمة الأولى.

والثانية: قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: سؤال أو اقتراح ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾.

ويقال فيما نزل جملة واحدة أنزل، وفيما نزل مفرقا نُزِّلَ، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ فانظر إلى التعبير بنَزَّل في القرآن، وأنزل في غيره.

قال تعالى: ﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ وصفه بالعبودية؛ لأنه أعظم وصف له ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام في دعائه: «اللهم لا تجعلني لغيرك عبداً، ولا تجعل دعائي ردِاً، ولا تجعل عيشي كدا» ويقول مجنون ليلى:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي

وقد وصفه الله بالعبودية في مقام الإسراء فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١]، ووصفه بالعبودية في مقام القيام بأعباء الرسالة فقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩]، فإضافة

قوله إلى عبده إضافة تخصيص وتشريف ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ أي: من إنس وجن وملائكة، وهذا من خصائصه، ولذا قال ﷺ: «أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب من مسيرة شهر، وأُعطيت الشفاعة، وبعثت إلى الناس عامة، وأعطيت الحوض المورود، وأُحلت لي الغنائم»[1] أو كما قال.

واقتصر في الآية على النذارة دون البشارة تربية للهيبة في قلوب العباد، أو أنه من باب الإكتفاء بها عن البشارة.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ أي: ليس له ولد، كما قال ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، وقال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠ ـ ٩١] ثم قال: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢].

قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ أي: في التدبير، وفيه رد على عباد الأصنام ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ وقيل للأعرابي: بم عرفت ربك؟، فقال: البعرة تدل على البعير، ليل داج، وسماء ذات أبراج.

وليس التقدير بمعنى القدر، وإنما هو بمعنى التصوير، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦] الآية، وفي

(١) أخرجه البخاري في كتاب التيمم رقم ٣٣٥ لكن بدل (وأعطيت الحوض المورود) قوله: (وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل)، ومثله في مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جعلت لي الأرض مسجد وطهوراً رقم٣.



القرآن: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، فالتقدير هنا بمعنى التصوير؛ لأن القدر سابق على الخلق، فقوله: ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ أي: صَوَّره تصويرا.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ فمنهم من زعم أن المسيح ابن الله، ومنهم من زعم أنه الله، ومنهم من زعم أن الآلهة ثلاثة، ويعبرون عنها بالأقاليم، ومنهم من زعم أن الشعرى ـ وهو كوكب ـ أنه الله، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾، وهل يكون الإله إلا من يخلق ويقبل ويشفع، ولا يكون من سواه إلها، قال تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠].

قال جبير بن مطعم: أسرنا يوم بدر ونحن مكتفون مشركين، فقام الرسول ﷺ وصلى صلاة المغرب، فقرأ سورة الطور حتى وصل إلى قوله: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، قال جبير: فنزلت عليّ الآيات كالصاعقة، فانشرح صدري للإسلام؛ لأن تلك الآيات أدلة واضحة، وبراهين قاطعة، فأسلم رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ أي: معبودة بباطل ﴿لَّا يَخْلُقُونَ﴾ أي: الأصنام ﴿شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣] بمعنى أن الكفار ينحتونها.

قيل: إنه دخل رجل يعبد صنماً فوجد الثعلب قد بال على رأس ذلك الصنم، فبكى، وأنشأ يقول:

أَرَبٌ يَبُولُ الثُعلُبانُ بِرَأسِهِ   لَقَد هانَ مَن بالَت عَلَيهِ الثَعالِبُ



وكان لسيدنا عمر ـ وهو كافر ـ صنم من تمر، فتضرع إليه في قحط، فلم يأت إليه بتمر، فأكله كله. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ۝٩ ﴾ [الفرقان]، والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ.

■ الدرس التاسع والسبعون[1]

تفسير الآيات ١٠ ـ ١٨ من سورة الفرقان

قوله تعالـــى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفرقان].

قال تعالـــى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ﴾... الآية لما قال المشركون ما قالوا: هلَّا كان لهذا الرسول كنز، وقال آخر: هلَّا كان له بستان يأوي إليه، وأتوا بمقترحات، قال تعالى رداً عليهم: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ﴾ أي: مـــن الذي قالوه من الكنز والبســـتان ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ وهي بساتين، وأعلاها الفردوس الأعلى،

---

(١) كُتب هذا الدرس ليلة الأربعاء ١٣٧٨/١٠/٢١هـ.

وفي الحديث: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تتفجر أنهارها»(١).

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ﴾ أي: تعاظم وتنزه ﴿ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ أي: من الأمر ومن البستان ﴿جَنَّٰتٍ﴾ أي بساتين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تجري الأنهار من تحتها ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا﴾ أي: تجري الأنهار من تحت قصورها، وقوله ﴿قُصُورًۢا﴾ أي: بيوتا عالية في الجنة، ويمكن أن يعطيها الله تعالى له في الدنيا لكن لما كانت الدنيا فانية، وهي دار ممر، اختار تعالى لحبيبه أن يكون له ذلك في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الضحى: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، فهذا كله دليل على أنه قادر أن يجعل له ذلك في الدنيا ولكنه أجل ذلك إلى الآخرة؛ ليكون أجمل وأحسن لحبيبه ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا﴾ فيه قراءتان: الرفع على الاستئناف، أي: برفع يجعل، أو بجزمها على أنه معطوف على محل جواب الشرط.

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ أي: القيامة، وعبر عنها بالساعة؛ لأنها تقوم على العباد في ساعة ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أي: هيئنا ﴿لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ أي: نار مسعرة، أي: شديدة.

---

(١) أخرجه البخاري من أثناء حديث في كتاب الجهاد والسير باب درجات المجاهدين في سبيل الله، يقال: هذه سبيلي وهذا سبيلي رقم٢٧٩٠، وغيره.



قال تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم ﴾ أي: أبصرتهم النار ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: غير قريب ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا ﴾ وهو زفراتها التي تزفرها، وهو صوت شديد، والنار ترى وتتكلم وتحتج، ولها لسان كما ورد في الحديث أنه قال: «يضع الجبار قدمه في النار، فتقول قِط قِط»[1]، وفي الحديث الآخر: «أنه قال احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيّ الملوك والجبابرة والعظماء، وقالت الجنة: فيّ الفقراء والمساكين، فأوحى إلى الجنة إنك رحمتي، أرحم بك من أشاء، وأوحى إلى النار وقال لها: إنك غضبي، أعذب بك من أشاء، ولكل منكما ملؤها»[2]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠]، وفي الحديث: «إن النار تمد لسانها حتى تدرك العاصين، فتأخذهم»، أو ما هو معناه، وفي الحديث الآخر: «يُؤتى بجهنم يوم القيامة، تقاد بسبعين زمام، وكل زمام يقوده سبعون ألف ملك، فإذا جيء بها تضع كل ذات حمل حملها... إلخ»، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ [الفجر: ٢٢ ـ ٢٣]... الآية.

قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا ﴾ أي: فيها ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا ﴾ أي: غير متسع ﴿مُّقَرَّنِينَ ﴾ أي: مصفدين بالأغلال ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ أي: هلاكا،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠] من أثناء حديث رقم ٤٨٤٨، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء من أثناء حديث رقم ٣٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠] رقم ٤٨٥٠ مع زيادة في اللفظ، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء رقم ٣٥ مع اختلاف في اللفظ.

فيقال لهم ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ أي: هلاكا كثيرا ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خَيْرٌ﴾، والاستفهام للتوبيخ ﴿أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي: التي وعدها المتقون ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ أي: من النعيم، فكل إنسان يرضى بما أعطيه، فلا يتمنى أحد مقاماً لا يليق به كمقام الأنبياء والرسل؛ لأن الله يصرف عن أهل الجنة ما لا يليق بهم، فلا يتمنى أحد مقام الرسل ولا مقام الأنبياء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ﴾ أي: وعدها ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾ جعلنا الله منهم ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ أي: هذه الجنة ﴿جَزَآءً﴾ أي: ثواباً ﴿وَمَصِيرًا﴾ أي: مرجعاً.

قال تعالى: ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾ حال لازمة، أي: ماكثين فيها أبدا، وقد حكى الله عنهم فقال: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

قال تعالى: ﴿كَانَ﴾ أي: وعدهم ما ذكر ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ أي: يسأله من وُعِدَ به، فحتى الملائكة الكرام يسألون ربهم أن يحقق لعباده ما وعدهم به، فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨] فهذا من دعاء الملائكة، فالمؤمنون والملائكة يطلبون من الله تحقيق ما وعد به.

وفي الآيات فوائد: منها أن الله تعالى بَيّن أن مقترحات الكفار لا يحققها لنبيه في الدنيا، أما في الآخرة فسيعطي نبيه أفضل وأكمل ما أعطى لعباده.



ومنها: أن هذه الدار عاقبتها الفناء، فلا ينبغي للإنسان أن يتعلق بها.

ومنها: أن الكفار لما كذبوا بالساعة، وجحدوا السمعيات، جعل الله جزاءهم ناراً تشتاق إليهم، فهم إذا بعدوا منها سمعوا لها زفيرا، وإذا قربوا منها ﴿مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ يعني أن الواقع في الهلاك يقول: واهلاكاه، فيقول تعالى: لا تدعوا هلاكاً واحداً وادعوا هلاكاً كثيراً.

ثم بَيَّن الله تعالى المقارنة بين دار النعيم والجحيم فقال: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ وفي قراءة سبعية ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فالذين عبدوا الجن يحشرون ويؤتى لهم بمن عبدوه، والذين عبدوا عيسى أو الشمس أو النجوم أو عزيراً أو الملائكة يحشرون ويؤتى لهم بمن عبدوه.

وهذا دليل على أنه تعالى يجمع بين العابدين والمعبودين؛ ليتبرأ المعبودون عن العابدين، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: واذكر أيها النبي الكريم، أو يا من يتأتى منه الذكرى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ﴾ بإثبات الهمزتين، أو مد الأولى، أو الاقتصار على همزة واحدة، والقراءات فيها خمس، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي:



من الملائكة وعيسى وعزيز والشمس والكواكب وغيرهم، فيقول تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾، فيقولون ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ أي: ما يليق بنا أن نتخذ نحن آلهة غيرك، فنحن لا نستعين إلا بك، فكيف نرضى أن نتخذ أنفسنا آلهة ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ ﴾ أي: أنك أعطيتهم المال والجيوش واللذات وطول العمر ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾ يعني نسوا الله وزعموا أنهم يقدرون على الوصول إلى السموات والملأ الأعلى، ولذا ورد عنه ﷺ في الدعاء: «اللهم اقطع عنهم إمهالك»، قال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ أي: جمع بائر على وزن فاعل، قال تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم ﴾ أي: المعبودون ﴿بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ أي: شديداً. اهـ.

■ الدرس الثمانون[1]

تفسير الآيات ١٨ ـ ٢٣ من سورة الفرقان

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان].

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم ﴾ أي: كذب المعبودون العابدين ﴿ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا ﴾ أي: للعذاب ﴿ وَلَا نَصْرًا ﴾ أي: منعاً من العذاب ﴿ وَمَن يَظْلِم ﴾ أي: يشرك ﴿ مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ أي: عقاباً

---

(١) كُتب هذا الدرس ليلة الخميس ١٣٧٨/١٠/٢٢هـ.

شديداً، المعنى أن الله تعالى يجمع لفصل القضاء بين العابدين والمعبودين، وفي ذلك المقام يتبرؤ المعبودون من العابدين، ويقولون: سبحانك نحن لا نستحق أن نكون آلهة، ولا نرضى بذلك، فإذا تبرؤوا منهم، يقول تعالى: إن دعاويكم الباطلة لا تدفع عنكم عذابا، ولا تخلصكم من النار، وإنما يخلصكم الإيمان بالله ﷻ، ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ﴾ وهو مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: أنزه الله تعالى تنزيها ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ﴾ أي: ما كان يليق ولا يصلح بنا ﴿أَن نَّتَّخِذَ﴾ وهي تنصب مفعولين، ومفعولها الأول أولياء، و(من) صلة، ولا يقال زائدة تأدبا مع القرآن.

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾ جمع بائر أي هلكى، وقوله ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ ممنوع من الصرف للوصفية وألف التأنيث الممدودة، و«من» صلة.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ هذه تسلية لحضرة المصطفي ﷺ، ثم قال: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً﴾... الآية يعني أن الله سلط الجهلاء على العلماء، والأشرار على الأخيار، وفتن الفقراء بالأغنياء، والأغنياء فتنهم الله بالفقراء، فإذا جاء وقت الزكاة ولم يخرجوا الزكاة أثموا ووقعوا في العصيان، فالغني ممتحن بالفقير يسخر منه والفقير ممتحن بالغني يحسده، والصحيح ممتحن بالمريض، والمريض ممتحن بالأصحاء؛ لأن العافية تاج على رأس الأصحاء لا يراه إلا المرضى، وقد قيل: إن مصاحبة الفقير للأغنياء



أعظم فتنة، بخلاف الغني الذي يصحب الفقراء فإنه يكون مكسور النفس طيبها، كما قيل:

ما لذَّةُ العيشِ إلّا صحبةُ الفقرا   هم السلاطينُ والساداتُ والأمرا

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ أي: على هذا البلاء والامتحان، فلا تبث الشكوى إلا لله.

قيل للسري السقطي: ألا تشتكى، فقال: لمن؟، قال: لله، قال: هو عليم بحالي، قال: إلى الناس، قال: هم عليلون، ثم بكى وأنشد:

ويمنعني الشكوى إلى الناس أنني   عليل ومن أشكو إليه عليل
ويمنعني الشكوى إلى الله أنه   عليم بما ألقاه سوف يزيل

قال تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾... الآية يعنى الكفار طلبوا أن تنزل الملائكة ويقولون لهم: هذا محمد رسول الله، أو يتجلى لهم الحق ويقول لهم: هذا محمد رسول الله، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي: يوم القيامة، فإذا راحوا إلى الملائكة ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً﴾ وهو ما يُرى في شعاع الشمس ﴿مَّنثُورًا﴾ والمعنى أنهم لا يثابون على أعمالهم؛ لأن شرط الثواب على الأعمال كما لا يخفى الإيمان بالله، والله أعلم.

■ الدرس الحادي والثمانون[1]

تفسير الآيات ٢٥ ـ ٣١ من سورة الفرقان

قولــه تعالــى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان].

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾... الآية هذا شروع في ذكر ما يتعلق بيوم القيامـة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي: أذكر يوم تشـقق أي: تتشقق السـماء ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ أي: بالسحاب، وسـمي غماماً؛ لأنه يغم وجه السماء عن أعين الناظرين، وسمي السحاب؛ لأن بعضه يسحب بعضاً، وسـمي مزناً لمزوله أي مضائه و«تشـقق» أصله تتشـقق حذف إحدى التائين، إما تاء المطاوعـة أو تاء المضارعة، فالمعنـى اذكر أيها النبي الكريم لأمتك يوم القيامة وأهوالها، ذلك اليوم الذي تشـقق فيه السماء

[1] كُتب هذا الدرس ليلة الأربعاء ١٣٧٨/١٠/٢٧هـ.



قطعاً، وعلى كل قطعة ملائكة محيطين بها، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ ﴾... الآية المعنى أنه ينتشر غيم أبيض، فتشقق السماء فتسقط، وكل قطعة منها ينزل فوقها ملائكة من أهل السبع السموات، وليس المراد سماء واحدة بل المراد السبع السموات، ولكن التشقق يكون على التدريج، فأولاً: السماء الدنيا، ثم التي فوقها، ثم التي فوقها، وهكذا، وكلما تشققت سماء نزل ملائكتها، وأحاطوا بالإنس والجن، حتى يكون الإنس والجن قد أحاط بهم الملائكة، ثم يأتي الله في ظل كالغمام، وينادى ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنعام: ١٣٠] الآية، والباء في بالغمام بمعنى مع، فتشققها مصحوب بالغمام.

قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: من كل سماء ﴿تَنزِيلًا﴾ ألا وهو يوم القيامة، فينزل الغمام، فتسقط السموات، فتنزل الملائكة على قطع السموات.

قال تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ أي: لا يشاركه فيه أحد ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ أي: شديدا، بخلاف المؤمنين، نسألِ الله تعالى المعونة، قال تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ﴾ المعنى أن الملك لا يكون إلا لله، فالملوك والسلاطين يأتون عبيدا لله ﷻ كما قال: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣] الآيات، ولفظ الملك يشمل الملك الحقيقي والمجازي، فالملك هنا المراد به الحقيقي بدليل قوله ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الحج: ٥٦]، ومثله أيضا ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦] إذ لا ملك لغيره يومئذ، وفي الحديث



عنه ﷺ: «أن يوم القيامة يُهَوَّن على المؤمن حتى يكون أخف من صلاة المكتوبة» الحديث.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾... الآية سبب نزول هذه الآيات كما بينه ابن جرير وابن كثير أن عقبة بن أبي معيط أسلم واعترف للنبي ﷺ، وفرح ﷺ بذلك، فذهب عقبة فقابله أمية بن خلف، وقال له: من أين جئت؟، قال: من عند رسول الله ﷺ، قال: أصبأت ودخلت دينه الجديد؟، قال: نعم، قال له: ويحك إنه ساحر مجنون، وإنه يستخدم الجن، واللات والعزى لا أرضى عنك أبدا، فكفر عقبة، فنزلت هذه الآية، فالمراد بالظالم هو عقبة.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ ولم يقل على أصابعه مبالغة، وليس مجازاً ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا ﴾ أي: أمية بن خلف ﴿خَلِيلًا ﴾ أي: صديقا، وسمي الصديق خليلاً؛ لأن محبته تتخلل القلب فتملؤه بعد أن كان فارغا، قال الشاعر:

قد تخلَّلتَ مسلكَ الروح مِنّي ... ولذا سُمِّيَ الخليلُ خليلا

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ ﴾ أي: القرآن والإسلام ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ هذا تعليل بوسوسة الشيطان، وهذه الآيات وإن كان سبب نزولها ما ذكر إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهي تسحب ذيلها على كل من آمن ثم كفر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ﴾ [النساء: ١٣٧]... الآية.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ أي: واذكر يا أيها النبي



الكريم ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾، قال ابن هشام: وقصة ذلك أن عقبة ابن أبي معيط صنع طعاما، ودعا الناس، ودعا رسول الله ﷺ، فقال له عليه الصلاة والسلام: لا أدخل ولا آكل طعامك حتى تنطق بالشهادتين، فنطق بها وأسلم، فدخل عليه الصلاة والسلام داره وأكل طعامه، فلما بلغ ذلك أمية بن خلف هدده، وقال له: لا أرضى عنك حتى تكفر بمحمد وتبزق في وجهه، فجاء إلى النبي ﷺ فنطق بالكفر، وأراد أن يبزق على وجهه، فرجع بزاقه إلى وجهه وأحرقه، ولم يزل أثره في وجهه، فقال له النبي ﷺ: لا أراك خارج مكة إلا وأقتلك... إلى آخر القصة، انظرها في كتب السير.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ فقال تعالى مسليا له عليه الصلاة والسلام ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾... الآية ما قال اهـ.

■ الدرس الثاني والثمانون[1]

تفسير الآيات ٣٢ ـ ٣٦ من سورة الفرقان

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الفرقان].

اعلم أن الله أنزل التوراة والإنجيل والزبور جملة واحدة.

أما القرآن فله إنزلان: إنزال إجمالي، وإنزال تفصيلي.

أما الإنزال الإجمالي فقد أنزله تعالى من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر في شهر رمضان، وعليه يدل قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣]، وعين هذه الليلة باسمها الخاص، فقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]، وعين الشهر، فقال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

---

(١) كُتب هذا الدرس ليلة الخميس ١٣٧٨/١٠/٢٨هـ.

والإنزال الثاني: هو الإنزال التفصيلي، وهو من السماء الدنيا إلى الأرض بواسطة جبريل عليه السلام، فهو في ثلاثة وعشرين سنة، وقيل: في عشرين، ووجه الاختلاف مدة فتور الوحي، وهل كانت سنة، أو أكثر، أو أربعين يوماً وهو الصحيح، وعليه فيكون إنزال القرآن في ثلاث وعشرين سنة، وعلى هذا الإنزال يدل قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ ، قال تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ [مريم: ٦٤]... الآية، فلا ينزل ملك، ولا يصعد، ولا يعمل عملاً إلا بأمر من الله تعالى، والسبب في ذلك أنه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل: إنك تتأخر عليّ، وإني أشتاق إليك، فهل تأتيني في كل يوم أو ليلة؟، فقال: إنا لا نتنزل إلا بأمر ربك، ونزل بقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ [مريم: ٦٤]... الآية.

ويقال: إن القرآن لما نزل نزل جملة إلى سماء الدنيا إلى بيت العزة ـ لكن لم يرد في حديث صحيح، ولذا لم نقرره ـ فلهذا لما طعن الكفار في تنزيله، وقال قائلهم: لو كان من عند الله لنزل جملة واحدة، فلما نزل متفرقا كان ذلك دليلاً على أنه من عند محمد، فالله تعالى هو الذي تولى الجواب عليهم، فقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ ﴾ بالتشديد، وهو يستعمل غالبا لما نزل تفصيلا، وعكسها أنزل بالتخفيف فيكون غالباً لما نزل جملة واحدة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ ﴾ أي: نزل القرآن تفصيلا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ أي: قلبك

﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ أي: ولا يجيئونـك الكفار ﴿بِمَثَلٍ﴾ أي: في إبطال أمـر ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الدافع لهـم ﴿وَأَحْسَنَ﴾ أي: أجمل ﴿تَفْسِيرًا﴾ أي: بيانا.

وكلام الله ﷻ أنزله من اللوح المحفوظ، وذلك ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٦]، وجبريل إنما تلقاه من تلك الصحف، ويحتمل أن الله تعالى رفع الحجاب لجبريل، ويدل له قوله تعالـى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]... الآية، فتلقي جبريل للقرآن لـه حالتان، إما أن يتلقاه بتلك الصحف، أو أن الله يرفع له الحجاب حتى يسـمعه، ونحن نؤمن أن كلامه تعالى صفة قائمة بذاته الكريمة تنكشف... إلخ.

وأما كيفية التلقي لجبريل فنفوض أمره لله ونؤمن به، وفي الحديث: «إن الله تعالى إذا تكلم بالوحي سـمع أهل السـماء صلصلة كالسلسة على جبل، فيخرون سـجداً، ويقولون: ما قال ربكم، قالـوا: الحق»[1]، وفي هذا دليل أن الله يكشف لجبريل الحجاب حتى يسمع كلامه، كما وقع لموسى أن كشف الله له الحجاب حتى سمع كلامه سمعاً حقيقياً، فلما أخبر قومـه بذلك، قالوا لـه: لن نؤمن ولا نصـدق أن الله كلمك حتى نسـمع تكليم الله لك، فأوحى الله له يا موسـى اختر سبعين من علمائهم وفضلائهم، واخرج بهم إلى طور سيناء، فإذا كلمتك أسمعتهم كلامي، فأمرهم أن يصوموا، فخرج بهم وهم صائمون، فشـم موسـى

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب في القرآن رقم ٤٧٣٨.



تغير رائحة فمه، فأخذ غصناً وأزال تلك الرائحة، فأوحى الله إليه يا موسى أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، ارجع وصم عشرة أيام، فذلك قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]... الآية، فخرج موسى وقومه إلى طور سيناء، فلما وصلوا غشيتهم السحابة، وكلم الله موسى، فخرَّ موسى ساجداً، وأصاب القوم من الهول ما يذيب قلوبهم لولا أن الله ثبتهم، فلما رجع موسى قالوا له: يا موسى آمنا بكلام ربك ولكنا لم نر ربك، فذلك قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥]... الآية، فشكى موسى ذلك إلى ربه فنزلت صاعقة وأهلكت جميع السبعين، فوقف موسى متحيراً، وقال: يا رب كيف أهلكتهم إن قومهم يتهموني بأني قتلتهم، وبكى وخر ساجداً لله ﷻ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]، والقوم حرقى قد هلكوا بالنار وانتهت المناجاة، ثم قال تعالى: يا موسى أَوَ تحب أن أحييهم، قال: نعم يا رب، قال: قف على واحد واحد فكل من وقفت عليه أحييه، فأحياهم الله جميعهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥ ـ ٥٦]، فلما أحياهم الله، قال لهم موسى: ما تقولون الآن، قالوا: آمنا بك في كل ما جئت به، ونحن معك لا نكفر أبدا، فلما رجع موسى إلى قومه وقرأ عليهم التوراة كفروا بها إلا السبعين، فأمر الله جبريل أن ينقل طور سيناء ويجعله كالظلة فوقهم، فإن

لم يؤمنوا ألقاه عليهم، فخروا سجدا، وبعضهم في سجودهم ينظرون إلى الجبل، وبعضهم عين ناظره إلى محل السجود وعين ناظره إلى الجبل، وبقيت هذه العادة إلى الآن، وآمنوا كلهم كما قال المغربي: إيمان بالدَّبُّوْس.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: أتينا به مرتلا مجوداً، فالقرآن أنزل وقرئ بالترتيل، فمن ترك الترتيل والتجويد أثم كما قال الجزري:

والأخذ بالتجويد حتم لازم   من لم يجود القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا   وهكذا منه إلينا وصلا

فهؤلاء الذين يقرؤون القرآن بغير تجويد آثمون، وسمعت عائشة ﵂ قارئاً يقرأ القرآن بغير تجويد فقالت: ما هكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ، فقد كان يقرأ حتى لو أراد أحد أن يعد حروفه لعدها.

وسمع ابن مسعود رجلاً يقرأ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ بقصر مد جاء، فغضب وقال: ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، قال: كيف أقرأك إياها يا أبا عبد الرحمن؟، قال: وقرأ (إذا جاء) ومد قدر ثلاث حركات؛ لأنه مد متصل.

وسمع آخر من الصحابة شخصاً يقرأ من غير ترتيل، فقال: مسكين هذا ما قرأ ولا سكت.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾... الآية وحاصل الجواب: إن الله تعالى أخبرنا أن إنزال القرآن مفصلاً سببه أمران:



أحدها: إن في ذلك تثبيت لفؤاده ﷺ؛ لأنه لو نزل على الجبال جملة واحدة لانْدكت، فكيف بقلبه ﷺ.

والكفار كلما جاؤوا بشبهة أنزل الله الرد عليهم من السماء، ولذا كان بعض الكفار إذا تكلموا يقولون: لا ترفعوا أصواتكم حتى لا يسمعكم رب محمد فينزل فيكم القرآن.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى أن قال ﴿لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾ وكل من كذب رسولا فكأنما كذب جميع الرسل؛ لأن دعوة الرسل كلهم واحدة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦]... الآية وقرأ إلى قوله: ﴿فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦] اهـ.

■ الدرس الثالث والثمانون[1]

تفسير الآيات ٣٥ ـ ٤٠ من سورة الفرقان

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ [الفرقان].

هذه الآيات المباركات يذكر الله تعالى فيهن ما يتعلق بقصص الأمم الماضية، والقرون الخالية، كيف أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وجعلهم ذكرى لمن تذكر.

وقد تمر قريش على آثار قوم مضوا، فـإذا مروا بهم ورأوا آثارهم، وفي ذلك عبرة

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

(١) كُتب هذا الدرس ليلة الأربعاء ١٣٧٨/١١/٧هـ.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ اللام في قوله «لقد» موطأة لقسم محذوف، وموسى هو ابن عمران صاحب العصا، واليد البيضاء، أنزل الله عليه التوراة، فيها هدى وموعظة للذين هم لربهم يرهبون، وطلب موسى من ربه أن يؤيده ويعززه بهارون، فكان موسى نبياً ورسولاً، وهارون وزيراً ونبياً، وأطلق الله العقدة التى في لسان موسى، وسببها أن موسى أخذ ذات يوم يعبث بلحية فرعون حتى جرها وأدماها، فغضب، فقالت له آسية: هذا طفل صغير لا يفرق بين التمرة والجمرة، فقال: بلى إنه يفرق بين التمرة والجمرة، فقدمت التمرة والجمرة، فمد موسى يده ليأخذ التمرة فدفع جبريل يده إلى الجمرة فحملها، ولم تحرقه حتى وضعها في فيه فأحرقته فبكى وصاح، فأنزل الله له الحنانة في قلب فرعون فبكى، ومن حينئذ انعقدت العقدة في لسانه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾ [طه: ٣٩]... الآية، وقال تعالى: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾ [طه]... الآيات.

والكتاب أل فيه للعهد، والمعهود هو التوراة.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ ﴾ أي: مع موسى ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ أي: معينا ﴿ فَقُلْنَا ﴾ أي: لموسى وهارون ﴿ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ﴾... الآية وهم فرعون والأقباط الذين كانوا بمصر، ويعتقدون أن فرعون ربهم الأعلى.

وقوله ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ ﴾ لم يكن القول لهما وهما مجتمعان بل إن موسى كان بطور سيناء وهارون بمصر، فأنزل الوحي على هارون، وأمره جبريل أن يخرج للقاء موسى، فخرج إلى خارج مصر، فلقيه موسى فقال: من أخبرك أنني قادم، فأخبره بالخبر، ثم سارا إلى قصر



فرعون، فبقيا يترددان مدة حتى أذن الله لهما بالدخول، فدخلوا ذات يوم عليه فدعوه إلى الإسلام، فقال فرعون: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨]... الآيات.

فإن قيل: ما الحكمة في ذكر هذه القصة في هذه السورة؟.

والجواب: إن القصد بذلك التسلية على سيد الوجود، فالمعنى أنك لا تضجر يا محمد ممن كذبك، فقد كذبت رسل من قبلك، وستكون العاقبة لك.

فإن قيل: كيف يقول تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ كيف قد كذبوا بالآيات مع أنهما لم يصلا إلى فرعون؟، وتقرير هذا السؤال أن يقال: كيف كذبوا بالآيات وموسى وهارون لم يصلا إليهما، فمتى وصلت إليهم الآيات حتى كذبوا بها؟.

والجواب من وجهين:

أحدها: إن الباء في ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ بمعنى مع، والمعنى اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بوحدانيتنا مع آياتنا.

الثاني: إن الآيات تطلق على المعجزات، وعلى دلائل الوحدانية، والمراد بالآيات هنا دلائل الوحدانية كالسماء والأرض والكواكب وغيرها.

ولا ينبغي أن يكون بتقدير الذين سيكذبون بآياتنا من باب قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١]... الآية أي: يأتي؛ لأن فيه إخراج الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال.



قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ﴾ فقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ﴾ فهذا عبرة لنا، وابتلاء واختبار، بل التكليف كله اختبار، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢]، وقال ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥]... الآية.

وحاز الإمام علي بن أبي طالب مقام الوزارة للنبي ﷺ إلا أن الفرق بين وزارته ووزارة موسى وهارون النبوة، ولذا قال له عليه الصلاة والسلام: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[1]، فقوله: «إلا أنه لا نبي بعدي» احتزار من أنه يكون بعده نبي، ولذا كان كرم الله وجهه يَرُدُّ ودائعه ويقوم بحقوقه عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ ﴾... الآية هذه الآية بيَّن الله فيها الأمم السابقة، وكيف أنزل الله عليهم العذاب، قال تعالى: ﴿ وَعَادًا ﴾ أي: واذكر عادا وثمود وأصحاب الرس، والرس هي بئر معروفة بنجد بقرب تيما، وكان لهم نبي وهو شعيب، وقيل اسمه حنظلة بن صفوان، وهؤلاء القوم كان لهم بئر فانهدمت عليهم، والقرن يطلق على مائة عام.

قال تعالى: ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي بين عاد وأصحاب الرس ﴿ كَثِيرًا ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة تبوك رقم ٤٤١٦، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه رقم ٣٠، وغيرهما.



قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ﴾ أي: ذكرنا وبيَّنا هذه القصص العجيبة ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا ﴾ أي: أهلكنا ﴿تَتْبِيرًا ﴾ أي: إهلاكا، ومعنى التتبير هو التفتيت، فكأنه قال: فتتناه تفتيتا.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا ﴾ أي: كفار قريش ﴿ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾ وهي قرية قوم لوط، وكانوا يأتونها في طريقهم إلى الشام ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ اهـ.

■ الدرس الرابع والثمانون[1]

تفسير الآيات ٤١ ـ ٤٦ من سورة الفرقان

قولـــه تعالـــى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الفرقان].

قال تعالى خطابا لنبيه ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ ﴾ أي: إذا رأى المشـــركون النبي ﷺ ﴿ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾، قال تعالى حكاية عن استهزائهم ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ أي: إذا رأوا المصطفـــى ﷺ اســـتحقروه ونظروا إليه بعين الهوان والاحتقار، وهكذا تعـــرض الناقص للكامل من قديم، ولكن تعرض الناقص للكامل لا يضره، كالعشمة من السراج إذا عشمت بها ازدادت نورا، وهم كلما احتقروه ﷺ وذكروا شيئاً يعيروه به ازداد شرفا، كما قال الشاعر:

---

(١) كُتب هذا الدرس ليلة الأربعاء ١٣٧٨/١١/١٢هـ.



وَإِذا أَتَتكَ مَذَمَّتي مِن ناقِصٍ فَهِيَ الشَهادَةُ لي بِأَنِّيَ كامِلُ

وأنت ترى أن أكثر الناس بلاء بالناس هم الأنبياء والصلحاء والأولياء والصفوة، وإنما ابتلاهم بذلك لئلا يأنسوا بأحد، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ١٠]... الآية، وبهذا يتبين لنا وجه الحكمة في تسليط الخلق على الرسل والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ فالخطاب للنبي ﷺ، والواو يعود على المشركين، والمعنى إذا رأى المشركون النبي ﷺ ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ أي: ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: إلا مهزوءاً به، ويقول بعضهم لبعض ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾، وبهذا تعلم أن الله إذا سلط أحداً من العوام أو غيرهم من السفلة على أحد من الفضلاء كان ذلك زيادة في فضلهم كما قال الشاعر:

وَإِذا أَرادَ اللهُ نَشرَ فَضيلَةٍ طُوِيَت أَتاحَ لَها لِسانَ حَسودِ
لَولا اشتِعالُ النارِ فيما جاوَرَت ما كانَ يُعرَفُ طيبُ عَرفِ العودِ

وقال الآخر:

فَلَيتَكَ تَحلو وَالحَياةُ مَريرَةٌ وَلَيتَكَ تَرضى وَالأَنامُ غِضابُ
وَلَيتَ الَّذي بَيني وَبَينَكَ عامِرٌ وَبَيني وَبَينَ العالَمينَ خَرابُ
إِذا صَحَّ مِنكَ الوُدُّ يا غايَةَ المُنى فَكُلُّ الَّذي فَوقَ التُرابِ تُراب



وقال الآخر:

حَسَدوا الفَتى إِذ لَم يَنالوا سَعيهُ فَالكُلُّ أَعداءٌ لَهُ وَخُصومُ
كَضَرائِرِ الحَسناءِ قُلنَ لِوَجهِها حَسداً وَبُغْضاً إِنَّهُ لَذَميمُ

وقال الآخر:

إذا كان ربي عالما بسريرتي فما الناس في عيني بأعظم من ربي

وهل سلم الأنبياء والرسل من ألسن الناس؟!، فلا عجب أن يقع ذلك في ورثتهم، فينبغي لمن نشر الدعوة أن يصبر على كلام الناس، قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] فأمر بالتواصي بالصبر، وذاك بعد التواصي بالحق، وقال الشاعر:

وَما أَحَدٌ مِن أَلسُنِ الناسِ سالِما وَلَو أَنَّهُ ذاكَ النَبِيُّ المُطَهَّرُ
فَإِن كانَ مِقداماً يَقولونَ أَهوَج وَإِن كانَ مِفضالاً يَقولونَ مُبذِرُ
وَإِن كانَ سِكّيتاً يَقولونَ أَبكَم وَإِن كانَ مِنطيقاً يَقولونَ مِهذَرُ
وَإِن كانَ صَوّاماً وَبِاللَيلِ قائِماً يَقولونَ زَرّافٌ يُرائي وَيَمكُرُ
فَلا تَحتَفِل بِالناسِ في الذَمِّ وَالثَنا وَلا تَخشَ غَيرَ اللهِ فَاللهُ أَكبَرُ

وقال الآخر:

اعمل لنفسك صالحا لا تكترث بظهور قيل في الأنام وقال
فالخلق لا يرجى اجتماع قلوبهم لا بد من مثن عليك وقال

وفي الأثر: (إن موسى طلب من ربه وقال: يا رب أطلبك مطلبا لا أطلبك غيره، فقال: وما هو؟، قال: أن تكف عني ألسن الناس، فقال:



يا موسى لم أجعل هذا لنفسي، ألم ينسبوا لي الصاحب والولد)، ولذا قال ﷺ: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله عز وجل»[1].

فالكفار يقولون هذا الرجل ما رأينا أصدق منه، وأفصح منه، لقد قارب أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا لولا أن ثبتنا على عبادتنا وصبرنا عليها، كأنهم يفتخرون بأنهم صبروا على عبادة الأوثان، قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الزمر: ٣٦ ـ ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الرعد: ٣١]... الآية، وقال تعالى مسليا لحضرة المصطفى ﷺ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٩٩ ـ ١٠٠].

قال تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾، فقال تعالى ردا عليهم ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: ﴿حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي: أخطأ سبيلاً.

وفي الآيات إرشاد للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء أن يصبروا على

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب الصبر على الأذى رقم ٦٠٩٩ مع اختلاف في اللفظ، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل رقم٤٩ مع اختلاف في اللفظ.



تحمل الأذى، وفيها أن ابتلاء الناقص بالكامل أمر قديم، وهو لا يزيد الكامل إلا كمالا.

وفي الآيات تهديد لهم بتأخير العذاب إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ هذا خطاب له ﷺ، والقصد جميع أمته؛ لأن استغراق المفرد أعم من استغراق الجمع ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ أي: حافظا تحفظه من اتباع هواه، لا... إن عليك إلا البلاغ.

قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ أي: أخبرني ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ جعل ﴿إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ أي: مهويه الذي يتبعه ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾.

قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ ﴾ أي: تظن ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ ﴾ أي: أن أكثر الكفار ﴿يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾.

فإن قيل: إنهم يسمعون ويعقلون؟.

فالجواب: إنهم لا يسمعون سمع تدبر وتفهم، ولا يعقلون عقل تدبر.

قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ ﴾ أي: ما هم ﴿إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

وفي الآيات بيان جهل الكفار حيث اتخذوا طريق الكفر طريقا.

وفيها أنهم لا يسمعون سماع تفهم، ولا يعقلون عقل تدبر.

وفيها أنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا، والنار مثوى لهم.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ أي: ألم تنظر إلى فعل ربك كيف مد الظل، وهذا شروع في أدلة الوحدانية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ﴾ أي: أراد ﴿لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ أي: لا يزول ولو طلعت الشمس، فعلى

هذا يكون الظل مستمراً دائماً ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ يعني جعلنا الشمس دليلا على الظل ليلاً ونهاراً، والمراد بالظل هو ما يقابل نور الشمس، وكل من الظل والنور عرضان، فخلق الله الظل بطلوع الشمس وأفناه عند الزوال وأبقاه بعد الزوال.

رَأَيتُ خَيالَ الظلِّ أَكبرَ عبرَة ... لِمَن كانَ في عِلمِ الحَقيقَةِ راقي
شخوصٌ وَأَشباحٌ تَمُرُّ وَتَنقَضي ... سَريعاً وَأَشكالٌ بِغَيرِ وِفاقِ
تَجيئ وَتَمضي تارَةً بَعدَ تارَة ... وَتَفنى جَميعاً وَالمحرّك باقي

فالظل يبقى ويزول، ويزيد وينقص، والمحرك له واحد ﷻ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أي: خفيا بطلوع الشمس اهـ.

■ الدرس الخامس والثمانون[1]

تفسير الآيات ٤٥ ـ ٤٩ من سورة الفرقان

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الفرقان].

هذه الآيات المباركات بيّن الله تعالى فيها دلائل وحدانيته، فالكون كله سفر عظيم، ما من نقطة أو ذرة إلا وفيها دليل ساطع ينطق بوحدانية الله ﷻ، ومن أجل ذلك قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾... الآية [يونس: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾... الآية [يوسف: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ﴾... الآية [الروم: ٨]، فكل ما في الكون دليل على وحدانية الله ﷻ، ولذا بين تعالى أن الظل من أعظم الدلائل على الوحدانية، تأمل

---

(١) كُتب هذا الدرس ليلة الخميس ١٣/١١/١٣٧٨هـ.



رحمك الله إذا طلع الفجر كيف يكون الظل ممدودا في كل مكان إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت وبسطت أشعتها في كل مكان تقلص الظل حتى يفنى، فإذا زالت الشمس إلى جهة الغروب رجع الظل على عادته، فهذا الظل في وجوده وعدمه وانقباظه كل هذا يدل على وحدانية الله ﷻ، فلو أراد الله انعدام الظل لطلعت الشمس ولم تغرب، ولو أراد عدم امتداد الظل لم يمتد، فإن الظل تارة ينعدم كما في وقت الزوال في مكه وزبيد في بعض أيام الصيف، وتارة يكون ظل الشيء على قدر مثله أو مثليه، وتارة يكون أكثر وأقل، وإذا مشى الإنسان في الشمس جاء الظل مع أن المحل الذي هو فيه كان مملوء بالشمس، ولذا يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تنظر ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾... الآية، وقد جعل الله الظل للعبد مثلاً لرزقه

مَثَلُ الرزقِ الَّذي تَطلُبُهُ ... مَثَلُ الظلِّ الَّذي يَمشي مَعَك
أَنتَ لا تدركه مُجْتَهِداً ... فَإذا وَلَّيتَ عَنهُ تَبِعَك

وإذا لم تسر لم يسر معك، ولذا قال بعضهم في الظل

رَأَيتُ خَيالَ الظلِّ أَكبرَ عبرَة ... لِمَن كانَ في عِلمِ الحَقيقَةِ راقي
شخوصٌ وَأَشباحٌ تَمُرُّ وَتَنقَضي ... سَريعاً وَأشكالٌ بِغَيرِ وِفاقِ
تَجيءُ وَتَمضي تارَةً بَعدَ تارَة ... وتفنىٰ جَميعاً وَالمحرّك باقي

ومن العجائب أن الظل يسجد لله ﷻ، حتى ظل الكافر العنيد يسجد لله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥] فظل الكافر يسجد لله فهو أفضل منه.



والملائكة والأنبياء ليس لهم ظل عليهم الصلاة والسلام؛ وذاك لأن الله تعالى يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ [الأحزاب: ٤٥] إلى أن قال: ﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٦] والنور ليس له ظل، وفي الحديث: «إنه ﷺ إذا مشى في الشمس ليس له ظل»، وكذا الملائكة والرسل والأنبياء، وقيل: إن النبي ﷺ هو فقط ليس له ظل لا غيره، ومن أسمائه ﷺ النور، وقال الإمام التتائي:

خص نبينا بعشرة خصال ... لم يحتلم قط ولا له ظلال

والأرض ما يخرج منه تبتلع ... كذلك الذباب عنه ممتنع

تنام عيناه وقلب لا ينام ... من خلفه يرى كما يرى أمام

لم يتثاءب قط وهي السابعه ... ولد مختونا إليها تابعه

يعلو جلوسه جلوس الجلسا ... صلى عليه الله صبحا ومسا

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ ﴾ أي: الظل الممدود ﴿إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴾ أي: خفياً بطلوع الشمس، ونفس الظل ونور الشمس عرضان، وأما نفس الشمس فجوهر.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴾ أي: ساترا كاللباس.

وجعل تأتي في اللغة لمعان: فتأتي بمعنى خلق كالآية المتقدمة.

وتأتي جعل بمعنى صيّر، ومنه جعلت الطين إبريقاً.

وتأتي جعل بمعنى شرع، ومنه جعلت أقرأ القرآن، أي: شرعت.

وتأتى جعل من الجعل الذي هو التغيير من طور إلى طور.

وهنا الجعلُ بمعنى الخلق.

ونفس الجعل الذي هو الخلق هو صفة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾... الآية [الأنعام: ٩٥]، وقال في آية أخرى ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦] فالجعل بمعنى الخلق من صفات الله، وصفات الله لا توصف بالتركيب؛ لأنه يقتضي الحدوث، وصفات الله قديمة، فلو كانت مؤلفة لَلَزِمَ قيام الحادث بالقديم.

والبسائط والمركبات كلها خلق لله ﷻ، فكما يخلق الله المركبات يخلق البسائط، لكن صفة البسط والتركيب إنما هما من صفة المجعول وهو المخلوق، لا من صفة الخالق.

والأمور المعنوية تعلقت بها قدرة الله تعالى، وكذلك الأعراض موصوفة وموجودة، والتعمق في هذا الموضوع من الفلسفة التى لا نميل إليها لاسيما في درس التفسير، فقف عند حدك أيها السائل.

قال تعالى: ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ أي: راحة ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ أي: منشورا فيه لابتغاء الرزق.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ وهذا من دلائل قدرته، وفي قراءة ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾، وغالب رياح المطر التي تثير السحاب هي التى تهب من الشمال، كما قال الشاعر:

أَنت تكون ماجد نَبِيْلُ   إذا تهب شمأل بليل



وقد قال ﷺ: «إذا ظهرت بحرية ثم تشاءمت كان ذلك غديقة»[1] أو كما قال.

قال تعالى: ﴿بُشْرًا﴾ أي: نشراً ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: المطر ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾... الآية [الواقعة: ٦٨ ـ ٦٩]، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ والمراد بالميت الأرض التي مكثت مدة من المطر، وقد جعل الله إحياء الأرض مثلاً لإحياء الموتى، قال تعالى: ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ أي: نسقي الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ﴾ جمع إنسي، والأصل إنس ﴿كَثِيرًا﴾... الآية إلخ ما قال. اهـ.

(١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الاستسقاء باب ما جاء في الاستمطار بالنجوم رقم٦٥٤ بلفظ «أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا أنشأت بحرية، ثم تشاءمت؛ فتلك عين غديقة»، والطبراني في الأوسط باب الميم رقم ٧٧٥٧بلفظ «فهو عين غديقة».

■ الدرس السادس والثمانون[1]

تفسير الآيات ٤٨ ـ ٥٨ من سورة الفرقان

قولـــه تعالـــى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورٗا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ﴿٥٤﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان].

الله ﷻ يمتن على عباده بأنه أنزل لهم من السماء ماء طهورا، فهذا الماء الطهور الذي أنزله الله من السماء جعله عذباً فراتاً حلواً صالحاً للشرب، ولسقي الزرع، وغير ذلك من المنافع، ولو شاء ﷻ لجعله مالحاً أو مرًّا لا يصلح للشرب، ولا يسقى به الزرع، ولا ينتفع به،

[1] كُتب هذا الدرس ليلة الأربعاء ١٣٧٨/١١/١٨هـ.



ولكن الله بعباده رؤف رحيم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ والسماء كل ما علا فهو سماء، وسواء قلنا بقول أكثر العلماء من أن ماء السماء ينزل من السماء على السحاب ثم ينزل إلى الأرض، أو قلنا بقول بعض أهل العلم أن السحاب ينزل على البحر فيغترف من البحر، قال القائل:

شَرِبْن بِماءِ البَحرِ ثُمَّ ترَفَّعَت   متى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

أو قلنا: إن الماء بعضه من السماء وبعضه من البحر فكل ذاك دليل على قدرة الله، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٨ ـ ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ [النور: ٤٣] إلى قوله ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور: ٤٣]، هذا كله دليل على كمال قدرة الله ﷻ، وأنه تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾... الآية، وكان مقتضى نظام الأسلوب أن يقول {ونزلنا} لكنه غير الأسلوب فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ فهو التفات من التكلم إلى الغيبة، فهو من باب إخراج الكلام على خلاف مقتضى الحال، ولذا قال في الجوهر المكنون:

والإلتفات وهو الإنتقال من   بعض الأساليب إلى بعض قمن

... الخ الأبيات.

وفي الآية دلالة على أن ماء السماء ماء طهور، وفيه أيضا من أسرار البلاغة الإلتفات الذي هو من دقائق البلاغة.

قال تعالى مبيناً الحكمة في إنزال الماء من السماء ﴿ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ والمراد بموت الأرض أن تكون قاحلة، والمراد بحياتها



اهتزازها بالمطر، فإذا ما جاءت السماء بالمطر ضحكت الأرض بالزهر، وأعقب ذلك بالثمر، وذلك فضل من واهب القوى والقدر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، والموت في كل شيء بحسبه، والحياة في كل شيء بحسبها، وموت القلب قسوته وبعده عن الله، «وإن أبعد القلوب من الله القلب القاسي»[1].

والميْت بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث، والعاقل وغير العاقل، وأما الميّت بتشديد الياء فهو القابل للموت، وأما بالتخفيف فهو الميت في الواقع، قال القائل:

أيا سائلي تفسير ميْت وميّت	فدونك قد فسرت إن كنت تعقل
فمن كان ذا روح فذلك ميّت	وما الميْت إلا من إلى القبر يحمل

قال تعالى: ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ﴾ أي الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَآ﴾ أي: أوجدنا ﴿أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ﴾ جمع إنسان، فأبدلت النون ياء، فهو إما أن يكون جمع إنسي، أو جمعاً لإنسان، وأصله أناسين أُبدلت النون ياء، وأُدغمت الياء في الياء، وأما إذا قلت أنه جمع إنسي فلا قلب.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ أي: ليتذكروا وليعتبروا وليعلموا كمال قدرة الله، روي عن ابن مسعود: (أنه ليس عام بأقصر من عام في المطر لكن الله يصرفها حيث شاء) إلى أن قال: (ولولا صبيان رضع...) الحديث.

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب الزهد باب ما جاء في حفظ اللسان ٢٤١١ من أثناء حديث، وغيره.



قال تعالى: ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ وأصله ليتذكروا فأدغمت الياء في التاء، قال تعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ أي: جحودا بنعمة الله ﷻ ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا﴾ أي: أردنا ﴿لَبَعَثۡنَا﴾ أي: أرسلنا ﴿فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ﴾ وسُميت قرية لتجمع أهلها ﴿نَّذِيرٗا﴾.

قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن ﴿جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ والمعنى جاهد الكفار، وأقم عليهم الحجة، وفي هذه الآيات بيان أن الله تبارك وتعالى لو أراد أن يبعث من كل قرية نذيرا لبعث، وأنه ينهى رسوله عن إتباع الكفار في أذاهم، ويأمره بأن يجاهد الكفار بالقرآن.

والجهاد تارة يكون بالسيف والسنان، ولكن جهاد اللسان أقوى من جهاد السيف والسنان.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ﴾ أي: أرسل ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ متجاورين، وليس بينهما حاجز إلا قدرة الله، فإذا ركبت البحر، ومددت يدك هنا ذقت ماء حلوا، وإذا مددت يدك الأخرى ذقت ماء مرا.

ومن أعجب ما يكون في البحر المالح أنها توجد فيه مواضع حلوه في وسطه يستقي منه بعض أهل البلاد التي بقرب ذلك البحر المالح.

قال تعالى: ﴿هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾ أي: سترا مستورا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ أي المني ﴿بَشَرٗا﴾ أي: إنسانا، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: ٤]، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗا﴾ المعنى أنه جعل بينهم إتصالا بالنسب

والصهارة ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ أي: قادرا على ما يشاء في الأرض والسماء ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ أي: الكفار يعبدون ما لا ينفع ولا يضر ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ إلى أن قال ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ أي: اعتمد عليه، وفوض أمرك إليه، فهو الحي الذي لا يموت، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وكيف يموت وهو مفيض الحياة على كل شيء، ولذا قال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ سبحانه وتعالى، وفي هذا حث على التوكل على الله ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ اهـ.

■ الدرس السابع والثمانون

تفسير الآيات رقم ٥٨ ـ ٦٠ من سورة الفرقان

قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الفرقان].

قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ ﴾ هذا خطاب لحضرة جناب المصطفى عليه الصلاة والسلام يأمره تعالى بأن يتوكل عليه، وأن يفوض الأمور إليه، ولا شك أن التوكل من أعظم مراتب اليقين، ومن أعظم مراتب الإيمان، والنبي سيد المتوكلين، وإنما وقع الخطاب لسيد الأحباب بحسب الظاهر، والقصد إنما هم أمته، وهو لا يزال مترقيا في مراتب اليقين؛ فالمعنى وتوكل أي: ودم على توكلك، فهو أمر بالدوام على التوكل وإلا فهو سيد المتوكلين، ويكون هذا معناه الأمر بالدوام، ونظيره قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ ﴾ [النساء: ١٣٦] أي: دوموا على إيمانكم، ويحتمل أن يكون هذا خطاب للنبي ﷺ ظاهراً والقصد بذلك أمته، والقرآن نزل على لسان العرب، ونظامهم في خطابهم أن يوجهوا الخطاب لسيد القبيلة أو لسيد القوم ويقصدون غيره، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر: ٦٥]... الآية وهذا

وإن كان خطاباً لحضرة المصطفى ظاهراً، ولكن القصد إنما هم أمته؛ لأن الرسول لا يشرك ولا يتصور في حقه معصية فضلا عن الشرك، لكن القصد بهذا الخطاب أمته؛ ليكونوا من باب أولى فيكون أعظم تأثيرا، وكثيراً ما يوجه الخطاب لحضرة المصطفى والقصد بذلك أمته كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ فهذا خطاب للنبي ثم قال ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ﴾ [الطلاق: ١] بميم الجمع لتعرف أنه خطاب لأمته.

ولا شك أن ذرة من أعمال القلوب أثقل من جبال من أعمال الظاهر؛ ولذا كان الحضور والعمل القلبي أعلا مقاماً وأدق تأثيراً، ولا ينافي التوكل استعمال الأسباب؛ لأن الله تعالى أمر بالتوكل وأمر بالأسباب لكن على أنها أسباب، لا على أنها مؤثرة ولا فاعلة، ولا على أنها تؤثر بطبعها ولا بقوة أودعها الله فيها ولكنها أسباب ربط الله بينها وبين المسببات ربطاً عادياً فيجوز الانفكاك؛ ولأن الربط بين الأسباب والمسببات ربط عادي، ألا ترى أن الله تعالى ربط بين النار والإحراق وتخلف ذلك في قصة الخليل إبراهيم، وربط القطع بالسكين وتخلف ذلك في قصة إسماعيل، وربط بين الماء وري العطشان ويتخلف في من مرض مرض الاستسقاء، ولذا قال بعضهم:

ومن يقل بالطبع أو بالعلة   فذاك كفر عند أهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعة   فذاك بدعي فلا تلتفت

بل الربط بين الأسباب والمسببات ربط عادي، فالله يخلق الأشياء عندها، لا بها، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]. فصار مذهب أهل السنة والجماعة وسط بين مذهب الجبرية والمعتزلة فكأن

مذهبهم خرج ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا﴾... الآية [النحل: ٦٦]، فالمعتزلة أفرطوا، والجبرية قصروا، وأهل السنة توسطوا، وهم على ما كان عليه المصطفى وأصحابه.

فالأمر بالتوكل لا يقتضي النهي عن الأسباب؛ لأن الإنسان يستعمل السبب ولا يعتمد عليه، وإنما يعتمد على مسبب الأسباب وهو الله ﷻ، وقد قال رسول الله ﷺ: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خِمَاصاً وتعود بِطَاناً»[1]، فهكذا الإنسان ينبغي أن يستعمل الأسباب، وأن يعتمد على رب الأرباب، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾... الآية [التوبة: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾... الآية [القصص: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

اللهم إنا توكلنا عليك، وفوضنا أمرنا إليك، أصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ هذا دليل على حياة الله؛ فهذا الحي حقيقة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾... الآية [غافر: ٦٥]؛ فكل حي مستمدة حياته من حياة هذا الحي القيوم، وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب أبواب الزهد باب التوكل على الله برقم٢٣٤٤وقال هذا حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه في كتاب الورع والتوكل باب ذكر الإخبار عما يجب على المرء من قطع القلب عن الخلائق برقم ٧٣٠، وغيرهما.

قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: نزهه تبارك وتعالى أي: كن مُنَزِّهاً له تعالى عما لا يليق به، والباء في قوله تعالى: ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ باء الملابسة، والمعنى وسبح حالة كونك متلبسا بحمده، وآخر حديث في صحيح البخاري هو قوله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان...»[1] الحديث، ففي هذا الحديث جمع ما بين التسبيح والتحميد لله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ١ ـ ٣]؛ فكان ﷺ يكثر من سبحان الله وبحمده، وفي الحديث أنه قال: «من قال كل يوم (سبحان الله وبحمده) مائة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر»[2]، وهذا في الصغائر، وأما الكبائر فلا تكفر إلا بالتوبة ورد المظالم إلى أهلها؛ لحديث «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[3].

قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ أي: عالما، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: على غير مثال سابق ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: ما بين السماوات والأرض ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في مقدار ستة أيام، والمعنى أنه لو قدر الزمن الذي خلق الله فيه السماوات والأرض

---

١) أخرجه في كتاب الدعوات فضل التسبيح برقم ٦٤٠٦.

٢) أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب فضل التسبيح برقم ٦٤٠٥ بلفظ (من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر)، وأخرجه الترمذي في كتاب أبواب الدعوات برقم ٣٤٦٦ لكن من غير (كل يوم) وقال حديث حسن صحيح.

٣) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة... الخ برقم ١٦.



لساوى ستة أيام من أيامنا هذي، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ وهو قادر على أن يخلقها في طرفة عين ولكن أراد أن يعلم عباده التأني والصبر في الأمور كما قال الشاعر:

قد يُدرِكُ المتأني بَعضَ حاجَتِهِ وقد يكونُ مع المُستَعجِلِ الزَّلَلُ

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ ﴾... الآية، الاستواء صفة نثبتها له تعالى من غير تعطيل ولا تبديل ولا تحريف ولا تخييل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، قال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه حرام.

وقال الإمام الشافعي: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.

وقال الإمام أحمد ابن حنبل: كلما أثبته تعالى لنفسه فنثبته له، وكلما نفاه الله عن نفسه فنُنَزّه الله عنه، تبارك ربنا عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾ أي: لكفار مكة ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ والقائل لهم هو النبي ﷺ وأصحابه، ﴿قَالُوا۟ ﴾ أي: الكفار ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ ﴾ أي: السجود للرحمن ﴿نُفُورًا ﴾ أي: اعرضوا، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾ [الإسراء: ١٠٧]... الآية وصف الله المؤمنين بأنهم إذا قرئ عليهم القرآن سجدوا، وعكسهم الكفار، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ فيقولون الرحمن رحمن اليمامة ويعنون به مسيلمة الكذاب ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾.

■ الدرس الثامن والثمانون[1]

تفسير الآيات ٦١ ـ ٦٧ من سورة الفرقان

قوله تبارك وتعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان].

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى ﴾ أي: تعاظم الله عز وجل وتمجد في عليائه ﴿ جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ جمع بُرْجٍ وهو المكان الذي يظهر فيه النجم، وسمي برجاً لبروجه أي: ظهوره.

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ﴾ أي: تعاظم ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا ﴾ أي: الشمس ﴿ وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾.

وقد بيّن الله تعالى خلق الكواكب فقال: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾... الآية [المُلك: ٥]؛ فالنجوم والكواكب خلقت لحِكم ثلاث:

---

[1] كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/١/٢٣هـ.

الأولى: أن تكون زينة للسماء.

والثانية: أن تكون رجوماً للشياطين الذين يسترقون السمع.

والثالثة: لأجل الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر، قال تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦]، فمن طلب سوى ذلك فهو ضال مضل، قال ابن الوردي:

صدِّقِ الشرعَ ولا تركنْ إلى رجلٍ يرصدُ بالليلِ زحلْ

فالنجم الذي يستدل به على الخير أو ضده كل ذلك حرام. اهـ.

واعلم أن الله جعل للشمس اثنا عشر برجاً، وفي هذه البروج تتكون الفصول الأربعة، والبروج هي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وقد نظمها بعضهم فقال:

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدي نزح الدلو بركة الحيتان

وللقمر ثمانية وعشرون منزلة وهي: الحوت والبطين إلى آخرها، قال تعالى ممجداً نفسه ومبيّناً ما خلق في السماوات وكيف جعل مسير الكواكب على نظام محدود لا يتغير ولا يتبدل فقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴾ والبروج في الأصل القصور، وإنما قيل: للقصر برج لبروجه أي: ظهوره، قال تعالى: ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾ [النساء: ٧٨].

قـــال تعالـــى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ أي: يخلف أحدهما الآخر؛ ليشـــكر العبـــد ربـــه ﷻ ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ﴾ أي: يتعظ ويذكر الله ﷻ ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ أي: جعل الله الليل والنهار يتعاقبان أي: يأتي أحدهما بعد الآخر؛ ليكون ذلك دليلاً علـــى كمال قدرة الله ﷻ، ولذا قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ ومعنى ﴿خِلْفَةً ﴾ أي: يجيء أحدهما خلف الآخـــر أي: بعده؛ فمن أراد أن يعبد الله فـــي الليل عَبَدَه في الليل، ومـــن أراد أن يعبده فـــي النهار عَبَدَه فيه، فـــالله تعالى جعل الليل والنهار متعاقبين؛ ليكون ذلك ســـببا للذكرى، قال تعالى: ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ أي: شكرا لنعمة الله ﷻ.

قال الإمام الشـــاذلي: الليل والنهار خزانتـــان مملوءتان، وتفتح يوم القيامة فطوبى لمن فتحت خزانته يـــوم القيامة فوجدها ملآنة بالجواهر والدرر، ويـــا خيبة من فتحـــت خزانته يـــوم القيامة فوجدهـــا مملوءة بالمعاصي والظلمات.

قال تعالـــى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ أي: مخالفاً كل منهما صاحبه ويخلف الآخـــر صاحبه، فهمـــا يتعاقبان في الظـــلام والضياء والزيادة والنقصان.

قال الإمـــام أبو الحســـين البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جـــاء رجل إلـــى عمر بن الخطاب، وقـــال: لقد فاتنـــي التهجد البارحـــة فماذا أصنـــع؟ فقال له: قم وصـــل بالنهـــار فـــإن الله تعالـــى قـــال ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾... الآية، فمن هنا نعلم أن الله جعل الليل والنهار قوالب للأعمال.



قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ أي: أفضل العباد لله الذين تشرفوا بالعبودية والنسبة إليه ﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ أي: متواضعين غير متهورين ولا متكبرين، قال الإمام الحسن البصري: هم أصحاب عِزَّة ووقار إذا رؤوا ذكر الله فهؤلاء هم عباد الرحمن.

وقوله: ﴿هَوْنًا ﴾ أي: بلا تكبر، فإن المتكبر مهما مشى بتكبر لا يقدر أن يخرق الأرض ولا أنْ يبلغ الجبال طولا، وقد جاء في الحديث أنه قال: «من تواضع لله رفعه، ومن تكبر قصمه»، وورد في الحديث أنه قال: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن تردى بردائي قصمته ولا أبالي»[(١)]، وفي القرآن الكريم ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الجاثية: ٣٧]، وجاء في الحديث أنه قال: «يحشر المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذر يطؤهم الناس بأقدامهم»[(٢)]، وفي تاريخ ابن خلكان قال: رأيت رجلاً يطوف وهو يتمايل ويتكبر، قال فبعد مدة رأيته يمشي في بغداد وعليه ثياب بذلة، فقلت له ما هذا يا فلان وأنت في بلاد الغنى، فقال تكبرت حيث يتواضع الناس فأذلني الله.

وإذا تذكّر الإنسان أن أصله نطفة مَذِرَة، وآخره جيفة قذرة، وهو بينهما يحمل العذرة هانت عليه نفسه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس باب ما جاء في الكبر برقم ٤٠٩٠ لكن بلفظ (فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب أبواب صفة القيامة والرقائق والورع برقم ٢٤٩٢ بلفظ (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال) وقال «هذا حديث حسن».



ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾ وليس المراد رد السلام، بل المراد أن يرد ردا جميلا معروفا ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] فليس المراد به رد السلام؛ لأنه لا يرد السلام على الكافر، قال عليه الصلاة السلام: «إذا سلّم الكافر عليكم فقولوا عليكم»، فمن هنا علم أن المراد بالرد أي: الجواب الجميل، ولذا لما سبَّ رجل الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه فقال له: إن كنت كما قلت فالله يغفر لي وإلا فالله يغفر لك، وروي عن النعمان عنه ﷺ قال: سبَّ رجل رجلاً عنده ﷺ فقال المسبوب: عليك السلام، فقال ﷺ: أما إن ملكاً بينكما يذب ـ أي: يدافع عنك ـ قال: وإذا قلت له عليك السلام، يقول الملك: لا بل أنت أيها المسبوب عليك السلام.

ولا يقع في الشتم مزاح فقد كان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً، قال ﷺ لامرأة تشكو زوجها: «ذاك الذي في عينيه ماء»، وقال لرجل: «لا أحملك إلا على ولد الناقة، وكان الرجل بَدِيْناً فقال له: بل احملني على البعير، فقال وهل يلد البعير إلا الناقة»[1].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾ كان الإمام الحسن البصري إذا قرأ هذه الآية قال: ذاك وصف نهارهم وهذا وصف ليلهم.

---

[1] أخرجه الترمذي في كتاب أبواب البر والصلة باب ما جاء في المزاح برقم ١٩٩١ لكن بلفظ (وهل تلد الإبل إلا النوق).



قــال تعالــى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ قــال الإمام القاضي البغوي: مــن صلى بعد العشــاء ركعتين كُتِــبَ فيمن بات لله ســاجداً وقائماً، وأخرج الحافظ بإســناده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: «من صلى العشــاء في جماعة فكأنما قام نصف الليــل، ومن صلى الصبح والعشــاء في جماعة فكأنما قام الليل كله»، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ أصل الغرام الدوام يعني: أن عذابها دائم، ولذا ســمي المدين الذي يلازم مدينــه غريماً، فالغُرُم معناه الملازمة.

■ الدرس التاسع والثمانون[1]

تفسير الآيات ٦٥ ـ ٧٦ من سورة الفرقان

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) ﴾ [الفرقان].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ﴾... الآية المعنى إنهم مع عبدتهم لله وإقبالهم على امتثال أوامره واجتناب نواهيه يخافون من

---

(١) كتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/١/٢٤هـ.



عذابه، ويدعون الله سرا وجهرا أن يصرف عنهم عذابهم، وهم على غاية من الوجل، وما حصلت لهم تلك الخشية والإنابة إلا بسبب معرفتهم بالله، فبقدر معرفة الإنسان لربه يخشاه، وكلما عظمت المعرفة عظمت الخشية قال ﷺ: «أما إني أخشاكم لله وأتقاكم»[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ اعلم أن الغرام معناه اللزوم، ومنه الغريم سمي غريما لملازمته، ومنه قول الأعشى:

إِن يُعاقِب يَكُن غَراماً وَإِن يُعـ ـطِ جَزيلاً فَإِنَّهُ لا يُبالي

فمعنى قوله: (غَراماً) أي: عطاءا قويا ملازما لا انفكاك له، ومنه المغرم بكذا هو الملازم له، ويطلق الغرام على الشر فيقال بزيد غرام أي: شر، وأصيب قوم بالغرام أي: بشر.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهَا ﴾ أي: نار جهنم ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ بئست المستقر نار جهنم، وبئس المقام نار جهنم، والمعنى أنهم عرفوا النار وما فيها فاستعاذوا بالله منها، اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ ﴾ أي: إذا بذلوا أموالهم لم يبذلوها في إسراف، قال الحسن البصري: كل مال يصرف في طاعة الله فليس بإسراف، وكل مال ينفق في معصية الله فهو إسراف، فلا إسراف في خير.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته برقم ٧٤ لكن بلفظ (أما والله، إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له).



وقوله: ﴿لَمْ يُسْرِفُواْ﴾ أي: لا ينفقوا جميع أموالهم حتى يسألوا ﴿وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ أي: يبخلوا، بل يقتصدوا، قال ﷺ: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا افتقر من اقتصد»[1]، فالمقتصد لا يندم أبدا، وأما المبذر فإنه أخو الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧]، ولله در ابن الوردي حيث يقول:

بينَ تبذيرٍ وبخلٍ رتبةٌ ... فكلا هذينِ إنْ زادَ قتلْ

فالتبذير إذا زاد قتل صاحبه، ومثله البخل، فخير الأمور أوساطها، والآن نجد أن كثيراً من المسلمين يستخبرون كثيرا من الأجانب لاستخبارهم عن حفظ المال، ونحن المسلمون لا نحتاج إلى هؤلاء الأجانب فإن القرآن قد بيّن لنا ذلك، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وأي شيء بعد قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ﴾ فإن المتحير مهما اختبر وفكر لا يخرج عن هذه القاعدة المتضمنة لها هذه الآية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، قال سيدنا عمر بن الخطاب: كفى بالمرء سَرَفاً أن يشتري كل ما تشتهيه نفسه، وفي سنن ابن ماجه عنه ﷺ: «أن يأكل كل ما اشتهى»[2]، وكان بعض الصالحين يأتي إلى بائع التفاح يشتري من عنده ثم يروح فتعجب صاحب التفاح وبقي الرجل على

---

[1] أخرجه الطبراني في الأوسط في باب الميم من اسمه محمد برقم ٦٦٢٧ لكن بلفظ (ولا عال من اقتصد).

[2] ذكره ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق من أثناء حديث في باب ما جاء في ذم التنعم في الدنيا برقم ٧٦٩.



ذلك مدة طويلة، فلما بعد مدة جاء إليه ليأخذ من التفاح فأدبر ولم يأخذ شيئاً، فأقبل عليه صاحب التفاح، وقال له: يا شيخ لي الآن مدة طويلة وأنا أراك تجيء لأخذ التفاح وتدبر ولا تأخذه، فقال يا شيخ: لي أربعين سنة ونفسي تشتهي التفاح وأنا لا آخذه جهاداً لها، فأهدى له الرجل شيئاً من التفاح، فقالت له نفسه إني قد انتصرت عليك، فدعا من الفقراء والمساكين وقسمه عليهم، وقال الشاعر:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد   كلا طرفي قصد الأمور ذميم

غيره:

إذا أنت قد أعطيت بطنك سؤلها   وفرجك نالا منتهى الذمِّ أجمعا

غيره:

إذا المرء أعطى نفسه كلما اشتهت   ولم ينهها تاقت إلى كل باطل

وساقت إليه الإثم والعار بالذي   دعته إليه من حلاوة عاجل

■ الدرس التسعون[1]

تابع تفسير الآيات ٦٥ ـ ٧٦ من سورة الفرقان

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) ﴾ [الفرقان].

يصف الله تعالى في هذه الآيات المباركات عباده المؤمنين فيقول ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾... إلخ الآيات وصفهم بعدد أوصافهم الكريمة التي استأهلوا بها أن يكونوا عباداً للرحمن، وأن

[1] كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/١/٢٩هـ.



يكونوا من أهل الجنة فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وقال في وصفهم ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ أي: لا ينادون ولا يعبدون ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ويفردونه بالعبادة، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله، فكل عبادة إنما تصرف لله ﷻ فهو تبارك وتعالى المستحق أن يعبد والمتأهل أن يأذن، فالإستغاثة والإنابة والذبح والتضرع والدعاء كلها لله ﷻ؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾... الآية، وفي حديث الإمام أحمد أن رجلاً جاء إليه ﷺ فقال: «يا رسول الله أي الذنب أكبر؟ قال: أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقك ورزقك، قال: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك»[1]، حتى الفساق لهم غَيْرَة على جيرانهم مع أنه فاسق لكن الجيران لهم حق كبير، فإذا كان هذا الفاسق فكيف بالتقي، فأعظم الزنا أن يزني بحليلة جاره أي: زوجة جاره، حتى الفساق إذا فسقوا فسقوا في الأجانب، فالزنا بحليلة الجار ومغازلة بنته من أعظم الذنوب، قال فما برح الرسول إلا ونزل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾... الآيات، ثم قال ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: بأن يدعو مع الله إلها آخر أو بأن يقتل نفساً أو بأن يزني ﴿يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾ أي: ويمكث فيه ﴿مُهَانًا﴾ أي ذليلاً ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ أي: أناب إلى ربه ورجع واستغفر، اللهم اغفر لنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ وقتلها بالحق

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] برقم ٤٤٧٧.



من أحد ثلاثة أشـياء: إما قتل بعد زنى بعد إحصان أو قتل بعد قتل أو قتل بعد كفر، وأما الخلود في النار فهو باعتبار مجموع الثلاثة بأن قتل وزنا ودعا مع الله إله آخر، أما إذا زنى وقتل واستباح ذلك فهذا كذلك يكفر، قال صاحب المنظومة:

وَمَـنْ لمعلـومٍ ضـرورةً جَحَدْ مِنْ ديننـا يُقْتَلُ كُفْـراً ليسَ حدْ
ومثلُ هـذا مَـنْ نَفَـى لِمُجْمعِ أو استباحَ كالزنـا فلتَسْـمَعِ

أما إذا ارتكب الزنا أو القتل ولم يستبحه فلا يكفر عند أهل السنة والجماعة، قال تعالـى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ جاء في الحديث عنه ﷺ: «أنه يؤتى بالرجل يوم القيامة ويؤتى له بالسـجلات فيقرؤها من أولهـا إلى آخرها، ثم يقال له: هل عملت هذه السـيئات؟ فيقول: نعم يا رب، فيقـول: هل ظلموك ملائكتي فكتبـوا عليك ما لم تعمله؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الرب: يا ملائكتي بدلوا سـيئات عبدي حسـنات، فيقول العبد: لي ذنوب مـن الكبائر ما وجدتهـا هنا أطلب تبديلها حسـنات، قال: فيضحك الله ﷻ منه» لأنه كان خائفاً ولما وجد سـماحة العفو ذكر ذنوبه، وروي عن سـلمة بن قيـس: إلا إنهن أربع سمعتهن عن رسـول الله ﷺ في حجة الوداع: «أَنْ لَا تُشْـرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا»[1].

وقال الإمام أحمد حدثنا المديني، قـال حدثنا الفضيـل، قال حدثنا محمد بن سـعيد الأنصاري، قال سـمعت أبو طلحة الكلائي، قال سمعت

[1] أخرجه أحمد في مسند الكوفيين من حديث سلمة بن قيس الأشجعي رقم ١٨٩٩٠.

المقداد بن الأسود، يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر وأهون ولا أن يزني بامرأة جاره، قال النبي: فما تقولون في السرقة، قالوا حرمها الله ورسوله، قال ﷺ لأن يسرق الرجل من عشر بيوت أيسر عند الله ولا أن يسرق من بيت جاره»[1]، وروي عنه ﷺ: «ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة يضعها الرجل في فرج لا يحل له».

قال بعض العلماء: قوله ﴿وَيَخْلُدْ﴾ بالنسبة إلى الزاني والقاتل إذا لم يستحلا، فالمراد بالخلود طول المكث، أو تقول أنه خرج مخرج التغليب والتهديد، وأما بالنسبة إلى عبادة غير الله فهذا شرك والخلود بسببه حقيقة.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ﴾ أي: رجع إلى الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وكرر ذكر التوبة زيادة في الترغيب ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾.

قال العلماء: اختلف في معنى قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ على قولين:

الأول: إن ذلك يكون في الدنيا فيوفقهم الله لأعمال صالحة يكون بسببها أن تبدل السيئات حسنات.

الثاني: إن ذلك يكون في يوم القيامة.

ورد عن أبي ذر الغفاري أنه ﷺ قال: «إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار، وأعرف آخر أهل الجنة دخولاً فيها، يؤتى برجل فتكتب

(١) أخرجه أحمد في كتاب أحاديث رجل من أصحاب النبي ﷺ باب بقية حديث المقداد بن الأسود برقم ٢٣٨٥٤.



له صغائر ذنوبه فيقال له: عملت كذا وكذا، فيقول: نعم يا رب، فيقول له: ربه إن لك بكل سيئة حسنة، ثم يقول: يا رب إن لي أعمالاً سيئة عملتها ما وجدتها هنا، قال: ثم ضحك رسول الله ﷺ، وقال ﷺ: فهذا آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة»[1]، ووجه ضحكه ﷺ أن العبد بينما هو خائف من ذنوبه فوجد العفو والسماح صار بضد ذلك.

وروى الطبراني أنه جاء رجل إليه ﷺ قال: أرأيت لو أن رجلاً عمل جميع السيئات إلا الشرك فهل له من توبة؟ قال: نعم يبدلها الله له حسنات، قال: فما زال الرجل يكبر حتى توارى عن النبي ﷺ أو كما قال[2].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: لا يشهدون شهادة الزور، قيل: إن شهادة الزور عند الحاكم أن يجعل الباطل حقاً والحق باطلاً، وقيل: إن شهادة الزور هي الحضور في مجالس اللهو وما فيها العود والطنبور فتسقط شهادته، وقيل: إن شهادة الزور هي أن يحضر أعياد المشركين.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ قيل: معنى ذلك أنه إذا حضر مجلساً فيه من يشرب الخمر مثلا ينهاهم عن ذلك، فإن انتهوا وإلا هجرهم، ومثل ذلك أعياد المشركين والمجالس التي يناح فيها على الموتى، ومثل ذلك مجالس اللهو والغناء والضرب بالأوتار ﴿وَإِذَا

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب صفة جهنم برقم ٢٥٩٦ وقال حديث حسن صحيح مع اختلاف يسير في اللفظ.

(٢) أخرجه في المعجم الكبير في باب الشين شطب الممدود أبو طويل برقم ٧٢٣٥.



مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾ أي: لا يتدنسون بها فلا يحضرون شيئاً من ذلك، جاء في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه يقول: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قلنا بلى يا رسول الله، قال الشرك بالله وعقوق الوالدين ـ وكان متكئاً فجلس وقال ـ وشهادة الزور، فلم يزل يكررها حتى بحّ صوته ﷺ»[1]، وإنما كانت شهادة الزور من الكبائر؛ لأنها تقلب الحق باطلا والباطل حقا وتجعل المال عند غير أهله.

وكان سيدنا عمر بن الخطاب إذا شهد شاهد وثبت أنه زور يجلده تسعاً وثلاثين جلدة ويطاف به في الأسواق ويسخم وجهه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾ أي: إذا سمعوا في مجالسهم اللغو والكلام الفارغ لم يخوضوا فيه.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴾ قال تعالى في وصف المؤمنين ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢]، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ ﴾ أي: وعظوا ﴿ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴾ يعني أنهم إذا مروا بأمر امتثلوا أو بنهي انتهوا أو بقصة اعتبروا وكانت لهم عبرة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ اهـ.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر برقم ٥٩٧٦.

■ الدرس الحادي والتسعون[1]

تفسير الآيات ٧٤ ـ ٧٧ من سورة الفرقان

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الفرقان].

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾... الآية هذا من أوصاف عباد الرحمن ﴿رَبَّنَا﴾ أي: يا ربنا ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾ بالألف، وقرأ أبو عمرو والأخوين بلا ألف، ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ وإنما قال إماماً ولم يقل أئمة؛ لأن إمام يطلق على المفرد والجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] أي: رسل رب العالمين، فأطلق رسول وأراد به رسل، وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧] فإنه لم يقل أعدائي.

واعلم أنه كما يوجد في الخير أئمة كذلك يوجد في الشر أئمة،

---

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٢/٢هـ.



قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

وقوله ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ يعني أولاد أتقياء بررة إذا نظرنا إليهم تقر أعيننا، وقيل إن العين إذا رأت ما تكره تضطرب ويفيض منها الدمع، فإذا رأت ما تستر به استقرت، وفي الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[1]، وأخرج الإمام أحمد بإسناده عن المقداد قال: جلسنا ذات يوم فمر بنا رجل فقال طوبى للعينين هذين اللذين رأيا رسول الله ﷺ ليتني رأيته وجئت معه، فغضب المقداد وقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً لا يدري لو حضره ماذا يكون فيه... إلخ الحديث.

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ يعني الدرجة العالية في الجنة وهي الفردوس التي لا شك فيها ولا في فضلها وهو في أعلى الجنة وسقفه عرش الرحمن ومنه تتفجر أنهار الجنة، قال: غرفا من الدرر والزبرجد يرى ظاهرها من باطنها وقبب من اللؤلؤ المجوف طول كل واحد أربعة أميال، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ والصبر هو حبس النفس على ما تكره، وهو أربعة أقسام:

١ ـ صبر على معصية الله.

٢ ـ وصبر على طاعة الله. وهذان أصل التقوى.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب أبواب الأحكام باب الوقف برقم ١٣٧٦.



٣ ـ وصبرٌ على الأمراض والأسقام. وهذا مقام أساس الرضا والتسليم.

٤ ـ وصبر على المعيشة والرضا بما قسم الله ﷻ من الرزق. وهذا أساس مقام الزهد.

قال تعالى: ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ بتشديد القاف وقرأ الأخوان بفتح القاف ﴿فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ اعلم أن الجنة دار السلام، وإنما قيل لها دار السلام؛ لأن من دخلها سلم من الآفات والبليات، وفيها يسلم الرب على عباده وأي شيء أعظم من هذا، فإن الشخص إذا سلم عليه ملك أو رئيس أو زعيم يفرح بذلك ويفتخر، فكيف إذا سلم عليه ملك الملوك، قال تعالى: ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨] فبين القرآن الكريم أن الرب يسلم على عباده في الجنة، وبين القرآن الكريم أيضا أن الملائكة تدخل كل يوم بالأطباق وفيها ما لا يعلمه إلا الله من كل ما تشتهيه الأنفس قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد: ٢٣]، وقال تعالى في بيان سلام أهل الجنة بعضهم على بعض: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ [مريم: ٦٢]... الآية، وقال أيضاً: ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [يونس: ١٠] فلهذا سميت الجنة دار السلام، قال: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أي: حسنت موضع استقرار وحسنت موضع إقامة، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي ﴾ يعني أي مقدار لكم أيها العباد عند ربكم ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ أي: لولا أن الله ﷻ يرفع عنكم العذاب بسبب دعائكم، وقيل: إن المراد بقوله: ﴿دُعَاؤُكُمْ﴾ أي: إيمانكم؛ لأن الإيمان يرفع العذاب، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ



ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الدخان: ١٠] إلى أن قال ﴿ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴾ [الدخان: ١٢]، وقال ﷺ: «لولا صبيان رضع وشيوخ ركع وبهائم رتع... إلخ»[1]، والعبادة تأتي بمعنى التوحيد قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليوحدون، قال تعالى: ﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ ﴾ أي كفرتم أيها الكافرون، قال تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴾ أي فسوف يكون عذابا شديدا ملازما أي: دائما عليكم في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه البزار في مسنده من أثناء حديث في مسند أبي حمزة مالكٌ بن أنس برقم ٨١٤٦.



تفسير
سورة الشعراء

■ الدرس الثاني والتسعون[1]

تفسير الآيات ١ ـ ٩ من سورة الشعراء

قال تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء].

هذه السورة تُسمى سورة الشعراء؛ لأن الله تعالى ذكر في آخرها الشعراء وقسمهم إلى قسمين: ناجين وهالكين، قال تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]... إلخ الآيات، وقد قال بعض الشعراء يفتخر بأن في القرآن سورة للشعراء:

جهل الشعر عصبة فرموه بأفانين جهلهم بازدراء
لو أن الكتاب كان لديهم لمحوا منه سورة الشعراء

وهذه السورة كلها مكية، وقيل: إلا أربع آيات والله أعلم، وآياتها

---

(1) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٢/٩هـ.



مائتان وسبع وعشرون، ومما ورد في فضلها ما ورد عن ابن عباس أنه ﷺ قال: «أعطيت طه والطواسيم من ألواح موسى عليه السلام»[(١)] والمراد بالطواسيم سورة الشعراء والنمل والقصص، وتسمى هذه السورة الجامعة؛ لأنها جمعت قصصا كثيرة ومواعظ عظيمة.

قال تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده هذا من قسم المتشابه فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ ﴾ [آل عمران: ٧]... الآية إلى أن قال ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ ﴾ أي: المتشابه ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ثم بين تعالى أن عباده الراسخون في العلم يسلمون معناه إليه قال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾... الآية.

قال تعالى: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ والمعنى أنه ﷺ كان حريصاً على إسلام الناس، وقد بين تعالى له أن من هداه الله فهو المهتدي ومن أضله فهو الضال، قال تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأۡ ﴾ أي: لو أردنا ﴿نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ﴾ حتى يضطروا إلى الإيمان قهراً كعذاب أو مسخ أو حرق ﴿فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ أي: للآية خاضعين، ويعني أنهم لخضعوا لها وأسلموا، والمراد بالأعناق الأبدان، وعبر بالأعناق وأراد بها الأبدان على سبيل المجاز المرسل وعلاقته الجزئية.

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره ج٣ص٤٦١، والخازن في تفسيره ج٣ص٣٢١.



قال تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ ﴾ أي: نـرد ﴿نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ وهـذا معنى قوله تعالـى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٩٩]، قال تعالـى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾، قـال تعالـى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣] يعني أن أكثر الناس ليسوا بمؤمنين إلا من هداه الله، ومعنى قوله ﴿مُّحْدَثٍ﴾ يعني أن إنزال القرآن يتجدد شـيئا فشيئا، قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ ﴾ أي: فيأتيهم ﴿أَنۢبَٰٓؤُا۟ ﴾ أي: أخبار ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ اهـ.

■ الدرس الثالث والتسعون[1]

تفسير الآيات ١٠ ـ ١٧ من سورة الشعراء

قوله تعالـــى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الشعراء].

هذه القصة العجيبة قصة موســى وهارون عليهما الصلاة والســلام وما جرى لهما مع قومهما، وهي قصــة عجيبة تكررت في القرآن نحو سبع مرات، وهذا التكرار لا يؤدي إلى الملل؛ لأنه إذا ذكرها في موضع تفصيلا ذكرها في موضع آخر إجمالا وهكــذا فهي لا تزداد إلا حلاء، ولذا قال الشاعر:

يَــزِيــدُكَ وَجــهُــهُ حُـسـناً   إِذا مــا زِدتَـــــهُ نَــظَــرا

وفي موضع من القرآن تكررت ثمانية ميمــات لو جاءت في كلام أفصح الفصحاء لا بد وأن يحصل بها ثقل.

---

(١) كتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٢/٩هـ.



وهذا المغيرة من أكبر الأعادي لما سمع سورة فصلت أعجبته، فقيل له أهذا شعر؟ فقال لا، فقيل أسحر؟ قال لا، قيل أهو كهانة؟ قال لقد عرفت الكهانة وسجعها فما هو بكهانة، فقال والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر، ولكنه كلام واهب القوى والقدر، فقال: أبو جهل لقد انتفخ سحر المغيرة وما زالوا يؤنبونه حتى قال دعوني أفكر ففكر وقدر ثم فكر وقدر ثم عبس وبسر... إلخ، والآية التي تكررت فيها الميمات هي قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ [هود: ٤٨]

كلام قديم لا يمل سماعه	تنزه عن قول وفعل ونية
به أشتفي من كل داء ونوره	دليل لقلبي عند جهلي وحيرتي
فيا رب متعني بسر حروفه	ونور به قلبي وسمعي ومقلتي

وبهذا تعلم أنه ليس في القرآن تكرار يخلو عن فائدة بل في ذلك أسرار لا يعلمها إلا القليل، فانظر إلى سورة الرحمن كم تكرر فيها قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ولكن لا تزداد إلا حلاوة، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات] أي بما ذكر قبله فلا تكرار ولا ثقل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات] إلى أن قال ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: بما ذكر من جعل الأرض كفاتا... إلخ الآية وهكذا.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ إذ ظرف مفعول أي واذكر إذ نادى ربك موسى والقصد أمته، وإنما وجّه الخطاب له عليه الصلاة والسلام تشريفاً وتكريماً



﴿أَنِ ٱئْتِ﴾ أي اذهب إلى ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهم فرعون الذين ظلموا أنفسهم وظلوا غيرهم، وبين أولئك القوم بقول ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ وهو ملك مصر، قال ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ أي: ألا يخشون الله تعالى، فأمره بالذهاب إليهم ﴿قَالَ رَبِّ﴾ أي: يا رب ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ قيل العقدة التي في لسانه لما خُيِّر بين التمرة والجمرة فأزال الله تلك العقدة كما قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٧]، وقيل إنه لما قدم موسى على فرعون قال أتعرفون من هذا؟ قال هذا الإسرائيلي الذي كان يتلكأ؛ ولذا قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾، قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ إلى أن قال ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ أي: ابعث إليه ليوازرني، فنزل جبريل بالرسالة على هارون وأمره أن يستقبل موسى فلقيه فقال له: من الذي أخبرك بقدومي؟ قال: الذي طلبت منه أن يجعلني رسولا، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ المعنى أن لفرعون وقومه ذنب ادعاء لا حقيقة، وإلا فهو في الحقيقة ليس ذنب، وهذا اعتراف بحسب زعمهم، ويعترف الخصم بذنب الخصم ليَكِرَّ عليه بالنقض، ولذا قال الخليل ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ﴾ [الأنعام: ٧٧] فالمعنى هذا رب في زعمهم وفي ادعائهم، وقول موسى من هذا القبيل، وقتل موسى للقبطي ليس بذنب لوجهين:

الأول: إن القبطي كافر وتعدى على الإسرائيلي المسلم، فلما استغاث بموسى أغاثه فقتله وهو مستحق للقتل؛ لأنه كافر.



الثاني: إن القبطي هو المتعدي على الإسـرائيلي وإلا فلو كان ذنب ويسـتحق موسـى القتل لما قال ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ بل أسـلم نفسه للقصاص.

واعلم أن (كلا) لم تأت في النصف الأول من القرآن، ولم تنزل في القسم المدني أبدا، وتكررت في القرآن ثلاثة وثلاثون مرة.

ومما يحكى أن امرأة سـجن الحجاج ولدها فجـاءت تطلب فكه فأبى، فدعت عليـه، وقالت: نفى الله عنك الرحمـة كما أخرج كلا من النصف الأول من القـرآن، فطلب الحجاج المصحـف وتأمل النصف الأول من القـرآن فلم يجد فيـه كلا، فقال لو وجدتهـا لأمرت بقطع عنقها، أطلقوا سـجينها، وأعطوها ألف دينار، كأنه ما عرف هذه الفائدة إلا من هذه المرأة. اهـ.

■ الدرس الرابع والتسعون[1]

تفسير الآيات ١٠ ـ ٢٢ من سورة الشعراء

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الشعراء].

هذه قصة موسى وهارون وما جرى لهما حين ما بعثهما الله تعالى إلى فرعون ملك مصر والأقباط، وكان قد طغى وبغى وتكبر وتجبر، وادعى أنه الرب الأعلى، ومكث على ذلك مدة طويلة، وأمهله الله ﷻ، وهو لا يزداد إلا عُتُوّاً ونفوراً، فأرسل الله إليه موسى، فطلب موسى أن يرسل معه أخاه هارون.

---

(١) كتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٢/١٥هـ.



قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ ﴾ وكان النداء في مصر، وكان قد قتل القبطي، وخرج إلى مدين فاراً إلى سيدنا شعيب، فأكرمه واستأجره عشر سنين، وأعطاه عصاً، ثم رجع يريد مصر ومعه العصا وزوجته بنت شعيب.

فلما كان في الطريق في ليلة باردة مظلمة أخذ زوجته الطلق فطلبت ناراً، فتوجه موسى يريد ناراً، فدخل الوادي وهو في شدة الكرب، فرأى ناراً تتقد، فأقبل نحوها، فغشيته السحابة، وناداه الله ﷻ فقال له ربه ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى ﴾ [طه: ١٤]، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص: ٢٩ ـ ٣٠].

ثم أمره الله ﷻ أن ألقِ ما بيدك، وكان بيده العصا، فألقاها فإذا هي حية عظيمة أقبلت على الرمل فسفته، وأقبلت على الشجر فابتلعته، وأقبلت على كل حجر في الوادي فابتلعته حتى أنه ليسمع له تحت أنيابها قعقعة، فلما رآها خاف ففر، فناداه الله ﷻ أن أقبل ولا تخف فسنعيدها عصاً، فأمره تعالى أن يأخذ بفكيها، فمسك بها، فصارت عصا بإذن الله تعالى لها شعبتين، وأفنى الله كل ما أكلته من رمل وحجر وشجر قال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾ [القصص: ٣١]، وهذه النار التي رآها هي نور، ولهذا لم يكن لها دخان، والشجرة التي رآها تتقد هي شجرة زيتون، وكان موسى أسمر اللون فأمره تعالى: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ



تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ [القصص: ٣٢] فلما وضع يده في جيبه وأخرجها صارت بيضاء تلمع لها نور أضاءت منه قمم الجبال، ثم قال: يا رب كيف أصنع؟ قال: ردها إلى جيبك فردها ثم أخرجها فعادت كحالها قال تعالى: ﴿ اُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [القصص: ٣٢]، وهذه النار التي جعلها الله تعالى علامة لموسى كانت سبباً لجذبه إليها حتى يصير نبياً ورسولاً، وكانت على جنس ما يطلب، وغشيان السحابة علامة على نزول الوحي، والنار أو النور علامة لنزول الوحي أيضا، وكانت العلامة من جنس ما يطلب؛ لأنه خرج يطلب ناراً تتدفأ بها زوجته من البرد، وكذا قال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز:

جَاءَ الخِلافَةَ أَوْ كانَتْ لَهُ قَدَراً كَما أَتَى رَبَّهُ موسى عَلى قَدَرِ

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ ولما أمره الله بالمسير سار إلى مصر، وترك زوجته في الطلق في الطريق، فسخر الله لها أناس، وذلك أن قافلة قدمت إلى مصر فوجدوها وأتوا لها بنار، وحملوها وردوها إلى أبيها شعيب، وقد أعلم الله شعيب بنزول الوحي على موسى، وأنه مضى إلى مصر، وترك زوجته بأمر الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ ﴾ يعني قتله للقبطي، والمعنى أنه ذنب في زعمهم، أو أنه قتله قبل أن يأمره الله بذلك، وهذا خلاف الأولى، وبالنسبة لمقامه الشريف ذنب؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وعصمة الأنبياء ثابتة بالدليل القطعي، وما روي عن بعض الرسل من الذنوب فينبغي أن يحمل على أقرب وجه.



وخوفه ﷺ من القتل ليس المعنى أنه خاف خوفا يؤدي إلى النقص من مقامه الشريف، ولكنه خاف أن يدركه القتل قبل أن يؤدي الرسالة وقبل أن ينهض بدعوة ربه، على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لهم حالتان:

حالة ترقي. والحالة الثانية حالة تشريع.

فمثال ذلك اتخاذه ﷺ حارساً على العريش يوم بدر ولبسه الدرع واللّامة للحرب، فهل نقول: أنه فعل ذلك خوفا من القتل؟ لا، وإنما فعل ذلك لأجل التشريع، فنحن مأمورون بغلق أبواب البيت حتى لا يدخل اللصوص، وبربط الدابة حتى لا تنفلت فاربطها وتوكل، وبالأكل والشرب؛ لأنه قوام الحياة، وبالنوم؛ لأنه يدفع الأمراض وهكذا.

واعلم أن الخوف أنواع خوف من الشيطان، وخوف من عذاب الله، وخوف من أسباب الهلاك والتلف، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فهذا نهي عن الخوف من الكفار؛ لأنه ينشأ من الشيطان.

أما الخوف من عذاب الله والخوف من الأسباب في رضا الرحمن فهذا محمود ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

وهكذا الخوف منه ما يكون ممدوحاً، وما يكون مذموماً كالخوف من الخروج للجهاد، وكالخوف من السؤال عما أشكل عليه من العلم، والخوف أيضا من السفر لأداء فرض الحج.

والحاصل: أن كل خوف يؤدي إلى نقص في فريضة أو مندوبة فهو من الشيطان، وكل خوف يقع لترتب الأحكام الشرعية عليه فهذا خوف من الله؛ لأن الله أجراه على أيديهم ليرتب عليه الأسباب والحكم، وكل خوف من أسباب التلف والهلاك فهذا خوف طبيعي.

قال تعالى: ﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ واعلم أن المعية قسمان:

معية عامة وهي لجميع العباد المؤمن والكافر بمعنى أن الله معنا بعلمه قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧].

ومعية خاصة وهي المعية بالنصر والتأييد كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ ﴾ خطاب من الله ﷻ لموسى وهارون ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال العلماء رسول على وزن فعول، وهو يقع على المفرد والجمع، فيقال: هذا رسول وهؤلاء رسول، فإنه يستوي فيه المفرد والجمع، ﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ﴿ أَنْ ﴾ بمعنى أي، والمعنى أي أرسل معنا بني إسرائيل، أي أطلقهم وخل سبيلهم ولا تستعبدهم، وكان فرعون استعبد بني إسرائيل أربعمائة سنة، وكان بنو إسرائيل إذ ذاك ستمائة وثلاثون ألف، فانطلق موسى وهارون إلى فرعون وجعلا يترددان على بابه سنة كاملة لم يؤذن لهما، وكان فرعون ملكاً جباراً سفّاكاً للدماء،



وكان كلما أخبر بالإسرائيليين يعني موسى وهارون لا يتكلم، فلما مضت سنة دخل البواب، وقال: إن بالباب إسرائيليين يزعمان أنهما رسولان من الله إليك، فقال ائذنوا لهما لنضحك بهما، وكان فرعون إذا جلس يجعل وراءه السباع من أسود ونمور وفهود حتى إذا دخل أحد تدخله الهيبة، فلما دخل موسى وهارون قامت السباع وأقبلت على موسى وهارون وجعلت تلحس أقدامهما، فتعجب فرعون ووزراءه من ذلك، فلما جلس موسى بين يدي فرعون نظر فيه ملياً، فإذا هو الإسرائيلي الذي رباه سابقاً ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ فمن أين لك هذه الرسالة؟!، وأراد بذلك استحقاره وأن يبعد ما ذكره وما تكلم به، ثم قال له ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يعني الكافرين للنعمة ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ اختلف العلماء في معنى قوله ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ كيف يكون من الضالين وهو من الأنبياء، والعصمة ثابتة لهم قطعا، ولو كانت الذنوب تصدر منهم لما أمرنا بإتباعهم، فقد أمرنا بإتباعهم وأمر نبينا بإتباعهم قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠] فهم معصومون قبل النبوة وبعدها هذا عند أهل السنة والجماعة، وعند المبتدعة والمعتزلة أنهم معصومون بعد النبوة لا قبلها.

وما صدر منهم مما ظاهره المعصية يحمل على أحسن محمل، وهنا نورد أقوال العلماء في تفسير معنى قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾:

القول الأول: قال ابن عباس ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ أي: أن الوكزة لا تبلغ في المبلغ مبلغ القتل، فكأنه يقول إنني أقر أني وكزة القبطي وكزة ما أظن أنها تقتله فهذا اعتذار.



القول الثاني: وهو مروي عن مجاهد وابن عباس معنى قوله ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: المخطئين والناسين، والمعنى أنني نسيت أن قوتي عظيمة وأن وكزتي تقتله، وقد اعتذر الله ﷻ لآدم بقوله ﴿فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥].

القول الثالث: إن معنى قوله ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي المتحيرين، فهو من الضلال بمعنى التحير، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] أي: وجدك متحيراً في هداية قومك فهداك إلى أسهل طريق بإنزال القرآن.

وأما هو ﷺ فلم يكن ضالاً، وما سجد لغير الله قط، وما دعا لغير الله قط، فهو خلق مؤمنا، ونشأ مؤمناً، بل كان مؤمنا في عالم الأرواح قبل أن يخرج إلى عالم الأشباح.

وقد ظن بعض العلماء أن معنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ أنه ضل ذات يوم عن الطريق في رعيه الأغنام، وهذا لا يقال في فتى قرشي ذكي نبيه يعرف مكة وشعابها فهل ترى أن الطريق تعمى عليه، فالمعنى أننا وجدناك ضالاً أي: متحيراً في هداية قومك، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وعلم الغيب علم قديم ذاتي يطلع الله من شاء من عباده عليه وهو قديم، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].



ومهما وصل العباد من العلم لا يتوصلــون إلى معرفة علم الغيب، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقد نفى الله علم الغيب الذاتي عن الرسل فقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فما شاء الله أن يطلع نبياً على ما شــاء عليه من علم الغيب فيطلعه، وما لا فلا، لكن علم الغيــب علم مطلق وقديــم، وكم من فرق بيــن علم الغيب وغيره.

وقد تقدّم آنفــاً أن عصمة الأنبياء قبل النبــوة وبعدها فكيف يكون قبل النبوة وبعدها محلا للأقذار والذنوب، وقد اعتذر تعالى لآدم فقال: ﴿فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] والناســي معذور إلا أن الأنبياء لعلو مقامهم ما صدر منهم وهو خلاف الأولى يكون ذنباً بالنسبة إلى مقامهم الشريف وقدرهم المنيف لا بالنسبة إلى الواقع ونفس الأمر؛ ولهذا قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين.

والأنبيــاء عندهم خوف مثل البشــر، وهذا الخــوف لا ينقص من قدرهــم؛ لأن العصمة تقطعــه، فالعصمــة الربانية تجعــل بينهم وبين الاستمرار فيه حجابا.

والحاصــل: إن كل عــرض من الأعراض البشــرية تليــق بمقامهم ولا تنقص من قدرهم فتجوز عليهم وما لا فلا. اهـ.

■ الدرس الخامس والتسعون[1]

تفسير الآيات ٣٨ ـ ٥١ من سورة الشعراء

قال تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء].

قال تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ وكان عددهم تسعين ألفاً هم وأتباعهم ﴿لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وكان يسمى عندهم يوم النيروز، ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ يعني الأقباط ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ فاجتمع الأقباط والسحرة، قال تعالى حكاية عنهم ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾ فكان في ظنهم أن الغلبة تكون للسحرة، ولهذا لم يقولوا: لعلنا نتبع موسى إن كان هو الغالب.

---

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٢/٢٣هـ.



واعلم أن السحر أنواع: فمنه ما يقلب الشيء حقيقة كأن يُقْلبَ الإنسانُ حيواناً وذلك بقدرة الله ﷻ، ومنه ما يقلب الشيء خيالا، وهو أنواع وهو لا يضر إلا بإذن الله قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤].

وقد سحر النبيَّ ﷺ لبيدُ بن الأعصم، فكان عليه الصلاة والسلام يخيل إليه أنه أتى الشيء ولكن ذلك التخيل والانقلاب إنما وقع له بحسب الأشياء الدنيوية ولم يصل إلى قلبه؛ لأنه عرش للتجليات الصمدانية.

وكان يخيل إليه أنه دخل الليل أو أنه اغتسل ولم يقع شيء من ذلك فنزل عليه قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ١ ـ ٥]، فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة، وكان سحره عليه الصلاة والسلام في أحد عشر عقدة.

وقد أنزل الله الملكين هاروت وماروت إلى أرض بابل ليُعلِّمَا الناس السحر فتنة من الله واختباراً لعباده قال تعالى: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ولولا السحر لما ظهرت المعجزات؛ لأنه ضدها

والضدُّ يُظْهِرُ حسنَه الضدُّ

غيره:

وبضدِّها تتميَّزُ الأشياءُ[1]

---

(١) وهذا البيت في ديوان عبدالرحمن الموصلي وصدره: وتَمَيَّزتْ عمَّا مضى أمْ كيفَ لا.



ألا ترى لهؤلاء السحرة الكفرة الفجرة لما رأوا الآية العظمى والمعجزة الكبرى آمنوا وصدقوا، فما أشرقت الشمس إلا وهم يحلفون بفرعون ﴿ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ﴾ وما غربت إلا وهم يقسمون برب العالمين، وما أشرقت إلا وهم كافرون من أهل النار، وما غربت إلا وهم مؤمنون من أهل الجنان، وما عملوا من عمل إلا سجدة واحدة، ولهذا قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ٧٣]، وفي رواية: إن فرعون قال لمن عندهم لمَّا خروا ساجدين: إن هؤلاء السحرة سجدوا لي، فلما رفعوا رؤوسهم ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾.

الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر:

أن المعجزة هي: أمر خارق للعادة يخلقه الله تعالى على يد نبيه لطلب التحدي ولتأييد الوحي الرباني.

والكرامة هي: أمر خارق للعادة يخلقه الله تعالى على يد ولي تأييداً له ولإظهار فضله.

وأما السحر فهو: أمر خارق للعادة يخلقه الله تعالى على يد فاسق أو دجال لإبطال الوحي الرباني من غير تحدي، والسحر منه ما يكون حقيقة بقلب الأشياء أو خيال وهو يظهر على أيدي الكفار.

وغالب السحر كفر قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ ﴾ [البقرة: ١٠٢].



وأما الاستدراج فهو يظهر على يد فاسق أو عاصي استدراجا لهم، وبهذا تعلم الفرق بين السحر والاستدراج.

وليتأمل السامع كيف شك السحرة في إعطاء الأجر من فرعون، وأما بعد الإيمان فلم يشكوا في العطاء ولهذا قالوا ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وأراد أنهم يكونون من المقربين إليه، لكن الله ﷻ أجرى هذه الكلمة على لسانه؛ ليكونوا من المقربين إليه ﷻ، فقد قربهم الله إليه.

قال تعالى: ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ طلب منهم ذلك؛ لأن الحق يأتي على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

فأتوا بحبال وعصي وزئبق فنفثوا وقاموا وقعدوا وأبرقوا وأرعدوا فسحروا أعين الناس، وصار الناس ينظرون الوادي الذي كان مملوءاً حبالاً وعصياً فإذا هو مملوء حيات وثعابين، فصار الناس يتعجبون وأشرف فرعون وهو يتعجب، فألقى موسى عصاه، فإذا هي ثعبان عظيم، فأقبلت على جميع الثعابين التي في الوادي فابتلعتها، ثم أقبلت على الرمال فسفتها وابتلعتها، ثم أقبلت على الصخر فابتلعته حتى أنه ليسمع له تحت أنيابها قعقعة وأقبلت على الشجر فابتلعته، ثم أقبلت على الناس، وتعدت على السحرة ولم تصنع بهم شيئا، فازدحم الناس، ومات في الزحام عشرون ألفا، ثم أقبلت على قصر فرعون ووضعت فكها الأسفل تحت القصر وفكها الأعلى فوق القصر تريد أن تبتلعه، فصاح فرعون وصاح وزراؤه أن امسك يا موسى عنا هذا

وإنا لنؤمن بك، فهناك أمسك موسى بفكيها، فصارت عصا كما كانت، وأفنى الله ﷻ كل ما ابتلعته بقدرتــه ﷻ كما قال تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طـه: ٢١]، وهناك خَــرَّ ﴿ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝٤٦ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝٤٨﴾ إلى أن قال ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥١﴾ أي من الأقباط[1].

---

(١) قال الإمام النووي في شرح مسلم «قال الإمام المازري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة، خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته،.. قال القاضي عياض: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله في الحديث: (حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن) ويروى: (يخيل إليه) أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن، ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المســحور. وكل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء ثم لا يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبسا على الرسالة، ولا طعنا لأهل الضلالة. والله أعلم.
وأما ما يتعلق بالمسألة من فروع الفقه فعمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد يكون كفراً، وقد لا يكون كفرا، بل معصيته كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر، وإلا فلا وأما تعلمه وتعليمه فحرام، فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر، وإلا فلا. وإذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر، واســتتيب منه، ولا يقتل عندنا. فإن تاب قبلت توبته. وقال مالك: الســاحر كافر يقتل بالسحر، ولا يســتتاب، ولا تقبل توبته، بل يتحتم قتله. والمســألة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق، لأن الســاحر عنده كافر كما ذكرنا، وعندنا ليس بكافر، وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق. قال القاضي عياض: وبقول مالك قال أحمد بن حنبل، وهــو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعيــن. قال أصحابنا: فإذا قتل الســاحر بسحره إنســاناً، واعترف أنه مات بســحره، وأنه يقتل غالباً لزمه القصاص. وإن قال: مات به، ولكنه قــد يقتل، وقد لا، فلا قصاص، وتجب الدية والكفارة، وتكون الدية في ماله لا على عاقلته، لأن العاقلة لا تحمل ما ثبت باعتراف الجاني. قال أصحابنا: ولا يتصور القتل بالسحر بالبينة، وإنما يتصور باعتراف الساحر. والله أعلم». ٣٢٨/٧.

■ الدرس السادس والتسعون[1]

تفسير الآية ٥٢ من سورة الشعراء

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الشعراء].

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ الإسـراء هو السير ليلا، ومنه قولهم (عنـد الصباح يحمد القوم السـرى) وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] وحكمة إسـرائه ليلا أنه بدر الوجود، والبدر لا يظهر إلا بالليل

قلت يا سـيدي ولِمْ تؤثـر الليـ ـل علـى طلعـة النهـار المنير
قـال لا أسـتطيع تغيير رسـمي هكذا الشـأن في طلـوع البدور

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ أمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل، وكان عددهم ستمائة ألف سوى الذين قتلهم فرعون لما أخبره السـحرة بأنه يكون زوال ملكه على يد غلام من بني إسـرائيل، فأمر فرعون أن يقتل كل غلام يولد لبني إسرائيل، ووكل بكل امرأة من بني إسرائيل قبطية حتى إذا ولدت، فإن كان ذكرا قتلوه، وإن كانت أنثى لم تقتل.

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٢/٢٩هـ.



فأمر الله موســى أن يجمع بني إســرائيل فجمعهم واستعاروا تلك الليلة حلي الأقباط بصفة أن عندهم عرس، فخرج بهم موسى، وأخذوا معهم الحلي.

ثم كان طلب موسى الخروج من مصر بســبب اشتداد الأذى ببني إسرائيل كما هاجر نبينا ﷺ إلى المدينة وكما هاجر إبراهيم إلى القدس وكما هاجر المسيح.

ولم يدع موســى على فرعون وقومه إلا بعد أن يئــس منهم فدعا عليهم وقال ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [يونس: ٨٨] وذلك مثل نوح فإنه مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً فلما أيس منهم دعا عليهم، وإلا فإن النبي لا يدعو علــى قومه إلا بعد أن ييئس منهم، ومع هذا فنبينا ﷺ لم يدع على أمته، ولما أراد أن يدعو عليهم نزل قوله تعالــى: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ ﴾ [آل عمــران: ١٢٨]، وقال جبريل: (إن الله لم يبعثك سباباً ولا فحاشا)... اهـ.

■ الدرس السابع والتسعون[1]

تفسير الآيات ٦٠ ـ ٧٤ من سورة الشعراء

قال تعالى: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الشعراء].

قوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم ﴾ يعني: فرعون اتبع قوم موسى ﴿مُّشْرِقِينَ ﴾ أي: مع إشراق الشمس، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾ يعني: أصحاب موسى وفرعون.

ويروى أن يوشع تقدم إلى موسى وقال: إلى أين يا موسى هذا العدو وراءك وهذا البحر أمامك؟ فقال موسى ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾،

---

[1] كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٢/٣٠هـ.



وقد أوحى الله إلى البحر أنه سيضربك عبد لي مع إشراق الشمس فانفلق له اثنا عشر طريقا، فضربه موسى فصار كذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٧٧]، قال تعالى: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

ولما جاء فرعون ونظر إلى البحر فانبهت، وقال لقومه: ألا ترون إلى البحر وقد انفلق لعظمتي فاقتحم البحر فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَزۡلَفۡنَا﴾ أي: قربنا ﴿ثَمَّ﴾ اسم إشارة أي: هناك ﴿ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ يعني: فرعون وقومه أراد الله دخولهم إلى البحر حتى يغرقهم، قال سعيد بن جبير: (كان البحر ساكناً لا يتحرك أبدا، فلما خرج آخر رجل إسرائيلي انطبق البحر فسمعوا له صوتاً عظيماً، فقالت بنوا إسرائيل: ما هذا يا موسى؟ فقال: هذا صوت البحر انطبق على عدوكم فطيبوا نفساً وقروا عينا)، قال تعالى: ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ﴾، قال ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ هذا يدل على أن الأقباط منهم من آمن وهم عدد قليل منهم آسية امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون الذي يكتم إيمانه، وأما بنو إسرائيل فكلهم آمنوا بموسى عليه السلام، وهذا الإغراق خاص بالأقباط فهذا عذاب خاص كعذاب قوم هود وصالح، وأما العذاب العام فهو الذي يعم أهل الأرض أجمعين كطوفان نوح، وقد رفع الله العذاب العام عن أمة هذا النبي الكريم ببركة دعوته عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ اعلم أن المعية قسمان:

الأول: معية عامة وهي المعية بالعلم، قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].



الثاني: معية خاصــة وهذه المعية تكون بالحفــظ والكلاءة والنصر والتأييد كقوله تعالى حكاية عن النبي ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وكقول موسى ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهۡدِينِ﴾.

واعلم أن النبي ﷺ لما كان في الغار وجاء المشركون إلى تحته فقال أبو بكر: «يا رســول الله لو نظر واحد منهم موضعَ قدمه لأبصرنا، فماذا نصنع يا رسول الله؟، وخاف فثبته ﷺ وقال له: يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا» ففي هذا المقام تجلى الله على أبي بكــر بالجلال فلهذا صدر ما صدر منه، وتجلى الله على نبيه بالأمان والجمال فلهذا ثبَّت الصديق رضي الله عنه.

وفي غزوة بدر لمــا جعل العريش له ﷺ وكان الحارس له ســيدنا أبا بكر، فلما التحم القتال قام ﷺ يناشــد ربه، ويقــول: «اللهم إن هذه قريش قد أقبلت بكبريائها وخيلائها، اللهم إن تهلك هذه العصابة فإنك لن تعبد في الأرض»، أو كما قال، ودعا الله بالنصر للمؤمنين، وما زال يدعو حتى سقط الرداء من كتفه، فجاء أبو بكر ورد إليه الرداء وقال له: (إن الله سيصدقك وعده)، فهنا ثَبَّت الصديق النبي ﷺ عكس ما وقع في الغار؛ لأن في هذا المقام تجلــى الله على نبيه بالخوف والجلال وعلى أبي بكر بالأمان والجمال.

قال تعالــى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحــل: ١٢٣]، والمراد بالاتباع إنما هو في الأصول، أما في الفروع فكل شريعة ناسخ ومنســوخ، وكل شريعة تخص أصولها في توحيد الله عز وجل والبراءة من الشرك.



قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ أي: واذكر أيها النبي الكريم نبأ إبراهيم، والنبأ هو الخبر العظيم.

قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ واعلم أن إبراهيم خلق على الفطرة ولكنه أراد أن يسأل قومه؛ ليقيم الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ وكان قومه يصنعون الأصنام، وكان أبوه يصنعها ويأمر إبراهيم أن يبيعها، فكان إذا أراد أن يبيعها يقول: (من يريد أن يشتري الذي لا يضر ولا ينفع)، وقيل: إن أباه كان رئيس السدنة أي: صناع الأصنام، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ أي: ملازمين، فرد عليهم الخليل وقال لهم: ﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ أي: إن تركتم عبادتكم، فلما قال لهم ذلك، ما قالوا إنها تنفع أو تضر؛ لأنه كذب، بل تركوا الجواب عن هذا الإشكال ورجعوا إلى التقليد ﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ وهذا شأن العاجز إذا عجز عن الدليل رجع إلى التقليد.

■ الدرس الثامن والتسعون[1]

تفسير الآيات ٦٩ ـ ٨٠ من سورة الشعراء

قوله تعالى: ﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم ﴿٦٩﴾ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ﴿٧٠﴾ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ﴿٧١﴾ قال هل يسمعونكم إذ تدعون ﴿٧٢﴾ أو ينفعونكم أو يضرون ﴿٧٣﴾ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴿٧٤﴾ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ﴿٧٥﴾ أنتم وآباؤكم الأقدمون ﴿٧٦﴾ فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴿٧٧﴾ الذي خلقني فهو يهدين ﴿٧٨﴾ والذي هو يطعمني ويسقين ﴿٧٩﴾ وإذا مرضت فهو يشفين ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء].

هذه الآيات المباركات تشتمل على قصة إبراهيم خليل الرحمن، وإمام الحنفاء، وأبي الأنبياء عليه أفضل الصلاة والسلام، وما وقع له من المجادلة مع قومه عموما ومع أبيه خصوصاً، وكيف كانت تلك المحاورة في دفع خصومتهم، وكيف كانت قدرة الله في حفظ خليله، ولا شك أن الله تبارك وتعالى أمرنا بإتباع ملة إبراهيم، بل وأمر نبينا بإتباع ملة إبراهيم، فقال تعالى: ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٣/٦هـ.

حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالى في كتابه العزيز ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠] فهذا دليل على أن الله تعالى أمر نبيه وأمته باتباع إبراهيم، وإنما أمرنا باتباع إبراهيم؛ لأنه إمام الحنفاء؛ ولأن عرب قريش كانوا على بقيةٍ من ملة إبراهيم، فمن أجل ذلك أمر الله باتباعها؛ ولأن إبراهيم هو النبي والرسول الذي أجمع أهلُ الملل والشرائع على عظمته، وتجاذبته اليهود والنصارى والمشركون؛ فاليهود يزعمون أنه كان يهوديا، والنصارى يزعمون أنه كان نصرانيا، والمشركون يدعون أنه كان مشركا، ولكن القرآن أبطل هذه الدعاوى فقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصۡرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسۡلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقد أنبأ الله بالحمق في هذه الدعوى على اليهود والنصارى؛ لأنه متى كانت اليهودية أو النصرانية في زمن إبراهيم، فنبي اليهود موسى، ونبي النصارى عيسى، وهؤلاء كلهم جاؤوا من بعد إبراهيم؛ فإبراهيم موحد مؤمن.

وأما قوله للمشركين لما رأى الكوكب ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ ﴾ [الأنعام: ٧٦] فهذا موافقة لهم في الظاهر حتى يكر عليهم بالنقض والإبطال، ولهذا قال لهم ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ ﴾ [الأنعام: ٧٦] أي: أهذا ربي، فهو استفهام على سبيل الإنكار كما يقول منكرٌ للمدعي: أهذا تدعيه، وهكذا فمن هنا تبيّن أن إبراهيم أبو الأنبياء، وإمام الحنفاء، وأمرنا الله باتباعه والاقتداء به.

لكن لما وعد إبراهيم أباه واستغفر له وهو مشرك نهانا الله عن اتباعه في هذا الشيء بخصوصه، فقال تعالى: ﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ ﴾ [الممتحنة: ٤].



فإن قيل: كيف استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك؟.

والجواب: قد تولاه القرآن فقال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤] وهذا الوعد قد فسره القرآن في سورة مريم، قال تعالى حكاية عن إبراهيم ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ [مريم: ٤٧]، وسبب ذلك أن أباه هدده وقال له: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٦]، فأجابه إبراهيم فقال: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ﴾ [مريم: ٤٧].

فقصة إبراهيم من أعجب القصص، قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ والنبأ هو الخبر العظيم، وأما الأمور التافهة فيقال: فيها أخبار، ولا يقال: فيها أنباء.

واعلم أن الحنيف مشتق من الحنف وهو الميل، ولذا يقال لقس بن ساعدة الأحنف؛ لأنه إذا مشى مال لعرج برجله، ويقال لمن مات حنيف أي: مائل، ويقولون للمسلمين حنيفيون أي: مائلون عن عبادة الأوثان، ومثله الصابئون؛ ولذا تقول قريش لمن أسلم صبأ فلان يعني: مال عن عبادة الأوثان، وقال تعالى في سورة يوسف: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ [يوسف: ٣٣] يعني: أميل إليهن، فإبراهيم يقال له الحنيف؛ لأنه حنف أي: مال عن عبادة الأوثان إلى عبادة ربه.

وكان أبو إبراهيم هو الرئيس على السدنة أي: على الأصنام، فكان يعطي إبراهيم الأصنام ويأمره أن يبيعها، فكان إبراهيم ينادي ويقول:



(يا من يشتري ما لا يضر ولا ينفع)، وكان يأتي بها إلى البحر فيقولون له: ماذا تصنع بهن؟ فيقول: عطشت وأريد أن أسقيها فيقولون له: هذه جماد لا تعطش ولا تأكل ولا تشرب، فيقول لهم: إذا كانت هكذا فكيف تعبدونها.

قال تعالى: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ [مريم: ٤٧] أي: حافظ، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٨ ـ ٥٠] يعني: أن إبراهيم اعتزله قومه كلهم حتى أباه فعوضه بإسحاق وإسماعيل، فخرج من ذرية إسحاق ثلاثة آلاف نبي، ومن ذرية إسماعيل نبي واحد وهو نبينا ﷺ، ومن قبل هؤلاء كانت النبوة في بيت نوح، ومن قبله كانت النبوة في بيت آدم، فهذه البيوت هي بيوت النبوة يعني: بيت آدم وبيت نوح وبيت إبراهيم.

ولما اعتزل إبراهيم قومه أظهر أنه سقيم، يعني: سقيم القلب فقال لهم ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢ ـ ٥٧]، وإنما قال ذلك في نفسه، وكان لقومه يوم عيد يخرجون فيه إلى خارج البلد... إلخ القصة. اهـ.

■ الدرس التاسع والتسعون[1]

تفسير الآيات ٧٨ ـ ٨٠ من سورة الشعراء

قولـــه تعالـــى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾ [الشعراء].

سيدنا إبراهيم عليه السلام أســند المرض إلى نفسه تأدبا، ونظير ذلك قول الخضر في الســفينة ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، فأسند العيب الذي هو الخرق إلى نفسه، ثم قال في الغلامين ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ ﴾ [الكهف: ٨٢]؛ لما أنه خيرٌ نَسَبَه إلى ربه.

وفي الحديث: إن كل أفعال العبد منســوبة إلى ربه عز وجل إلا أن العبد له اختيار وتكليف، فلذا يثاب عليه ويعاقب قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

ولا ينافي التداوي قــول إبراهيم: ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾؛ لأنه ورد عنه عليه الصلاة والسلام: «يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شــفاء إلا داء واحدا، قالوا يا رسول الله وما هو؟ قال الهرم»[2]،

---

١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٣/٧هـ.

٢) أخرجه الترمذي في أبواب الطب باب ما جاء في الدواء والحث عليه برقم ٢٠٣٨، وقال حديث حسن صحيح.



ولا ينبغي أن تترك التداوي، وتقول: توكلت على الله، فالتوكل محمود لكن ينبغي استعمال السبب، لا على أن السبب مؤثر. ولكن الله يخلق مع السبب أثره، وقد يتأخر ذلك الأثر، فالله ربط الإحراق بالنار وتأخر ذلك في النار التي أُلقي فيها إبراهيم، ومنه غير ذلك، وبهذا تعلم أن هناك أسباب ومسببات، وأن الله يوجد المسبَبات مع وجود المسبِبات، لا على أن السبب يؤثر بنفسه، ولذا قال بعضهم:

ومن يقل بالطبع أو بالعلةِ ... فذاك كفر عند أهل الملةِ

ومن يقل بالقوة المودعةِ ... فذاك بدعي فلا تلتفتِ

ثم سأل سائل: هل الأفضل التداوي أو التوكل؟، فأجاب سيدي: هذا السؤال فيه إشكال؛ لأنه يدل على أن التداوي ينافي التوكل، ومع ذلك التداوي من أعمال الجوارح، والتوكل من أعمال القلوب، ومتى كانت أعمال الجوارح منافية لأعمال القلوب!! بل تداوَ وتَوَكَّلْ على الله

لقد جمع الله في ذكره ... من الطب كل الذي قد يجب

فقال تعالى كلوا واشربوا ... ولا تسرفوا إنه لا يحب

والمرض ظاهرُهُ نقمةٌ وباطنُهُ نعمةٌ؛ لأنه فيه الأجر والثواب، ولذا قال بعضهم:

وخفَّفَ عنِّي ما ألاقي من الأذى ... بأنك أنت المبتلي والمقدِّرُ

واختلف العلماء في قوله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا

بغير حساب، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون»[1] على قولين:

الأول: إنه إنما نفى عنهم ذلك باعتبار ما كان يعتقده العرب ويعتدون به؛ فإنهم كانوا إذا مرض أحد يقولون الآن تشفيه النار، أو الرقية فكانوا يسرفون في كي المريض زعماً أن النار تشفيه.

وقوله: «ولا يسترقون» المراد بها: رقى الجاهلية التي كانوا يستعملونها في الجاهلية، فالحديث ليس فيه النهي عن استعمال الكي أو الرقية، وإنما فيه النهي عن الاعتقاد الذي يعتقدونه في الجاهلية في النار وفي الرقية.

والرقية الشرعية قد استعملها الرسول وأصحابه، فعلى هذا يكون نفى الكي بناء على حسب اعتقاد العرب، ونفى الرقية بناءً على رقية الجاهلية.

القول الثاني: إن هذا الحديث مقام لأناس شاهدوا النقم نعماً فهم لا يتداوون من شيء من الأمراض، بل هم راضون مسلِّمون بذلك؛ فهؤلاء الذين بلغوا هذا المقام يصدق عليهم هذا الحديث، ويكون تداويه ﷺ للتشريع.

والأدوية التي لم نتحقق نجاستها يجوز التداوي بها كالطاهرة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق باب ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ برقم ٦٤٧٢، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب برقم ٣٧١.



وقوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ كيف وصفها بالعداوة مع أنها جماد؟.

والجواب: أنها أعداء باعتبار ما تؤول إليه في الآخرة؛ لأنها تتصور يوم القيامة في النار، وتبــرأ من عابديها وتحرقهم بالنار فتصير ضدهم، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: دون الله ﴿ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ [مريم]، فهذه الآية تبين عداوة هذه الأصنام.

وقوله: ﴿ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ استثناء منقطع، يعني: لا أَتَوَلَّاهم، ولا أرجو منهم نفعا، ولا أخشى منهم ضراً، وإنما أرجو ذلك من رب العالمين.

قال تعالــى: ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ أتــى بثُمَّ لما بيــن الحياة والموت مــن المهلة والتراخي، قــال تعالــى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ والمــراد الخطيئة في قوله في ســارة: (هذه أختي)، يعني: في الإســلام، وقوله في الكوكــب ﴿ هَٰذَا رَبِّى ﴾ [الأنعـام: ٧٦] أي: في زعمكم، وقوله ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: ٨٩] يعني: سقيم القلب، وهذه ليست ذنوبا حقيقية لكن بالنسبة إلى مقامه الشــريف، فهي من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

■ الدرس المائة[1]

تفسير الآيات ١٠٥ - ١١٦ من سورة الشعراء

قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الشعراء].

لما ذكر تعالى قصة إبراهيم وبين ما فيها من غريب الأخبار أخذ يذكر بعد ذلك قصة نوح، وقد وقعت في التاريخ قبل قصة إبراهيم؛ لأن نوح هو آدم الثاني، ولكن قدمت قصة إبراهيم في الذكر؛ لأن قصة إبراهيم أعجب، وقد أمرنا باتباع ملته فمن أجل ذلك قدمت قصة إبراهيم مع تأخرها؛ وبياناً لعظيم المشابهة بين قصته وقصة نبينا ﷺ.

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، سئل الحسن البصري فقيل له: يا إمام ما تقول في قول الله ﷻ ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ و﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ وهم إنما كذبوا رسولهم ولم يكذبوا بقية الرسل؟ فأجاب:

---

[1] كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٣/١٤هـ، وقبل هذه الآيات ٢٤ آية لم تفسر.

بأن الرسل جاؤوا كلهم بالتوحيد فمن كذب رسوله فقد كذب جميع الرسل، وبهذا يتبيّن أن دعوة الرسل كلهم هي التوحيد والبراءة من الشرك، قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلذا قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ وهم إنما كذبوا برسولهم فقط لكن لما أن الرسل دعوتهم واحدة كان من كذب برسول فقد كذب بجميع الرسل ومن كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ هذا إخبار من الله لنا بأن قوم نوح قد كذبوا نبيهم، ومعنى تكذيبهم أنهم كفروا وجحدوا برسالته.

ونوح هو أول رسول بعث إلى الكفار، ومن قبله إنما كانوا أنبياء فقط.

ونوح اسم عجمي، وإنما سمي بذلك ؛ لكثرة نَوْحِه، وقيل: سبب تلقيبه بنوح أنه مر بكلب أجرب فقال: ما أقبح هذا الكلب!!، فأنطق الله ذلك الكلب، وقال له: أتعيب النقش أم تعيب النقاش، فبقي ينوح دائما، وقيل: إن اسمه عبد الغفار.

والعــذاب المنزل على قوم نــوح عم جميع الناس مع أن رســالته خاصة ليست عامة، وبعد الإغراق أرسله الله إلى أولاده فرسالته خاصة من وجه وعامة من وجه؛ لكون الأرض ليس فيها غيرهم.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ﴾ أي: في الدين، لا في النسب، قال نوح ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يعني: ألا تتركون عبادة الأوثان والأصنام وتوحدون الله ﷻ.

وفي هذه الآيات من الفوائد أنه ينبغي للداعي أن يعرض الدعوة في أسـلوب رفق ولين، فانظر إلى التعبير بقولـه ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴾، ثم قال لهم ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾، ثم بيـن لهم من يتقونه فقال: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾، ثم بين لهـم أن الذين يتقونه ليـس هو محتاجاً إليهـم وليس محتاجا لأجل أن يأخذ منهم أجرة فقـال: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، ولهذا قال العلماء: إن العلم الشـرعي الضروري لا يجوز أخذ أجرة عليه إلا إن جعل أمير المؤمنين أجرة لمن أراد أن يعلم ذلك، أو كانت هنـاك أوقاف لذلك، وأما العلوم الأخـرى التي تعلمها فرض كفاية فيجوز أخذ أجرة عليه.

وأما القـرآن فإن كانت الفاتحـة فلا يجوز أخذ أجـرة عليها، وأما غيرها فيجوز؛ لحديث: «إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله»[1].

قـال تعالـى: ﴿ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾، وقال تعالـى: ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ ﴾ أي: ترجع ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ وفيـه أن الرجم معروف عند من قبلنا فلا عجب في رمي الزاني... إلخ ما قال. اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم برقم٥٧٣٧.

■ الدرس الحادي بعد المائة[1]

تفسير الآيات ١٢٣ ـ ١٤٠ من سورة الشعراء

قولـــه تعالـــى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [الشعراء].

لما كانت قريش لها رحلتـــان من أجل التجارة، مع من كان بعيداً منهم رحلة في الصيف والأخرى في الشـــتاء، وكانوا إذا ســـاروا إلى الشام مروا على ديار ثمود وعلى ديار عاد ذكَّرهم الله بقوم هود وكيف

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعـــاء ١٣٧٩/٣/٢٠هـ، وليلة الخميس ١٣٧٩/٣/٢١هـ. وقبل هذه الآيات خمس آيات لم تفسر.



أهلكهم الله، كما ذكرهم بقصة ثمود، فإذا مروا بتلك الآثار أخذوا منها درسا محسوسا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

تلك آثارنا تدل علينا

والعرب أمة اختارهم الله على سائر الأمم واختار منهم حبيبه ﷺ، والعرب أقسام: منهم العرب البائدة وهم الذين انقطعت أخبارهم ولم يعرف شيء من آثارهم إلا ما جاء به القرآن الكريم وما وجد على الصخور والعظام، وما سوى ذلك فأكاذيب، ولهذا بيَّن القرآن الكريم أن من أراد الاطلاع على أخبار من قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة لا يقدر على ذلك، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم: ٩]، فما جاء في السنة والقرآن والأحجار والأشجار من أخبارهم فهو مقبول وما سوى ذلك فأكاذيب وأقاويل ملفقة منقمعة، ولا يعلم حقيقة أخبارهم إلا رب العالمين.

وأما العاربة فهم عرب اليمن، وكان لهم تاريخ مجيد، وكانت لهم دولة كبرى لها قوة عظيمة تسمى دولة سبأ، فقد ذكرها الله في القرآن بل أنزل سورة باسمهم، ومنهم الأوس والخزرج، وقد أشار إليهم رسول الله ﷺ بقوله: «الإيمان يمان، والحكمة يمانية»[١].

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب المناقب برقم ٣٤٩٩.



وأما العرب المستعربة فهؤلاء هم أهل الحجاز من ذرية إسماعيل، ومنهم قريش، ومن قريش قبيلة بني هاشم، ومنهم رسول الله ﷺ، ولنا أمل جميل وثغر باسم أن نتكلم على العرب العائدة الذين يعيدون آثار العرب إن شاء الله تعالى.

وقبيلة عاد كانت تسكن الأحقاف، وهو ما يلي طرف حضرموت عند صحراء الدهناء، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ [الأحقاف: ٢١].

والأحقاف جمع حقف، والحقف هو التل أو الجبل من الرمل، ولهذا فإن بجوار حضرموت صحراء مملؤة بالرمال.

مجاهلٌ تحار فيهنّ القطا لا دمنةٌ لا رسم دار قد بقي

واعلم أن ثموداً يقال لهم عاد الثانية، وأما عاد الذين بعث لهم هود فيسمون عاد الأولى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ [النجم: ٥٠ ـ ٥١]، وإنما قيل لقوم صالح عاد الثانية؛ لأنها أشبهت عاد الأولى في القوة.

واعلم أن عاداً كانت من أقوى القبائل فكانت تقتل القبائل وتسبي أموالها، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥].

واعلم أن عاداً بعث إليهم هود من أوسطهم شرفا وأعزهم نسبا، وكان هود فصيح اللسان قوي الجنان حتى لُقِّب بخطيب الأنبياء،



وهود عليه السلام لما بعث إليهم لم يجد من قومه إلا العناد والغزو لمن حولهم مع الفساد، فلما رآهم كذلك دعا عليهم فابتلاهم الله بالقحط، فرحل منهم ناس إلى مكة ليستسقوا، فطلعت ثلاث سحب بيضاء وصفراء وسوداء، فاختاروا السوداء؛ لتكون لهم عذاب، ولهذا تقدمت قبلها الريح العقيم، وللريح ملائكة لا يخرجون الريح إلا بمقدار إلا يوم إهلاك قوم عاد فخرجت الريح على الخزنة من غير مقدار، فاستمرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما، فكانت تحمل الجمل بين السماء والأرض وتحمل الأشجار، وبعد أن أهلكهم الله بها صارت تدخل من أفواههم وتخرج أمعائهم من أدبارهم.

وأما هود ومن آمن معه فنجاهم الله تعالى ورجع هود إلى حضرموت فبقي هناك يعبد الله حتى مات، وله ابن يسمى هادون مات هناك أيضا.

ويقال: إن الريح حملت رجل من الأحقاف ووضعته في طرف نجد مما يلي جبلي آجا وسلمى، وذلك الرجل هو جبار بن صخر فوضعته على الأشجار، ولم يمت فأخبر الناس عما حل بقومه، ولما جاؤوا يستسقون إلى مكة أنشدت مغنية لهم تقول:

ألا يا قَيْل: ويحك قم فهيمن ... لعل الله يسقينا الغماما
فيسقي أرض عاد إنّ عادا ... قد امسوا لا يبينون الكلاما

والقَيْل: في لغتهم هو: الملك.

وقد كانت عاد تبني القصور العظيمة الفخيمة والسدود العظيمة، وقد جاء في القرآن أن هوداً حذرهم من الإسراف في العمران فقال



لهم ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾، وقد ورد في الحديث: «من أشراط الساعة إذا تطاول رعاء البهم في البنيان»(١).

وبيّن القرآن الكريم أن عادا كفروا بالله فقالوا ﴿ قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ٥٣]، ثم بعد ذلك قام فيهم خطيبا، فتعجبوا من فصاحته وصبره، فقالوا للعوام: أتدرون بحال هذا الرجل فإنه لما عادى الأصنام رمته بالجنون، ولذا قال تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ [هود: ٥٤].

وبهذا تعلم أن الرسل أقوى الناس على الإطلاق وأصبرهم وأشجعهم فانظر إلى قول نوح يقول ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس: ٧١]، فهذا رجل يقابل أمة، ولا عجب فالنبي أمة قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل: ١٢٠].

وتأمل قوله تعالى في وصف الريح أنها ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٥] فأمعن النظر في هذه الكلية.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، وقد بيّن القرآن الكريم أن عاد بلغت في الحضارة مبلغا لم يبلغه أحدٌ مثلها قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ [الفجر: ٦ ـ ٨]،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب ما جاء في البناء.



وبهذا يتبين أن للعرب حضارة ومجداً وتفنناً في الأشياء، ولنا عودة في الكلام إن شاء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ عاد قبيلة من قبائل العرب البائدة، وكانت تسكن الأحقاف، وكانت شديدة القوة، أرسل الله إليهم هوداً فدعاهم إلى التوحيد فازدادوا كفرا ونفاقا، وبعد ذلك أرسلوا وفداً إلى مكة؛ ليستسقوا فأهلكهم الله بريح الدبور، وهي تهب من المغرب، ومرت ريح باردة على هود ومن آمن معه، ثم نزل إلى حضرموت ومات بها، وقيل: إنه عاد إلى مكة ومات بها والله أعلم.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ في الحقيقة إنما كذبوا هوداً، ولكن لما كانت دعوة الرسل كلهم واحدة صار من كذب رسولا فكأنما كذب المرسلين.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ ﴾ أي: في النسب؛ لأن هوداً كان من قبيلة عاد، قال تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ التقوى هي وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١]، وقال تعالى: ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ أي: مرسل فيكم أمين على الرسالة ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ كرر الأمر بالتقوى زيادة في الحث عليها، وقيل: إن الأمر بالتقوى في الأولى في تقوى الشرك، وفي الثانية في تقوى المعاصي.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٢٧] يعني: ما ثوابي إلا على الله الذي أرسلني إليكم.

قال تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً ﴾ هذا توبيخ من هود لهم بأنهم يبنون القصور والبروج المشيدة حتى فوق الجبال ومرتفع الجبال الشامخة، فكانوا يبنون بيوتا عظيمة فخيمة، قال تعالى: ﴿تَعْبَثُونَ ﴾ أي: لأجل أن تعبثوا بمن مر عليكم، وقيل: إنهم اتخذوا بروجاً كبيرة وملؤوها بالطيور والبط والإوز وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ المراد بالمصانع قيل: القصور الشاهقة، وقيل: السدود، وقيل: القلاع، وعلى كل فاتخاذ هذه المصانع يدل على قوتهم.

أخرج ابن أبي حاتم بإسناده أن أبا الدرداء لما رأى ما حدث في دمشق من أبنية وتنظيم قام في المسجد وخطب بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: أما بعد فيا أهل دمشق أما تستحون.. تجمعون مالا، إنه كانت قبلكم أمم يجمعون فيوعون، ويأملون فينطقون، فأصبح أملهم غرورا، وأصبحت مساكنهم قبوراً، ألا إن عادا أمة ملكوا ما بين عدن وعمان، فمن يشتري مني ما ملكوا بدرهمين.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ يصفهم الله بالقوة والجبروت، قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾، ثم شرع هود يذكرهم بنعم الله عليهم ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: بالخير الذي تعلمونه، ثم ذكر تعالى ما أمدهم به فقال: ﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ وقيل: لها أنعام؛ لأنه يتنعم بصوفها ووبرها وشعرها، قال تعالى: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ

ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾ يعني: أنهم قالوا لهود سواء نصيحتك وعدمها، وإنما قالوا هذا؛ لأن قلوبهم كانت قاسية أشد من الحجر، فالحجارة تلين وقلوبهم أقسى منها.

أخرج الإمام الطبراني في إسناده أنه قال: «أبعد القلوب عن الله القلب القاسي»، قيل: وما القلب القاسي؟ قال: الذي لا تؤثر فيه النصيحة.

وقد بيَّن تعالى أن الآيات والنذر، بل المعجزات لا تنفع إذا لم يقدِّر الله إيمانهم؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾.

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ ﴾ أي: في إهلاك قوم عاد ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

تفسير الآية ١٤١ من سورة الشعراء

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤١].

هذه هي عاد الثانية، وكانت مساكنها الحجر ما بين المدينة والشام، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الحجر: ٨٠].

واعلم أن ثموداً كفروا بالله ورسوله، وكان لهم صنم يسمى صمودا، فأرسل الله إليهم صالحا، فدعاهم إلى الإسلام، ولما أراد النبي ﷺ أن يغزو تبوك عندما بلغه تجمع الروم وعرب الشام لحربه سار من المدينة في جيش عظيم يبلغ تسعين ألفا، فلما بلغ ذلك الروم ارتجوا وخافوا، فوصل عليه الصلاة والسلام إلى تبوك وجاءه الوفود سالمين طائعين.

ولما أراد الرجوع قال ﷺ: «إنكم ستمرون غداً على ديار قوم ثمود فلا تدخلوها إلا وأنتم باكون مقنعي رؤوسكم»، وهكذا ينبغي في كل محل نزل فيه العذاب ومثله وادي محسر، وهو الذي زنى فيه رجل بامرأة في الجاهلية، فنزلت عليهما نار من السماء فأحرقتهما، فكانوا يسرعون فيه حتى تحسر رؤوسهم، وأما ما يروى أن أصحاب الفيل أهلكهم الله فيه فذلك وهم، والصحيح أن أصحاب الفيل إنما أهلكهم الله عند المغمس قرب ديار بني عمار حول جبال كبكب ولم يدخلوا الحرم أصلاً.

■ الدرس الثالث بعد المائة[1]

تفسير الآيات ١٤١ ـ ١٥٩ من سورة الشعراء

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَـٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَـٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾ [الشعراء].

لما ذكر تعالى قصة عاد وبيّن مصيرهم وذكر العبرة في ذلك لعباده ذكر بعد ذلك قصة ثمود، وهم عاد الثانية، وأما الأولون فهم عاد الأولى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [النجم: ٥٠ ـ ٥١]، وهذا إخبار من الله ﷻ بما وقع لنبيه صالح، فإن الله تعالى اختار عبدا صالحا من أوسطهم نسبا وأشرفهم حسباً وأصطعهم محجة، ومع ذلك

[1] كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٣/٢٧هـ.



كفروا به فحقت كلمة العذاب على الكافرين، وأنجى الله نبيه ومن معه من المؤمنين، وهـذه القصص وإن وقعت لقرون قـد خلت فقد قصها تبارك وتعالى؛ لأن فيها عبرة لمن اتعظ فكفار قريش وسائر بلاد العرب يذهبون إلى الشام في تجارتهم ويمرون على ديار ثمود في الحجر

تلك آثارهم تدل عليهم فانظروا بعدهم إلى الآثار

ولهذا لما ذكر تعالى القصص قال وللكافرين أمثالها.

وكان ثمود يسكنون الحجر وهو ما بين المدينة والشام، ويسمى الآن مدائن صالح، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الحجر: ٨٠] والحجر هي ديار ثمود، ويطلق الحجر على العقل؛ لأنه يمنع صاحبه من كل قبيح، قال تعالى: ﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴾ [الفجر: ٥]، ويطلق الحجر على كل ما هو ممنوع محصن قال تعالى: ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣]؛ فكل ما حفظ وحصن يقال له حجر، ويطلق الحجر على مجمع الثوب من الإنسان وتُسَمِّيهِ العوام[1] العُبَّ، قال تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم ﴾ [النساء: ٢٣]، ويطلق الحجر على حجر إسماعيل وهو معروف، وأصله من البيت ولكن قريشا أخرجته من الكعبة لما قصرت النفقة.

ويطلق الحجر على المركوب فيقال: ركبت حجراً، ويطلق الحجر على الكلام القبيح، وللحجر معاني كثيرة، وما ذكرناه فيه كفاية.

وثمود طغوا وبغوا، ولما قام فيهم صالح داعياً اجتمعوا، وقالوا:

(١) أي: عوام مكة المكرمة.

أنت يا صالح كنا نرى فيك الرجل الخطيب الفصيح، وكنا نعد فيك الرجل العاقل الذي يحل المشكلات، وكنا نعد فيك الرجل الزعيم الذي نراك تقوم معنا... أصبحت سفيها وتخالف معتقدنا وآلهتنا، ضاع رجاؤنا فيك وخاب أملنا فيك، ولذا قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٢ ـ ٦٣]، ثم أمرهم بالاستغفار فقال: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، فاجتمع الزعماء من قوم صالح، وقالوا: لا بد أن نجعل لصالح حدا لا يتجاوزه، وقالوا: نطلب منه أن يطلب من ربه أن يخرج لنا ناقة من هذه الصخرة، ونشترط أن نحلب كلنا منها ونشرب منها، فلما طلبوا منه ذلك طمع صالح في إيمانهم فطلب من ربه ذلك، فقال له إنني إن آتيتهم هذه الآية ولم يؤمنوا أخذتهم أخذ عزيز مقتدر، فنزل عليه جبريل وقال له: يقول لك ربك صم ثلاثة أيام، وإذا كان في اليوم الثالث فاخرج إلى بطن الوادي أنت وقومك، وصل لربك ركعتين، وابتهل لربك، وسيعطيك هذه الآية، فلما كان في اليوم الثالث نادى صالح على قومه فخرجوا إلى بطن الوادي ينتظرون هذه الآية، فلما خرجوا قام صالح وتضرع لربه، فتحركت الصخرة وانشقت فخرجت منها الناقة كما ينبت الزرع من الأرض، فبدا أولا سنامها وهكذا حتى خرجت كلها، فإذا هي ناقة عظيمة وخرجت وهي حامل حتى يشربوا من لبنها، فلما خرجت أنَّت أنين الثكلى فوضعت بفصيلها ويسمى سقياها، فنادى صالح على قومه وقال لهم: هاتوا أوانيكم... إلخ القصة، وهي مذكورة في التفاسير فانظرها.

■ الدرس الرابع بعد المائة[1]

تفسير الآيتين ١٥١ ـ ١٥٢ من سورة الشعراء

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء].

هذا من كلام نبي الله صالح لقوم ثمود لما قام فيهم ناصحا ومذكراً وواعظاً؛ فقال: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ وهـذا مجاز عقلي؛ لأن الأمر لا يطاع، والأصل ولا تطيعوا المسرفين في أمرهم، والمسرفون جمع مسرف: وهو الذي تجاوز الحد إلى غيره، فتجاوز الحلال إلى الحرام، وتجاوز الإيمان إلى الكفر، وتجاوز الطاعة إلى المعصية، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: لا تطيعوا المسرفين في أمرهم ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يرتكبون الفساد في الأرض فلا يذرون خيرا إلا هدموه، ولا صالحاً إلا عارضوا فيه، قال تعالى: ﴿يُفْسِدُونَ﴾ من الإفساد وهو التعدي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ أي: ولا يتلبسون بالإصلاح، وهكذا المصلح لا يفسد كما أن المفسد لا يصلح، ومن شأن المفسد أن يرى إفساده عين الصلاح ويرى الناس كلهم مفسدين.

---

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس بتاريخ ١٣٧٩/٣/٢٨هـ.



وابتلاء الكامل بالناقص أمر عظيم، وكم ابتلي الأنبياء والمرسلون والأولياء والصادقون بأناس يسفهونهم ويسبونهم، ولكن هل هذا يضرهم؟ لا بل يكون سبباً لرفعة درجاتهم، ويكون دليلا واضحا على أنهم كاملون.

وَإِذا أَتَتكَ مَذَمَّتي مِن ناقِصٍ فَهِيَ الشَهادَةُ لي بِأَنِّيَ كامِلُ

ومن اللطائف: أنه إذا جلجل الرعد نبحت الكلاب عليه من الأرض، قال الشاعر:

لا يضر السحاب نبح الكلاب

فهؤلاء الذين يشتمون العلماء وينتهكون أعراض الأنبياء والمرسلين في الحقيقة ما جنوا إلا على أنفسهم، وقد سمع الإمام جعفر الصادق أن رجلا تكلم عليه فبلغ إليه ذلك فاشترى رُطَباً من أحسن الرطب، ووضعه في وعاء، وغطاه، وأرسله إليه، وكتب فيه أهديت إلينا حسناتك فهذا جزاء هديتك، فلما وصل إليه خجل الرجل وسار إلى عنده، فلما دخل عليه وجد نعله تحت الباب فأخذها ودخل إليه، وقال: إني جئتك معتذرا، وهذه نعالك فاضربني بها، فقال: هون من هذا.. نحن أهل.

والمفسد يرى فساده صلاحا، والسبب في هذا انعكاس مرآة القلب يرى الباطل حقا والحق باطلا، ويرى الصلاح فسادا والفساد صلاحا، ولذا جاء في الأدعية النبوية: اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتِّباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

وأكثر الناس أعداء أعلاهم مقاما، وأكثرهم حسدا أفضلهم عند الله رتبة؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ



وَٱلْجِنِّ ﴾ [الأنعام: ١١٢] فانظر كم عدد شياطين الإنس والجن، وقال الإمام أبو حنيفة: (إذا كثر أعداء المرء وحساده كان ذلك دليلا على فضله ورفعة قدره عند الله)

إن يَحسُدوني فَإنّي غيرُ لائِمِهِم — قَبلي مِنَ الناسِ أَهلُ الفَضلِ قَد حُسِدوا
فَدامَ لي وَلَهُم ما بي وَما بِهِمُ — وَماتَ أَكثَرُنا غَماً بِما يَجِدُ

ونبينا ﷺ كم أوذي في الله؛ فقد جعل الفرث على فراشه، وكسرت رباعيته، وشج رأسه، وسقط في حفرة حفرها له عامر الأوسي فسقط فتأذى من يده وبقي أياما يشتكي، وقيل: له إنه ساحر ومجنون، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾ [الحجر: ٦]، وقال تعالى: ردا عليهم ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الحاقة: ٤١ ـ ٤٢]، وقال تعالى وقد أقسم بالقلم والملائكة الكاتبين به ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾ [القلم: ١ ـ ٢] فتولى الله تعالى الذَّبَّ عنه والرد على أولئك الذين يشتمونه، وقال له عمه أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعتنا، فسكت ﷺ فرد الله على عمه من فوق سبع سماوات وأنزل ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾ ﴾ [المسد]، وقالوا: لقد بغضه ربه وطرده ولذا قطع عنه الوحي فنزل عليه قوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [الضحى]، فقال ﷺ: «إذاً لا أرضى بأحد من أمتي في النار» فنزل عليه جبريل وقال له: «إن ربك يقرؤك السلام، ويقول لك: إنه إذاً لا يسيئك في أمتك»، فانظر كيف ما

قيل في سيد المرسلين، واليوم لو قيل لأحد: أنت كذا لغضب، وقال: مثلي يقال فيه كذا، فمن تكون أنت!! فهذا سيد المرسلين وهذا رب العالمين نسبوا إليه الصاحبة والولد.

قال الإمام الجنيد: لما كان الأولياء والعلماء هم الذين اصطفاهم من عباده سلط عليهم البلاء والخلق؛ لئلا يأنسوا بغير الله فلا يكون لهم التجاء إلا إلى الله؛ فهذا تنفير لهم من الخلق إلى الحق.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾، يقال إنهم اجتمعوا وقالوا كيف آمن به أربعة آلاف، فقال الذين آمنوا: كيف لا نؤمن به وقد أتانا بهذه الآية العظيمة، فقال لهم الكفار: إنه ساحر عظيم، ولذا قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾، وقيل: إن معنى ٱلْمُسَحَّرِينَ أي: تأكل وتشرب وتنكح، وقيل: معنى ٱلْمُسَحَّرِينَ يعني رجلا مسحورا تتكلم بلا عقل، وهذا مثل قوله تعالى حكاية عن قول فرعون ﴿ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١].

وهؤلاء في سبهم للأنبياء إنما يسجلون في صفحات التاريخ قدر الأنبياء ورفعتهم.

قال تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾، هذه شبهة دائمة تعلق بأذهان الأمم الماضية، وسرت إلى هذه الأمة عند بعثته ﷺ، وهي أنهم ظنوا أن البشرية تنافي النبوة، ويريدون الرسول أن يكون ملكا، وهذا خطأ؛ لأن النسبة لازمة بين المرسل والمرسل إليه كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾



[إبراهيم: ٤]، وقال ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فلو كان أهل الأرض ملائكة لناسب أن يكون الرسول ملكا؛ فقوم صالح يظنون أن البشرية تنافي النبوة، قال العلماء لما رأوا صالحاً يأكل معهم ويشرب وينام كذبوه، ولذا قال العلماء: أقل الناس انتفاعاً بالعالم أهل بيته؛ لأنه إذا غضب قالوا هذا هكذا.. يشاهدون بشريته، ولذا قال سيدنا عبد القادر الجيلاني: والله إن الكفار ما رأوا رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] يعني: أنهم لم ينظروا إلى نبوته ورسالته، بل نظروا إليه بعين التحقير، وقالوا له: يتيم أبي طالب.

قال العلماء: والمريد إذا نظر إلى بشرية الشيخ لم ينتفع به، وإذا نظر إليه بعين التعظيم انتفع به؛ لأن العلم رابطة بين قلب المريد والشيخ، ولهذا لما صحب موسى الخضر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

قال تعالى: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ﴾ وهو الحظ والنصيب ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ﴾.

■ الدرس الخامس بعد المائة[1]

تفسير الآيات ١٦٠ ـ ١٧٥ من سورة الشعراء

قوله تعالــى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [الشعراء].

لما ذكر تعالى قصة إبراهيم وذكر بعدها قصة عاد وثمود ذكر ﷻ من بعد ذلك قصة لوط عليه السلام، واعلم أن هذه القصــص ذكرها الله تعالى تباعا لما فيها من العبرة والادكار، فالإنسان يعتبر بها ويتذكر قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ ﴾ [هود: ١٢٠]، وإذا كان فـؤاده الشــريف وهو ســيد الأفئدة على الإطلاق يزداد ثباتا ويقينا فأفئدتنا أحق بذلك عند ســماع القصص، وهذا أصل أصيل في طلــب قراءة القصص والتواريخ وقصص الصالحين؛ للتأسي والاقتداء بهم، وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٤/٥هـ.



نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، فقصص القرآن أحسن القصص على الإطلاق ولا شك في ذلك؛ لما اشتمل عليه من دقة المغزى ومع علو كعب قصص القرآن وجد في الإسلام من يعدل عنه إلى قصص مكذوبة وكتب مكذوبة محشوة بالأباطيل، وإن لنا في القرآن لغنى عنها؛ ففيه غنى وذكرى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق: ٣٧].

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أما لوط فهو ابن هاران ابن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم، وقد تربى لوط في بيت إبراهيم وتخلق بأخلاقه، ثم بعثه الله تعالى نبياً من بيت إبراهيم، وأرسله إلى خمس قرى عاصمتها سدوم، وسكانها خمسمائة ألف سوى سكان القرى الأخرى، فخرج لوط يدعوهم إلى توحيد الله أولاً، وثانياً إلى ترك المنكرات التي يرتكبونها، وكانوا يأتون بها من غير خوف من الله، فمنها أنهم كانوا يجلسون في الطرقات يؤذون من مر بالضحك، وربما ضربوه وأخذوا ماله، ومنها أنهم إذا جلسوا في مجلسهم يتضارطون ويضحكون فلا حياء ولا أدب، ومنها أنهم ينكحون الذكران من العالمين، وهذه هي مصيبة اللواط، وهم أول من ارتكبها، وكان ذاك بتعليم الشيطان أتاهم في صورة أمرد جميل وكان يدعوهم إلى نفسه ثم بعد ذلك انتشرت فيهم، ففاعل هذه مطرود ملعون، أخرج الإمام النسائي في سننه أنه قال: «ملعون من عَمِلَ عَمَل قوم لوط ثلاث مرات كررها»[1]، وهذه مصيبة كبرى، نسأل الله السلامة حتى أنه قد بلغ الحال أن الرجل يخاف على

(١) وأخرجه أيضاً أحمد في مسند عبد الله بن العباس رضي الله عنهما برقم ٢٩١٤.



ولده أكثر منْ خوفه على بناته؛ لأن البنت محجبة في البيت بخلاف الولد، فنسأل الله أن يحفظنا ويحفظ ذرياتنا، ولا شك أن هذه المصيبة قد وقع بسببها وبسبب الشرك بالله البلاء على قوم لوط، فأرسل الله عليهم حجارة من السماء فجعلهم حصيداً، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢]، ثم قال تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣] يقول تعالى لا تظنوا أن هذه العقوبة خاصة بقوم لوط، بل أن من عَمِلَ عَمَل هؤلاء القوم فليست عليه ببعيدة، فهذا تهديد عظيم فكل ما أنزله الله من العذاب على الأمم المتقدمة لا يبعد نزوله على من عَمِلِ عَمَلهم من هذه الأمة.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ والمراد أنهم كذبوا لوطاً ولكن لما كان الأنبياء والمرسلون دعوتهم إلى التوحيد وهي دعوة واحدة وهي الدعوة إلى التوحيد فمن كذب واحدا فكأنما كذبهم أجمعين.

وكان قوم لوط من أهل الشام في قرى خمسة يقال لعاصمتها سدوم، وهناك بحيرة تسمى حتى اليوم بحيرة لوط، أما لوط فهو لوط بن هاران بن آزر، تربى في بيت إبراهيم وتخلق بأخلاقه، وأنزل الله عليه الوحي وهو في بيت إبراهيم، فسار إلى قومه ونهاهم عن المنكرات التي يعملونها فمنها اللواط، فإذا وطئ الذكر الذكر اهتز العرش وارتجت السماء، وبيَّن تعالى أن هذه العقوبة لا تختص بقوم لوط بل إنها تقع لمن عمل عملهم وكثر سوادهم من هذه الأمة، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣]، وفي حديث

الطبراني قال رسول الله ﷺ: «ملعون من وقع على بهيمة، ملعون من عَمِلَ عَمَل قوم لوط، قالها رسول الله ﷺ مراراً ثلاثاً في اللوطية»[(١)]؛ زيادة في التحذير والتنفير.

وأول من ارتكبها على الإطلاق هم قوم لوط، وأول من دلهم عليها هو الشيطان، جاء في صورة رجل أمرد جميل فدعاهم إلى نفسه.

ويكفي أن فاعل هذه الفاحشة يكون ملعونا على لسان رسول الله ﷺ.

وإنما أهلك الله قوم لوط من أجل الشرك مع هذه المعاصي، ونحن لم نقل إن فاعل هذه الفاحشة كافر؛ لأن أهل السنة والجماعة لا يكفرون أهل الكبائر، وإنما يهددون ويعزرون، فالتعذيب بالخلود في النار شيء، وكون العاصي يعذب بما يعذب به الكافر شيء، فلا يستلزم قولنا: إن فاعل هذه المعصية يحشر مع قوم لوط أنه يخلد في النار، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً للمعتزلة القائلين: إن مرتكب الكبيرة يكفر، وأما أهل السنة والجماعة فلا يقولون بكفره ولكنه يستتاب، وأما كونه يعذب بشيء مما يعذب به الكفار فلا يستلزم تخليده في النار.

وكل نبي ورسول يحذر أمته أن يقع بهم من البلايا ما وقع بأهل الأمم السابقة، وكل واعظ ومذكر يحذر من يقع في شيء من المعاصي بأن يقع به ما وقع بمرتكبها من أهل الأمم الماضية، ولكن لا ينافي أنه

---

(١) أخرجه أحمد في مسند عبدالله بن العباس برقم ٢٩١٤.



يعذب بشـــيء مما يعذب به الكفار، نعم من ارتكب كبيرة يعتقد حلها فهذا كافر، قال صاحب منظومة جوهرة التوحيد اللقاني:

وَمَــنْ لمعلــومٍ ضــرورةً جَحَدْ   مِنْ ديننــا يُقْتَلُ كُفْــراً ليسَ حدْ
ومثلُ هــذا مَــنْ نَفَــى لِمُجْمعِ   أو اســتباحَ كالزنــا فلتَسْــمَعِ

ولا تكون الصغائر مثل الكبائر؛ لأن الصغائر تكفَّر بالوضوء وغيره، وهي جمــع صغيرة، والصغيــرة هي التي لــم يرد فيها وعيد شــديد، قــال تعالــى: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ [النساء: ٣١]، قال صاحب منظومة جوهرة التوحيد:

ثــم الذُّنُــوبُ عندَنَــا قِسْــمَانِ   صــغــيــرةٌ كــبــيــرةٌ فــالــثــانــي
منه المتــابُ واجبٌ فــي الحالِ   ولا انتقــاض إنْ يعــدْ للحــالِ
لَكِــنْ يجــدِّدْ توبةً لمــا اقترفْ   وفي القَبُــولِ رأيهُمْ قَــدِ اخْتَلَفْ

وقال آخر:

يا من جنى ثم اعتدى ثم اقترف   ثم انتهــى مما أتى ثــم اعترف
ابشــر بقــول الله فــي تنزيلــه   إن ينتهوا يغفر لهم ما قد ســلف

فالكبيــرة ما توعد الشــارع عليها بوعيد شــديد، وذكر ﷺ أمهاتها فمنها الســحر والزنا وقذف المحصنات الغافــلات المؤمنات، والكبائر كثيرة أنهاها بعضهم إلى ســبعين، وبعضهم إلى ســبعمائة، أما الشرك فهو الخروج عن دائرة الإســلام بالكلية، والمداومة على الصغائر تدعو إلى الكبائر، والمداومة على الكبائر تدعو إلى الشــرك، ويدل لهذا: «إن الصدق يهدي إلى البِّر، وإن البِّر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يجرُّ إلى



الفجور، وإن الفجور يجر إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذابا».

وأما استحقار الكبيرة فإن استحقرها مستحلاً لها فهذا كفر، وأما إذا استحقرها لطغيانه غير مســتحل لها فلا يكفر، والإصرار على الصغيرة كبيرة، والمداومة على الكبيرة يضاعف عقابها ويجر إلى الشرك وليس عين الشرك... إلخ ما قال. اهـ.

■ الدرس السادس بعد المائة[1]

تابع لتفسير الآيات ١٦٠ ـ ١٧٥ من سورة الشعراء

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾ [الشعراء].

يذكر الله تبارك تعالى في هذه الآية المباركة قصة لوط وقومه، ولوط هو نبي الله ورسوله ابن هاران، وهو كان في بيت إبراهيم، ونشأ عنده، وهو ابن أخيه، وارتضع في حجره، ونشأ نشأة صالحة، فأرسله الله تعالى إلى قومه، وهم خمس مدائن، وسكان عاصمتها سدوم خمسمائة ألف، وكانوا قوما كافرين يرتكبون المعاصي والمنكرات، فمن ذلك: إنهم كانوا يتضارطون في المجلس وهم يضحكون، وهذا لا يليق

---

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٤/٦هـ.



ولا يفعله إلا من لا مروءة له ولا حياء، ومنها إنهم كانوا يجلسون على الطرقات ويؤذون من مر، ومنها إنهم كانوا يأتون الذكران من العالمين، وهذا حرام، وتركوا النساء اللاتي خلقهن الله للنكاح وللتناسل، وإذا أتى الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن، وغضبت ملائكة السماء، وعرض ذلك الفاعل نفسه للعن، ومن هذا الذي يحب أن يعرض نفسه للعن رسول الله ﷺ كما ورد عنه أنه قال: «ملعون من عَمِلَ عَمَل قوم لوط، وكررها ثلاثاً»[1].

وقد أهلك الله هؤلاء القوم الذين يعملون هذه الفاحشة، فقلب قراهم أسفلها أعلاها، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي: نار ﴿مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً﴾ أي: معلومة ﴿عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: فاعِلِي هذه المعصية ﴿بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣].

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ لما كذبوا لوطاً في دعوته، وكانت دعوة لوط إلى التوحيد الذي هو دعوة المرسلين، كانوا كأنهم كذبوا جميع المرسلين.

والرسول هو إنسان ذكر حر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والواجب للرسل: الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة، ومستحيل أضدادها، وجائز في حقهم كل ما لا ينقص من قدرهم كالمرض الخفيف.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء: ١٦٤] في هذا دليل على

(١) أخرجه أحمد في مسند عبدالله بن العباس رضي الله عنهما برقم ٢٩١٤.

أن العلم الشرعي الضروري لا يجوز أخذ أجرة عليه، ولذا قال ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار»[1].

قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾ أي: المرد ﴿مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وأرشدهم إلى ما هو صواب فقال: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: متجاوزون من الحلال إلى الحرام، وكان للوط زوجة وبنتان، فأما البنتان فكانتا مؤمنتين، وأما زوجته فكانت تظهر الإسلام وتبطن الكفر، ولذا لما جاء الملائكة الكرام إلى لوط في صورة شباب مرد حسان خرجت امرأته وأخبرت قومه بأن عند لوط شباب مرد حسان، فجاؤوا مسرعين إلى بيت لوط، وأرادوا الهجوم على بيته ليفعلوا الفاحشة بالملائكة الكرام فقال لهم لوط ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ [الحجر: ٦٨]، ثم قال لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ﴾ [الحجر: ٧١] والمراد ببناته نساء أهل بلده؛ لأن النبي أب لأمته، فقالوا له ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: ٧٩] فسمع جبريل المحاورة التي بينه وبين قومه، فنادى على لوط فقال له: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾... الآية [هود: ٨١]، ثم ضرب جبريل بجناحيه هؤلاء القوم فعميت أبصارهم، ثم لما أظلم الليل وساد السكون سرى لوط هو وزوجته وبنتاه، فلما خرجوا من البلد سمعوا رجة عظيمة، فالتفتت زوجته فرأت نارا نازلة من السماء، فجاءها نصيبها وهلكت محلها، وأنجى الله لوطاً وبنتيه، وكان إهلاكهم أن أمر الله جبريل أن يضع جناحه تحت قرى لوط ويرفعها حتى سمع أهل السماء

---

[1] أخرجه أبو داود في كتاب العلم باب كراهية منع العلم برقم ٣٦٥٨، وأخرجه غيره أيضاً.



أصواتهم ونباح كلابهم، ثم قلبها عليهم، وأمطر الله عليهم حجارة من سجيل، ولما خرج الملائكة من عند قوم لوط مروا على إبراهيم، وكان إبراهيم مكرما للضيف، فرحب بهم، وذبح لهم عجلا، فلما قدم لهم الطعام، قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، فبقوا ينظر بعضهم بعضا؛ لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، فهنا خاف إبراهيم منهم، فقالوا له: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ ليهلكهم الله، فصاح إبراهيم: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

اعمل لنفسك صالحا لا تكترث بظهور قيل في الأنام وقال
فالخلق لا يرجى اجتماع قلوبهم لا بد من مثن عليك وقال

ومن هنا يعلم أنه ينبغي للوعاظ والمرشدين أن يتبرؤوا من المعاصي وأهل الشرك؛ لأن الحنيفية تحصر في أمرين: التبري من المعاصي والشرك.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أي: التاركين، قال تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ وهي امرأته التي ذهبت لقومه وأخبرتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً﴾... الآية.

قال العلماء: وخيانة امرأة لوط وخيانة امرأة نوح إنما هو بإظهار الإسلام وإخفاء الكفر، وليست خيانتهم بالزنا؛ لأن امرأة النبي لا تكون زانية أبداً. اهـ.

■ الدرس السابع بعد المائة[1]

تفسير الآيات ١٧٦ ـ ١٩١ من سورة الشعراء

قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الشعراء].

هذه آخر قصة ذكرها تعالى في سورة الشعراء وهي قصة أهل الأيكة، والأيكة في اللغة هو الشجر الملتف بعضه على بعض، وتسمى الغابة والغيضة، وفي الأيكة الليكة.

وكان هؤلاء الذين أرسل إليهم شعيب كانت لهم غيضة يتظللون بها وبجوارهم أهل مدين، وكان شعيب من أهل مدين، ولم يكن من أهل

---

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣/٤/١٣٧٩هـ.



الأيكة؛ ولذا قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ولم يقل أخوهم كما قال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]، ولكن بعث إلى الفريقين، ويجوز أن يبعث النبي إلى قومه وجيرانه، ولكن لا يجوز أن يبعث النبي إلى الناس كافة إلا نبينا ﷺ، ولذا قال: «وبعثت إلى الناس كافة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة»(١).

وشعيب ﷺ يلقب بخطيب الأنبياء؛ لأنه كان يقف في قومه فيخطب اليوم واليوم واليومين من طلوع الشمس إلى غروبها، وعاش شعيب من العمر ثلاثة آلاف سنة، ويقال: إنه أطول الأنبياء عمراً، وليس بينه وبين إبراهيم إلا زمن يسير، وأدرك موسى وأعطاه عصاه وزَوَّجَه بنته، ولما بعثه الله إلى أهل الأيكة أرادوا أن يقتلوه فقال بعضهم: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ﴾ [هود: ٩١]، ولما أيس من إيمانهم قال: ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: ٩٣]، وقام يصلي، وكان إذا صلى يبكي، وللدمع في خديه خط، ولذا قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] لما طالت دعوته في قومه قال له قومه: إلى متى وأنت تخطب فينا أما تترك ما بيننا وبينك من الشقاق، مات الأولاد والأحفاد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب قول النبي ﷺ: (جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً) برقم ٤٣٨.

والآباء وأنت على حالتك هذه، فإن كنت تريد مالا أعطيناك، وإن كنت تريد زواجاً زوجناك أحسن بنت من بناتنا، وإن كنت تريد سلطانا وليناك علينا، فلما قالوا ذلك قال ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]، وبقي يدعوهم ثلاثة آلاف سنة، ولم يدع عليهم حتى قالوا له: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

قال تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ أي: مرسل من الله ﴿أَمِينٌ﴾ يعني: لا أخونكم أبدا، وكل نبي مسجل رسالته وأمانته، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٧٩ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهذا دليل على أن الأنبياء والرسل اتفقت دعوتهم على أن التوحيد هو أول دعوتهم، وعدم أخذهم الأجرة على ذلك.

واعلم أن التبليغ إنما هو للأنبياء والمرسلين، أما الشياطين فليس لهم تبليغ، وإنما لهم وسوسة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

قال تعالى: ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ كان قوم شعيب يطففون المكاييل، وكان أهل المدينة بهذه الصفة، فلما قدم عليهم رسول الله ﷺ أول ما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٦] فتابوا وكانوا



أحســن الناس مكيالا، وفي هذا أصل أصيل على أنه ينبغي للناظر أن يهتم بالمكاييــل فيختمها حتى لا ينقص منها ولا يــزاد، وفي الحديث أنه ﷺ قال: «ولا نقص قوم المكيال والميــزان إلا ابتلاهم بالبلاء وقلة المطر»، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ والمراد بالجبلة الأمم الســابقين، فالضمير يعود علــى الجبلة، ويجوز أن يكــون على تقدير مضاف أي: واتقوا الذي خلقكم وخلق الجبلــة الأولين؛ فالجبلة الأمم السابقين كما قال تعالى في سورة يس ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ إلى آخر ما قال.

■ الدرس الثامن بعد المائة[1]

تفسير الآيات ١٩٢ـ ١٩٧ من سورة الشعراء

قولــه تعالــى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [الشعراء].

انتهت القصــص التي بينها تعالى في هذه الســورة المباركة، وهذه الآيات فيما يتعلق بالقرآن وتنزيلــه، وأنه كلام قديم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن ﴿ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: أنزله الله تعالى إليه وأوحــاه إليــه ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ وهو جبريل عليه السلام، وإنما ســمي الروح؛ لأنه مقدس ومطهــر، فمن أجل ذلك قيل: لــه الروح، والأمين معناه الذي لا يخون أبدا فمن أجل ذلك قيــل: له الروح الأمين ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ ﴾ أي: نزل من ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ ﴾ أي: بالقرآن مفرقا على حسب الوقائع والأحوال ﴿ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ أي جبريل، قــال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ

---

١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٤/١٩هـ.



لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧ ـ ٩٨].

وقد مرَّ سيدنا عمر رضي الله عنه بمدارس اليهود، وكانت لهم مدارس يأوي إليها الأحبار واليهود، فلما مر بمدرسة فيها عبد الله بن سبأ، قال عبد الله: هلم يا عمر نسألك، فجاء إليه، فقال له عبد الله: من الذي نزل بالوحي على صاحبكم فقال له عمر: جبريل، فقال عبد الله: ذاك عدونا لو كان ينزل على صاحبك إسرافيل أو ميكائيل لآمنا، قال: ولم ذاك؟، فقال: لأن ميكائيل يأتي بالرحمة، وجبريل يأتي بالصيحة والعذاب، فقال عمر: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٨]، ثم قام غضبان، وجاء إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما جرى له مع عبد الله بن سبأ فنزل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة ٩٧ ـ ٩٨] فكان الوحي مطابقا لقول سيدنا عمر رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير] فهذه الأوصاف كلها في جبريل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾، وجاء في الحديث: «أنه عليه الصلاة والسلام كان في يوم دجن ـ أي غيم ـ فقال عليه الصلاة والسلام: «كيف ترون بواسقها» ـ يعني غمام السحاب ـ قالوا: ما أحسنها! ثم قال لهم: «كيف ترون قواعدها»، قالوا: ما أحسنها وأشد تمكنها!، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «وكيف ترون برقها أوميضاً



أم خفياً أم يشق شــقاً[١]» قالوا: بل يشق شقاً، ثم قال لهم: «الحيا إن شاء الله[٢]» فأمطرت الســماء حالًا كمثل أفواه القرب، ثم قام رجل قال بأبي وأمي أنت يا رسول الله ما رأيت رجلا أفصح منك» رواه ابن كثير[٣].

وجبريل نــزل باللغة الســريانية والعبرانيــة وما نــزل بلغة أفصح من لغة القرآن، قــال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ليــس معنى هذا أن الكتب المتقدمة احتوت على معاني القــرآن لا، إنما المعنى أن القرآن احتوى على ما في التــوراة والزبور والإنجيــل والصحف وزاد عليها، وجاء مصدقاً لما فيها ومؤيداً لما فيها من الدعوة إليه ﷻ، وهي جاءت بالتوحيد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القــرآن أي: الإخبار بتنزيله ﴿لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الزبر معناها الكتب الســابقة، والزبور هو الكتاب المنزل على الأنبياء المتقدمين، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾ يعني: قريش ﴿ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ يعنــي: يعلــم صدقــه ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فعبد الله بن ســلام من أعظم علمائهم ومع ذلك لما صدق بالرسول وآمن به قال: والله إني لأعلم أن محمداً رسول الله أشد من معرفتي بابني؛ لأن ابني وُلد على فراشي ما أدري ماذا يلد النساء، وأما محمداً فقد أوحي إلى موسى باسمه، وإلى غيره من الأنبياء، ولما أرسل رسول الله جاءه اليهود، وقالوا له: يا محمد

---

(١) يعنــي: يظهر ويحتجب حالا. وأما أن يكون خفاً. وأما أن يكــون وميضاً. وللعرب في كل قسم من هذه علامة.

(٢) يعني: المطر.

(٣) وأخرجه البيهقي في شــعب الإيمان في كتاب حب النبــي ﷺ فصل في خلق النبي ﷺ وخلقه برقم ١٣٦٣ مع اختلاف في اللفظ وزيادة.



إن الدعوى لا تثبت إلا بشاهدين، فأين الشـاهدان؟، فنزل قوله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ ۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦]، ونزل أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلًا ۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٤٣] يعني: عبد الله بن سلام.

ودخل عبد الله بن سلام يوما المسجد يصلي فرآه رسول الله ﷺ فقال: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى عبد الله بن سلام»، ولما آمن عبد الله بن سلام فرح ﷺ، وقال: يا عبد الله بن سلام تنادي على الأحبار واليهود وتخبرهم بإسلامك، فقال: سمعاً وطاعة يا رسول الله لكن بشرط أن تخفيني في مكان لا يروني فيه ثم تسألهم عني، فجمعهم، وقال لهم: ما تقولون في عبد الله بن سلام؟ فقالوا بأجمعهم: ذاك سيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا، وما أحد منا يحفظ التوراة فينا إلا هو، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: ما تقولون فيه إن آمن بي وصدق برسالتي، فصاحوا صيحة الحُمُر، وقالوا نعيذه بالله من ذلك، فنادى عليه الصلاة والسلام، وقال: يا عبد الله بن سلام أخرج فخرج، فقال له: ماذا تقول فيَّ؟ فنطق بالشهادتين، وقرأ أوصافه عليه الصلاة والسلام من التوراة، فخرجوا وهم يقولون شرنا وابن شرنا، فنزل قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٠]... إلى آخر ما قال.

■ الدرس التاسع بعد المائة[1]

تفسير الآيات ١٩٦ ـ ٢٠٩ من سورة الشعراء

قوله تعالــى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ [الشعراء].

قوله تعالــى: ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: وإن القرآن ﴿ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: لفي كتب الأولين؛ لأن الزبر معناه الكتب، قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ [القمر: ٥٢] يعني: في الكتــب، وهو جمع زَبُور، وأمــا زَبْره فتجمع على زُبَر قال تعالــى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٥] أي: كتابــاً فيه المواعظ والأمثــال، قــال تعالــى: ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: القــرآن ﴿ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ومعنى كونه في الكتب أن الكتب السماوية الســابقة جاءت مبشرة به ومخبرة بدعوته، فما اشتمل عليه القرآن من التوحيد والدعوة إلى عبادة الله كان في الكتب المتقدمة.

---

[1] كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٤/٢٠هـ



قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن وما اشتمل عليه ﴿لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: في كتب الأولين، والضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعود على القرآن، وليس على الرسول، ولو كان يعود على الرسول لقال وإنك، فالزُّبَر جمع زَبْرة، والزُّبُر جمع زَبُور، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢] والزبر الكتب، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥] أي: كتابا مقروءا، والمعنى أن أصول القرآن التي يدعو إليها ويحث عليها كلها في كتب المتقدمين، فكل كتاب من كتب المتقدمين فيه حث على التوحيد وعبادة الله، وليس المعنى أن جميع الكتب المتقدمة احتوت على معنى القرآن، بل هو القرآن احتوى على ما في الكتب المتقدمة وزيادة كما قال عليه الصلاة والسلام: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»[1]، وفي هذا رد على كثير من الطوائف والجماعات اللاتي تزعم عدم الأخذ بالسنة ويقولون: عندنا كتاب الله يكفينا، ألا وإن السنة أصل أصيل للقرآن، فكل من أراد فهم القرآن من غير طريقة السنة المحمدية فقد ضل سواء السبيل، وهو ﷺ المبين لنا القرآن عن ربه، ولذا قال: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»، وفي الكتب الإشارة إلى القرآن وبيان أوصاف القرآن، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، والإشارة في الكتب السماوية بالقرآن قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، فالإشارة إلى الرسول وإلى أوصافه وإلى القرآن وأوصافه كل ذلك في الكتب المتقدمة، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «لو كان موسى حيا لما وسعه

(١) أخرجه أحمد في كتاب مسند الشاميين برقم ١٧١٧٤.



إلا اتباعي»[1]، وسبب هذا أن النبي ﷺ رأى صحفاً من التوراة في يد سيدنا عمر رضي الله عنه فتمعر وجهه وقال: «والذي بعثني بالحق لقد أتيتكم بها بيضاء ليلها كنهارها ولو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي».

وقد أخذ الله العهد والميثاق على الرسل أنهم إذا أدركهم أوانه وأظلهم إبّانه يقاتلون تحت لوائه ويؤمنون به، ولذا قال: «لو كان موسى حيًّا لما وسعه إلا اتباعي»' قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، ولهذا لما سأل سائل عن الدليل من القرآن على أنه ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين كان الجواب: إن أخذ آية العهد والميثاق من الأنبياء ونصرهم له دليل على أنه أفضل منهم.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ كعبد الله بن سلام وغيره، آمنوا بالرسول فآتاهم الله من الأجر كفلين، قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [القصص: ٥٤]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ أي على رجل أعجمي فنطق بالأعجمي ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ فقالوا هلا أنزل القرآن على أفصحنا لسانا، فلما أنزله على أفصحهم لساناً وأشرفهم حسبا ونسبا كفروا وكذبوا به.

---

١) أخرجه أحمد في مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه برقم ١٥١٥٦، وابن أبي شيبه في مصنفه في كتاب الحديث بالكراريس باب من كره النظر في كتب أهل الكتاب من أثناء حديث برقم ٢٦٤٢١.



قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٢٠٠ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٢٠١ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً﴾ أي: العذاب ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أي: من غير تقدم لأسبابه ﴿فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ﴾ يعني: مؤخرون، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ﴾ أي: أخبرني ﴿إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ﴾ أي: متعنا الكفار وبسطنا عليهم الأموال، ثم أخذهم الموت هل لهم من مفر من عذاب الله، وأهل الفترة ناجين؛ لأن الله يقول ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

قال تعالى: ﴿فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٢٠٢ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ۝٢٠٣ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ يعني: يستعجلون بالعذاب حتى يقع، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ﴾ أي: من العذاب، والمعنى ـ والله أعلم ـ هل إذا طالت الأيام والأعوام هل لهم فرار من الموت والعذاب فلا محاص لهم من ذلك أبدا؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

■ الدرس العاشر بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٢١٠ ـ ٢٢٠ من سورة الشعراء

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء].

يخبر الله ﷻ أن كتابه العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، وليس للشياطين قدرة على التصرف فيه، بل ولا للاستماع من الملأ الأعلى لأجل أن يختطفوا منه شيئاً، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ ﴾ أي: لا يليق بهم أن يتلقوا القرآن، ولا يليق بهم أن يتنزلوا به؛ لأنهم شياطين والقرآن شريف، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ نفي لاستطاعتهم تلقي القرآن من الملأ الأعلى، ولذا لما دخل ﷺ على ابن صياد وكان يدعي أنه الدجال، وكان ساحرا

---

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٤/٢٦هـ.



فوجده تحت شـــجرة وهو يتكلم بكلام، فقال ﷺ: الآن يتبيّن أمره هل هو الدجـــال أم لا، فلما قرب منه ﷺ صاحت أمـــه وقالت له: يا صافي هذا محمدٌ وأصحابه فهرب، فقال ﷺ: لو بقي مكانه لتبين أمره، ثم قال له: إني أضمرت لك في قلبي شيئا، فنظر إلى النبي شزرا أولا وثانيا، ثم قال له: إنه الدخ، فقال ﷺ: اخســـأ فلن تعدو قدرك، وكان ﷺ قد أضمر في قلبه سورة الدخان(١).

ثم إن أرواح الشـــياطين أرواح خبيثة مســـتكرهة فكيف تصل إلى الملأ الأعلى، وأما الأنبياء فأرواحهم مطهرة نقية فحق لها أن تصل إلى الملأ الأعلى.

قال ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ فقد بين أن الشياطين لا يقدرون على تلقي الوحي لأمور ثلاثة:

الأول: إن الوحي نـــور وهدى يأمر بالمعـــروف وينهى عن المنكر، والشياطين أرواح خبيثة لا تميل إلا للفساد، فكيف تتلقى النور!.

---

(١) أخـــرج البخاري عن ابـــن عمر رضي الله عنهما «أنـــه أخبره أن عمـــر انطلق في رهـــط من أصحاب النبي ﷺ مع النبي ﷺ قبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الغلمان عند أطم بني مغالة وقد قارب يومئذ ابن صياد يحتلم فلم يشعر بشـــيء حتى ضرب النبي ﷺ ظهره بيده ثم قال النبي ﷺ أتشـــهد أني رســـول الله فنظر إليه ابن صياد فقال أشهد أنك رسول الأميين فقال ابن صياد للنبي ﷺ أتشـــهد أني رســـول الله قال له النبي ﷺ آمنت بالله ورسله قال النبي ﷺ ماذا ترى قال ابن صيـــاد يأتيني صادق وكاذب قال النبي ﷺ خلط عليك الأمر قال النبي ﷺ إني قد خبأت لك خبيئا قال ابن صياد هو الدخ قال النبي ﷺ اخســـأ فلن تعدو قدرك قال عمر يا رســـول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه قـــال النبي ﷺ إن يكنه فلن تسلط عليه وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله» كتاب الجهاد والسير برقم ٢٨٢٧.



الثاني: إن الله تعالى بين أن الشياطين لو أرادوا أن يتلقوا الوحي لا قدرة لهم على ذلك قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، والشياطين ليسوا أهلا لذلك ولا قدرة لهم على ذلك، بل إذا قرئ القرآن فروا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦].

الثالث: إن الموضع الذي ينزل منه الوحي محروس بالشهب ولا يفتح إلا بإذن من الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨]، وكان عليه الصلاة والسلام إذا نزل عليه الوحي في شدة البرد لا ينفصل عنه إلا وقد تنزل عرقه كحبات الجمان، وينزل عليه الوحي وهو متدثر بلحافه ومعه أهله فلا يثبت معه أحد من أهله إلا عائشة الصديقة التيمية، ولذا قال ﷺ «لم يأتني الوحي في لحاف امرأة إلا في لحاف عائشة»[1]، وقد تكفل الله بحفظ القرآن قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، أما التوراة والإنجيل والزبور فلم يتكفل بحفظها، بل وكّلها إلى الرهبان والقسيسين فبدلوا وحرفوا، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]؛ فحرفوا الإنجيل إلى أناجيل متعددة، وهي إنجيل يوحنا وإنجيل متى وإنجيل مرقس، ولذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ

(١) أخرجه النسائي في كتاب عشرة النساء باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض بلفظ (لا تؤذيني في عائشة فإنه لم ينزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن إلا في لحاف عائشة) برقم ٣٩٥٠.

ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧٨]، أما القرآن الكريم فلو بدل أحد حرفا واحدا لرد عليه الأطفال قبل الرجال والصغار قبل الكبار، فهذا من حفظ الله وإلا فلو وكّل علينا حفظه لأضعناه كما أضعنا العمل به.

والإلهام نوعان: إلهام الأنبياء والمرسلين وهذا وحي كما قال ﷺ «الله تعالى ألقى في روعي أنها لا تموت نفس إلا بعد أن تستوفي أجلها» أو كما قال، وليس للشيطان سبيل إلى قلوبهم، وإما إلهام الولي فقد قرره النبي ﷺ وبين أنه فتح من الله قال ﷺ: «استفت قلبك وإن أفتوك»[1]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥]، فإلهام الولي الذي صحت ولايته هو المعتبر ومع ذلك لا يحتج به، وهذه الإلهامات هي المبشرات؛ ولذا قال ﷺ: «إن منكم لمحدثون وإن منكم لملهمون».

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ يعني: وحِّد الله ﷻ ولا تشرك معه غيره، وقد نوع الله الخطاب لحبيبه، فقال: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾، يقول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: إن الله يقول لنبيه إنك أكرم الخلق عليّ ومع ذلك لو اتخذت إلها غيري لعذبتك أشد العذاب.

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ لما نزلت هذه الآية نادى ﷺ وقال: يا بني عبد مناف.. يا بني هاشم.. يا بني عبد الدار.. يا أبا جهل.. يا فلان.. يا فلان، فلما اجتمعوا عليه قال: هل جربتم عليَّ كذبا؟ قالوا

(١) أخرجه أحمد في كتاب مسند الشاميين برقم ١٨٠٠٦ مع اختلاف في اللفظ.



لا بل أنت الأمين، فقال: لو أخبرتكم أن وراء هذا الجبل خيلاً تريد قتالكم هل تصدقونني؟ قالوا: نعم نصدقك، فقال لهم: إني لكم نذير بين يدي عذاب أليم اتقوا الله ووحدوه واتركوا عبادة الأصنام.

قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا تأديب له ﷺ ولغيره من باب أولى، يعني: لِن جناحك، والمراد به أمره بالتواضع؛ لأن الطائر إذا أراد أن يلم على أفراخه ضم جناحه وخفضه عليهم، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾... الآية اهـ.

■ الدرس الحادي عشر بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٢٢١ ـ ٢٢٧ من سورة الشعراء

قولـــه تعالـــى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء].

يقول تعالى مكذّباً للمشركين الزاعمين أن الرسول إنما أتى بالقرآن من قبل نفسه، وأنه ليس كلام الله أو أنه أتى به من وساوس الشياطين، فقال تعالى ردا عليهم وتنزيها لمقام النبوة وإشـادة برفع القرآن الكريم ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ ﴾ أي: هل أخبركم يا معشـر العبـاد ﴿ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ يعني: من يليق به أن تنزل عليه الشـياطين، وهي أرواح خبيثة هل يليق أن تنزل على قلب المصطفى وهو سيد القلوب، فهل يصح أن الشياطين تتنزل عليه؟!.

و﴿ تَنَزَّلُ ﴾ فعـل مضارع حذفـت منه إحـدى التائين، والتـاء الأولى تاء المضارعة والأخرى تـاء المطاوعة والأصل تتنـزل، ومنه قوله تعالى:

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٤/٢٧هـ.



﴿تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤] والأصل تتلظى، وحذف إحدى التائين من المضارع شائع ويجوز إثباتها، قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ ﴾ أي: هل أخبركم ﴿ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ أي: بالوسوسة، قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ يعني: إنما تتنزل على كل دجال كذاب خبيث، ولا عجب فإن الطيور على مثلها تقع، أما الأنبياء فلا يليق بهم إلا أن يكونوا مكرمين، وقد قال العرب سابقا: الكلاب على البقر؛ لأن كلاهما حيوانات عجماوات، ولله در الشاعر:

رأيت النخل ذا تمر وبسر   وذاك الليف ملتف عليهِ
فقلت تعجبوا من صنع ربي   شبيه الشيء منجذب إليهِ

ومن جالس جانس والطبع سراق، وإليك المثل بالعكس، وهو أن كل إنسان معه قرين، فالشيطان الذي هو قرين المصطفى حفته السعادة فأسلم، كل ذلك بسبب المجالسة والمصاحبة، فكل إنسان معه شيطان، وإذا دخل صاحبه يوم القيامة الجنة يدخل شيطانه النار فيتنعم الإنسان بالجنان، فبينما هو في النعيم كشف الله له الحجاب عن شيطانه وهو في النار فيعرفه؛ لأن النفوس المتصاحبة تعرف بعضها بعضاً، فيقول: يا رب هذا عدوي طالما سعى في إغوائي لكن حفظتني يا رب منه فالحمد لله؛ ولذا قال تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٥١ ـ ٥٥]؛ فقد بيَّن الله في القرآن ما يقع بين الرجل وقرينه، وبيَّن القرآن أيضا ما يقع بين الخصمين الكافر والمسلم قال تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ق: ٢٣ ـ ٢٤]، أما المسلمون فيُحْيِيْهُمْ الله إلى الجنة وقرناؤهم في



النار، قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ أي: الشياطين ﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ ﴾ أي: عظيم الإفك أي: المعصية ﴿أَثِيمٍ﴾ أي: عظيم الإثم.

قال تعالى: ﴿ يُلْقُونَ ﴾ يعني: يلقي الشياطين السمع على الكهان فيقولون سيقع كذا وسيقع كذا ـ وهذا هو أصل الكهانة ـ فيأتي الشيطان ويرتفع إلى السماء فيخطف كلمة، فإذا رأى الشهاب مقبلا عليه ألقاها لمن خلفه فينزل بها ويضع فوقها مائة كذبة.

وقد بين الله ﷻ أن للسماء أبواباً، وأن على الأبواب حراساً، فكل من دعته نفسه الوصول إليها من الشياطين أو الجن أو العفاريت أو المردة أو الإنس لا يستطيع أبدا، قال تعالى حكاية عن الجن ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [الجن: ٨].. فتأمل قوله ﴿مُلِئَتْ﴾ تعرف أن الحرس في جميعها ليس هناك موضع خال منها، وقال ﷺ: «أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله...»[١]، ولا عجب من ادعاء هؤلاء الوصول إلى السماء فهي السماء اللغوية وهو الفضاء، فهم كلما جالوا في الفضاء ظنوا أنهم وصلوا إلى السماء الشرعية، وكل ما علا فهو سماء قال الشاعر[٢]:

بَلَغنا السَماءَ مَجدُنا وَجُدودُنا وَإِنّا لَنَرجُو فَوقَ ذَلِكَ مَظهَرا

(١) أخرجه الترمذي في كتاب أبواب الزهد باب قول النبي ﷺ: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا) برقم ٢٣١٢.

(٢) هو النابغة الجعدي.



وقال الآخر:

تساموا في الفضاء فظن جهلا بلوغهم السماء بلا نزاع
ألم تحفظ ألم تحرس بنص لإبعاد الرجيم عن استماع
تنزه عالم الملكوت عن أن يلطّخ بالكلاب وبالسباع

فإذا كان قد أخبر النبي ﷺ أن الملائكة تهرب من صور الكلاب والحيوانات فكيف يدعون هؤلاء أن الصاروخ فيه كلب وصل إلى السماء إن هذا لعجيب.

قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾، وردت أحاديث في ذم الشعر، وأحاديث في مدحه، فما ورد في مدحه فهو يحمل على الشعر المتضمن للتوحيد ومدح الرسول والدين وغيره، وما ورد في ذمه فيحمل على الشعر الذي بضد ذلك فمما ورد في مدحه: «إن من الشعر لحكمة»[1]«إن من البيان لسحراً»، وقد ورد أن عبدالله بن رواحة أنشد هذه الأبيات في المسجد وهو ﷺ يسمع:

قَد أَنزَلَ الرَحمَنُ في تَنزيلِهِ بِأَنَّ خَيرَ القَتلِ في سَبيلِهِ
اليوم نَضربكُم عَلى تَنزيلِهِ ضَرباً يُزيلُ الهامَ عَن مَقيلِهِ

فلما سمع ذلك سيدنا عمر ـ وهو يُنْشِدُه في المسجد ـ نهاه، فقال له ﷺ: دعه يا عمر، وأنشد أيضا:

وَاللهِ لَولا اللهُ ما اهتَدَينا وَلا تَصَدَّقنا وَلا صَلَّينا

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب باب الشعر برقم ٣٧٥٥.
(٢) هذه الأبيات في ديوان عبدالله بن رواحة.



فَــأَنــزِلَــن سَــكـيـنَـةً عَلَينا وَثَبِّــتِ الأَقــدامَ إِن لاقَينــا
إن الألــى قَــد بَغَــوا عَلَينــا إِذا أَرادوا فِـتـنَـةً أَبَـيـنـا[1]

فقال ﷺ: أبينا.

وقال سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه لما هُجِي النبي ﷺ أنشد مجيبا له ومدافعا عن النبي ﷺ:

هَجَــوتَ مُحَمَّــداً فَأَجَبــتُ عَنهُ وَعِنــدَ اللهِ فــي ذاكَ الجَــزاءُ

فقال له ﷺ: جزاك الجنة يا حسان، ثم قال:

وإن أبــي ووالــدَهُ وعرضــي لعــرضِ محمــدٍ منكــم فــداءُ

فقال له ﷺ فداك أبي وأمي يا حسان، ثم قال:

أَتَهجــوهُ وَلَســتَ لَــهُ بِكُــفءٍ فَشَــرُّكُما لِخَيرِكُمــا الفِــداءُ

فقال له ﷺ: أنصفت يا حسان، ثم قال:

وَأَحسَــنُ مِنكَ لَم تَــرَ قَطُّ عَيني وَأَجمَــلُ مِنكَ لَــم تَلِدِ النِســاءُ
خُلِقــتَ مُبَــرَّأً مِــن كُلِّ عَيــبٍ كَأَنَّــكَ قَــد خُلِقــتَ كَما تَشــاءُ

ومما ورد في ذم الشعر حديث: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن برقم ٦١٥٤.



تفسير

سورة النمل



■ الدرس الثاني عشر بعد المائة[1]

تفسير الآيات ١ ـ ٦ من سورة النمل

قوله تعالـــى: ﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦﴾ [النمل].

هذه السورة المباركة تسمى سورة النمل؛ لأن الله تبارك وتعالى قص فيها قصة النمل مع سليمان، والنمل جند من جند الله خَلَقَهُ، ومنه الأحمر والأصفر والأبيض والأسود، ومنه ما تكون له أجنحة تطير بها، وتكون حينئذ دليلا على قرب أجله.

وللنمل مملكة كبرى وبناء وهندسة في بناء بيوتهم، ومن غريب أمر النمل أن له بريدا منظما؛ فالواحدة إذا رأت محلا فيه طعام تذهب وتخبر قومها، فيأتون قوافل قوافل ويأخذون ما يريدون، ومن عجيب أمره أنه يأتي إلى الرمال العظيمة فيمهدون طريقا فوقها، فيمرون فوقها بإذن الله تعالى، ومن عجيب أمره أنه يدَّخر طعامه، ويقسمون الطعام

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٥/٣هـ.



نصفين، ومن عجيب أمره كذلك أنه له جنودا وعسكرا فيسيرون خطًّا واحدا، وإذا ماتت واحدة أو تكسرت حَمَلَها قومها إلى موضعها فيداوونها، وللنمل مملكة كبرى.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ فنقلت الريح كلامها إلى سليمان في مسيرة ستة أميال، وبعض العلماء يسمي هذه السورة «سورة سليمان»، وبعضهم يسميها «سورة بلقيس»، وهي امرأة.

والسورة هذه مكية؛ لأنها نزلت قبل الهجرة، وثلثا القرآن مكي، ومضمون آياته الحث على الإيمان؛ بخلاف المدني فهو ثلث القرآن، ومضمون آياته الأحكام الشرعية.

وآيات القرآن ستة آلاف وأربعمائة آية، وأطول آية آيةُ الدين، وأقصر آية[1] ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤]، وأرجى آية: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، وأخوف آية ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

قال تعالى: ﴿طسٓۚ﴾ هذه الحروف المقطعة هي من قِسم المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، ولكنا نؤمن بأنها من كلام الله، وقيل إن هذه الحروف إشارة إلى أسمائه تعالى؛ فالطاء إشارة إلى اللطيف، والسين إشارة إلى القدوس.

---

(١) أي باعتبار أنها كلمة واحدة، أما باعتبار عدد الحروف فآية ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [المدثر: ٢١].

وكونها مقطعات هو مذهب السلف الصالح، وهي من علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، ولا ينكشف إلا بعد دخول أهل الجنة الجنة، ولم يبيّنه لنا الرسول ﷺ ولا أحد من العلماء، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

قال تعالى: ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه، وأشار إليها باسم الإشارة للبعيد إشارة إلى علو مكانها وعظيم رتبتها، قال تعالى: ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

فإن قيل: كيف يكون مبيناً مع أن فيه قسماً متشابهاً لا يعلمه إلا الله؟.

والجواب: إنه مبين في الواقع ونفس الأمر عند الله ﷻ، أو يقال: هو مبين بالنسبة لأكثره وإن كان بعضه لا يعلمه إلا الله والعلماء.

قال تعالى: ﴿هُدًى﴾ مصدر أراد به اسم الفاعل، أي: هو هادي ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ أي: مبشر، قال تعالى: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ إنما جمع بين الصلاة والزكاة؛ لأن الصلاة شكر لنعمة الله في البدن، والزكاة شكر لنعمة الله ﷻ في المال، قال تعالى: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: يوم القيامة ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ في هذا رد على الدهرية وغيرهم من كفار العرب حيث قالوا: هي الأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر، وإذا كانوا قد أنكروا وجود الله ﷻ الذي قامت الأدلة على وجوده فكيف نصدق أقوالهم.



قال تعالـــى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ﴾ أي: لا يصدقون بيوم القيامة ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ يعني: جعلنا أعمالهم السيئة زينة لهم ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ يعني: يتحيرون فلا يهتدون إلى الحق ســبيلا، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي: العــذاب الســوء، قدمت الصفة علــى الموصوف وأضيفت، وتقديم الصفة على الموصوف مع الإضافة من باب المبالغة، ثم بَيَّن الله تعالى أنه ﷺ يتلقى القرآن من عند حكيم يضع الأشــياء في مواضعها، عليم لا تخفى عليه خافية.

وهل يقال: إن القرآن مراتب بأن يقال أول مرتبة نزوله من الســماء إلى بيت العزة إجمالاً ثم إلى جبريل ثم إلى الرسول ثم إلينا؟.

والجواب عــن ذلك: إن كلام الله قديم فلا يوصــف بمراتب، وإنما الــذي ينبغي أن يقــال الله ﷻ يتكلم كلاما صفة قائمــة بالذات العلية، وجعل كلامه في اللوح المحفــوظ، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٨]، وأنزله بعد ذلك بواســطة الملك، فكلام الله ﷻ جعل منه شــيئاً في اللوح المحفوظ وجعل منه شــيئاً بواسطة الملك.

■ الدرس الثالث عشر بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٧ ـ ١١ من سورة النمل

قوله تعالـــى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل].

بيَّن الله تعالى في هذه الآيات بعضا من قصة موســى، وكيف أنزل الله الوحي عليه، وكيف بعث إلى فرعــون، وما يتعلق بذلك على وجه الإجمال، أما تفصيل قصة موســى فقد ذكرت في سورة القصص، وأما هنا فقد ذكرت القصة إجمــالا، أي: على طريق الإجمال؛ ولذا قال ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ أي: اذكر إذ قال موسى، وهو موسى بن عمران صاحب العصا واليد البيضــاء، وبعثه إلى الأقباط وبني إســرائيل، وأيــده بنبوة أخيه هارون عليه السلام، والمراد بأهله بنت شــعيب التي تزوجها لما قتل القبطي، وخرج فارا إلى مدين، وســقى للبنتين، وجلس فــي الظل وقال ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] فاســتأجره لثمان حجج على أن

---

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٥/٤هـ.



يزوجه ابنته فذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴾ [القصص: ٢٧ ـ ٢٨]، فخرج موسى، فودعه شعيب، وأعطاه عصا، وكانت هذه العصا لها شعبتان، فلما كان في الطريق اشتد عليه البرد، وامتلأت السماء من الغيم، وكانت ليلة باردة شاتية، فبينما هو في شدة الكرب في ليلة مظلمة شاتية باردة في الصحراء أخذ المخاض زوجته، فصعد على تل من الرمل، فرأى في آخر الوادي نارا تلمع، فقال لأهله: إني أرى نارا تلمع فانتظروني فإني أذهب إليها وآتيكم بقبس لعلكم تصطلون، قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾، والاصطلاء هو الاستدفاء؛ لأن النار فاكهة الشتاء، وقد كان العرب إذا جاء الضيف في الشتاء أول إكرامٍ يكرمونه به يوقدون النار فيصطلي بها، وقال الشاعر:

النار فاكهة الشتاء فمن يرد ... أكل الفواكه شاتيا فليصطلِ

ولما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة قال من بالباب؟، فقيل: الشعراء، فقال: ما لي وللشعراء ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]... إلخ الآيات، فبعد قليل سمع ضجة، قال: ما هذا؟، فقيل: هذه ضجة الشعراء يريدون الدخول عليك، وكل واحد صنع قصيدة ليمدحك بها، فقال: ومَنْ مِن الشعراء؟، فقيل: الحطيئة وجرير وفلان وفلان، فلما سمع اسم جرير أطرق ساعة، فقال: ادخلوه، فأدخلوه، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:



إنّـا لَنَرجو إذا ما الغَيـثُ أَخلَفَنا مِنَ الخَليفَةِ مـا نَرجو مِنَ المَطَرِ
جـاء الخِلافَةَ أو كانَت لَـهُ قَدَراً كَما أَتـى رَبَّهُ موسـى عَلى قَدَرِ
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هـذا الأرمل الذكر

فأعطاه عمر بن عبدالعزيز ثوباً، وقال: إني لا أملك غير هذا، وكانت مبايعة الناس لعمر بن عبدالعزيز بعد موت سليمان بن عبدالملك.

ولما جاء موسى إلى الشجرة وكلمه الله ﷻ ونبأه وأمره بالذهاب إلى مصر ليدعو فرعون، فذهب حالا من عند الشجرة، ولم يفكر في أهله؛ فقيض الله لهم قافلة خرجت من مصر إلى مدين، فأخذوها معززة مكرمة إلى مدين عند أبيها شعيب.

ولما جاء موسى إلى عند الشجرة فوجد النار تلمع فيها وهي خضرة، وكلما قرب منها ازدادت خضرة، وإذا الغمام فوقه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ أي: أتاها، أي: أتى النار ﴿نُودِيَ﴾ أي: ناداه الله ﷻ ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: جعلت البركة على النار ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ وهو موسى وذلك الوادي وتلك البقعة وذلك الجبل فكل هذه أماكن مباركة، والبركة فيض إلهي، وموسى عليه السلام هو بيت مبارك، فإن الملائكة لما دخلت على إبراهيم قالت ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود: ٧٣]، فأنزل الله الملائكة من السماء فنظر موسى إلى الوادي فإذا هو ممتلئ بالملائكة فأحاطوا بموسى.

قال العلماء: وهذه النار التي رآها موسى كانت له حاجباً عن رؤية الله ﷻ، فقد روي عن شعبة عن عمرو بن مرة، قال: سمعت أبا عبيدة



يحدث عن أبي موسى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدث: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ـ أي: لا يليق به ذلك ـ يرفع إليه القسط ويخفضه، ويرفع إليه عمل النهار قبل الليل، وعمل الليل قبل النهار، وحجابه النار أو النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»(١)؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فهو الواحد الأحد الصمد، قال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩] وقوله ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هو من كلام الله ﷻ، ويمكن أن يقال: هو كلام ليس له ارتباط بما قبله، فيكون من كلام موسى، قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقى عصاه فاهتزت فإذا هي حية عظيمة فاتحة فاها، فأقبلت على الصخر فابتلعته حتى أنه ليسمع له تحت أنيابها قعقعة، ثم أقبلت على الرمل فسفته، فلما رأى موسى ذلك خاف فهرب فناداه الله ﷻ وقال له ﴿لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، وأمره بأن يأخذ الحية في فكيها ويجذبها، ففعل ذلك فصارت عصا ذات شعبتين كما كانت، فسبحان الله رب العالمين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ أي: حية صغيرة وهي تكبر شيئا فشيئا؛ فلما رأى ذلك ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يعني: لم يلتفت وذلك بسبب خوفه؛ لأن الخائف إذا هرب لا ينظر ما وراءه، قال العلماء: وسبب خوف موسى أنه لما قتل القبطي في مصر وخرج هارباً فاراً إلى مدين أخافه الله هنا؛ ليبين له ﴿لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب قوله ﷺ: (إن الله لا ينام) برقم٢٩٣، وابن ماجه في كتاب افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب فيما أنكرت الجهمية برقم ١٩٥.



قال تعالـى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ ليس هذا استثناء من المرسلين؛ لأن المرسلين لا يكونوا من الظالمين، ولكن المعنى لكن من ظلم ثم استغفرني ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فإلا هنا بمعنى لكن.

قال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ يعني قميصك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ وهي العصا واليد البيضاء والقمل والضفادع وإنزال التوراة والطمس والقحط والطوفان ورفع الجبل فوقهم.

■ الدرس الرابع عشر بعد المائة[1]

تفسير الآيات ١٢ ـ ١٤ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل].

هذه آية أخرى ودليل باهر على كمال قدرة الله ﷻ بالنسبة إلى نبيه موسى، أما الآية الأولى فهي العصا، وأما الآية الثانية فهي أنه أمره أن يدخل يده في جيبه ـ أي: في جيب قميصه ـ فإذا أدخلها وأخرجها تخرج تتلألأ نوراً تضيء منها قمم الجبال، فإذا أدخلها مرة أخرى عادت يدا سمراء كعادتها.

قال تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ أي: في جيب قميصك، وكان عليه قميص من صوف ليس عليه كم ولا أزرار، فإذا أدخل يده في جيبه وأخرجها خرجت تسطع كأنها قمر، وإذا ردها عادت يدا عادية سمراء والله على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾، فإن اليد قد تكون بيضاء شديدة البياض لكن ذلك بسبب برص، وأما هذه فإنها آية ربانية؛

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٥/١٠هـ.

ولذا قال ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ وبقية الآيات في القرآن قال تعالــى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] ويضاف إليهــا العصا واليد البيضاء ورفع الجبــل فوقهم وإنزال التوراة والطمس على الأموال.

وقال تعالى ممتنا على موسى بإتيانه هذه الآيات ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ﴾ [الإسـراء: ١٠١]، وأعظمهــا العصا واليــد البيضاء وإنزال التوراة، وأعظمها كلها إنزال التوراة.

وبنو إسرائيل آمنوا بموسى وصدقوا بها كلها قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ۖ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال تعالى حكاية عن بني إسرائيل ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧ ـ ١٢٩]؛ فهذه الآيات تدل على أن بني إسـرائيل آمنوا بموسى وصدقوا به، ودلت أيضا على أن موسى كان يعدهم بالنصر واسـتخلافهم في الأرض، وقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

وكانــت لبني إسـرائيل أطــوار وأمــور عجيبة، وما جــاءت آيات ولا معجــزات كما جاءت لبنــي إسـرائيل، وما وقع لأمة مــن الكفر والوقائع كمثل ما وقع من بني إسـرائيل، ولهذا بَيَّــن الله لنا مخازيهم



وقبائحهم لنتجنب ذلك؛ فمنهم من آمن ثم كفر، ثم آمن، وهكذا، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ﴾ أي: فرعون وقومه ﴿ءَايَٰتُنَا ﴾ أي: معجزاتنا ﴿مُبۡصِرَةٗ ﴾ أي: واضحة بَيِّنة لا إشكال عليها ولا غبار عليها، وقد وقع بعضهم في خطأ في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ ﴾ [الإسراء: ٥٩] فقال معنى قوله ﴿مُبۡصِرَةٗ ﴾ أي: ليست عمياء، والصحيح أن مبصرة صفة لمحذوف، أي: أن الناقة آية مبصرة أي: واضحة ظاهرة كالشمس.

قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾ يعني: كذبوا بها مع علمهم بصدقها؛ لأن الجحود لا يكون إلا مع العلم بالشيء؛ لأن طبيعتهم كانت تكذيب الشيء وإنكاره، قال تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ ﴾ أيها النبي الكريم أو يا من يتأتى منه النظر ﴿ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ وذلك بأن أغرقهم عن بكرة أبيهم، والمعنى احذروا يا معشر قريش أن يقع بكم ما وقع بالأمم السابقة من العذاب، ولتعلموا أن هذا وقع بمن كذب موسى فكيف بمن كذب محمدا ﷺ.

فإن قيل: إن تكذيبهم للآيات مع العلم بصدقها هل كان ذلك بعد الاعتراف بها أم قبله؟.

فالجواب: إن الجحود بعد إنكار الشيء في الظاهر، والعلم لا ينفك عن أفئدتهم ولكنهم يتظاهرون بالتكذيب حقدا وحسدا؛ فمن هنا تبين أن هذا العلم لما لم يظهر عليه آثاره النافعة كان كالعدم؛ ولذا قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] يعني: أنهم لا يكذبونك بأفئدتهم ولكنهم يكذبونك حقداً وحسداً؛ ولذا لما سمع الوليد القرآن، فقيل له: أليس هو بساحر؟، قال: لا والله لقد



عرفت السحر عقده ونفثه، فقيل له: هل هو بكاهن؟ فقال: لا والله لقد عرفت الكهانة، فقيل له: هل هو بشاعر؟ فقال: لا إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، ولا يقول هذا بشر ولكنه كلام واهب القوى والقدر، فقالوا: صبأ الوليد، وقال أبو جهل: إن محمدا قال للوليد سأجعل لك نصف الأمر، أي: النبوة، وقال له عتبة: لقد انتفخ شدقك من محمد، ثم اجتمعوا عليه فقالوا له والله ما كان هذا ظننا فيك، فلما قالوا له ذلك ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [المدثر: ١٨ ـ ٢٢]، ثم قال هذا ساحر يفرق بين المرء وزوجه والوالد وولده، وأما كلامه فما هو إلا سحر، وكان للوليد عشرة أولاد يحضرون الحروب، وكلهم أبطال مدججون بالسلاح؛ منهم خالد بن الوليد، فلما كفر أمسك الله عنه زيادة الولد والمال، فما زاد ماله ولا ولده أبدا بل كان ينقص، وبيَّن الله لحبيبه أنه خلقه بلا مال ولا ولد فكفر وصار أشر، قال تعالى: ﴿ذَرْنِي﴾ [المدثر: ١١] أي: اتركني ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١١ ـ ١٧]، وهو جبل في النار صعوده ثلاثة آلاف سنة ونزوله ثلاثة آلاف سنة، وقد قال عبدالله بن سلام، وهو أحد أحبار اليهود: «والله إن معرفتي لمحمد أشد من معرفتي لأولادي، فقيل له كيف ذاك؟ فقال: نزلت التوراة وفيها أوصاف محمد، وجاء الإنجيل وفيه أوصافه فعرفت ذلك، وأما ولدي فوُجد على فراشي وما أدري ماذا تصنع النساء»، فنزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

■ الدرس الخامس عشر بعد المائة[1]

تفسير الآية ١٥ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل].

أخبر الله تعالى عباده بما أنعم على نبيه داود ونبيه سليمان من النعم العظيمة والمواهب الكبيرة والتسخير والملك العظيم، ولا شك أن من أطاع الله أطاعه كل شيء، ومن عصاه عصاه كل شيء، قال بعض السلف: والله إني لأعصي الله ﷻ فأجد ذلك في زوجتي وولدي ودابتي، فيأمر ولده أو زوجته فيعصيه، ويريد أن يركب دابته فتنفر؛ فلا يعاتب الزوجة، ولا يضرب الدابة، ولكن يرجع إلى نفسه فيحاسبها ويصفي معاملته مع الله ﷻ، وهكذا كان السلف رحمهم الله إذا رأوا أثر المعصية بادروا إلى تسديدها والوقوف في موقف التوبة والانقياد.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ﴾ أي: أعطينا ﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾ المراد بهذا العلم النبوة والرسالة، وآتاهم الله ﷻ أيضا علم القضاء وهو الفصل

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٥/١٦هـ.



بين المتخاصمين، وآتاهم معرفة منطق الطير ولغات الحيوان، وآتاهم فضلا كبيرا على العباد.

أما سليمان فسخر له الجن والشياطين والمردة، وجعل معه الملائكة يسيرون في ركابه ﷺ، وكان جبريل يسير معه في بعض الأحيان كما يسير مع عيسى المسيح، أما نبينا ﷺ فلم يَكِل حفظه إلى ملك ولا إلى روح القدس، بل توكل هو بحفظه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] فهذا من خصائص نبينا ﷺ.

﴿وَقَالَا﴾ أي: داود وسليمان ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا﴾ أي: جعل لنا الفضل ﴿عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَوَرِثَ﴾ هذا الإرث هو إرث النبوة، فمعناه أنه صار نبياً معه؛ لأن داود كان يلتجئ إلى الله أن يجعل سليمان نبيا فوهبه الله نبوته، ومعنى أن الله وهب لسليمان النبوة كما وهبها لداود، وإلا فالنبوة لا تورث، ولكنها إذا طلبها النبي لأخيه أو ولده قد يعطيه الله النبوة للأخ والولد؛ استجابة له؛ فكأنه هو أعطاه إياها، قال تعالى حكاية عن موسى ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٢]، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا﴾ [الفرقان: ٣٥]، فسليمان كان وزيرا لداود، وقال زكريا لما طلب من الله الولد ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي﴾ أي: النبوة ﴿وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ



يَعۡقُوبَۖ﴾ [مريم: ٦] النبوة أيضا فهــو وارث، لكن ليس وارث مادي، لكنه وارث روحي، يعني: إنه وارث للعلم والنبــوة لا وارث للمال، فالمراد إرث النبــوة، وإلا لما قــال ﴿وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ﴾، كمــا قال ﷺ: «إنا معشــر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»[1]، والسـبب فــي أن الأنبياء لا يُوَرِّثون المال لورثتهم وجهان:

الأول: إنه لــو كان يرث النبــي أبناؤه وأهله لقال النــاس: ما ادعى النبــوة إلا ليجمع المال لورثتــه أو لأهله؛ ولذا لمــا منع الصديق رضي الله عنه فاطمة البتول من إرث أبيها قالت له معاتبة: لو مت يا أبا بكر أما يرثك أبناؤك، فقال لها: نعم، لكن ســمعت رســول الله ﷺ يقول: «إنا معشــر الأنبياء لا نــورث ما تركناه صدقة»، ثم قال لهــا: ولكني أنفق على من كان ينفق عليه رسول الله ﷺ، فانصرفت رضي الله عنها.

الثانــي: أن النبي والرســول هو أب لأمته كما قــال تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٦] فإذا كانت زوجاته أمهات فهو يكون أب، وقد قرأ ابن مســعود بعد قوله أمهاتهم «وهو أبوهــم»، وإذا كان أبا لأمته فهم أولاده، وأحق أولاده بماله هم الفقراء من أمته؛ ولذا قال: «ما تركناه صدقة»، ومما يؤيد هذا قوله ﷺ: «إني لكم كالأب فإذا جاء أحدكم الغائط...» الحديث.

وأما قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٤٠] فالمراد بنفي الأبوة هنا أبوة التبني، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام تبنى زيد بن حارثة وزوَّجه

---

(١) أخرجــه البخاري في كتاب فرض الخمــس برقم ٣٠٩٣ لكن بلفظ (لا نــورث، ما تركنا صدقة)، ومسلم وغيرهما.

زينب بنت جحش، وكان يقال لـه زيد بن محمد؛ إلـى أن أبطل الله التبني بقوله تعالـى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأحزاب: ٥]، ولما طلق زيد زينب أمـر الله النبي ﷺ أن يتزوج عليها بعـد انقضاء عدتها؛ فضج العرب، وقالوا: كيف يتزوج محمد زوجة ابنه، فقال ﷺ: أمرني الله بذلك حتى أبطل التبني؛ ولهذا نفى الله هذه الأبوة بقوله ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومما يستطرف إن سليمان نام يوماً على سريره وفوقه قبة من ذهب صنعها له الجن، فـرأى عصفورين ذكراً وأنثـى يتحادثان فوقه، فيقـول أحدهما للآخـر: لئن لم تصلينـي لعذبتك، وقلبـت هذه القبة رأساً على عقب، فضحك سليمان وأمر طائرا بحضرته أن يأتي بهما فاحضرا فعاتبهما، فقال أحدهما: لقد علمت يا سليمان إن أكذب الناس العاشقون، فضحك.

وقال البغوي ورد في الأثر: «إن سليمان مرّ يوماً فإذا ببلبل يرفرف بجناحيه وهو يصفق، فضحك سليمان، فقال الناس ما أضحكك يا نبي الله؟ فقال: أتدرون مـاذا يقول البلبل؟ فقالوا: لا، فقـال إنه يقول: أكلت نصف تمرة والحمد لله وعلى الدنيا السلام».

فإن قلت: كيف قال تعالى حكاية عن سليمان ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ ﴾ مع إن أشياء لم يؤتها؟.

والجـواب: إن الكليـات الموجودة فـي القرآن يخصصها السـياق والمقام؛ مثـال ذلك قوله تعالى في ملك بلقيـس ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ ﴾



[النمل: ٢٣] يعني: أنها أوتيت من كل شيء يحتاج إليه ملكها من أثاث وفراش وعبيد، وإلا فالنبوة شيء والعلم شيء ولم تؤتهما، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] يعني: مما تحتاج إليه ومما يحتاج إليه أمتك، أما ما يعرف به علم الله القديم أو ما في اللوح المحفوظ فلم يحتوِ عليه، نعم احتوى القرآن على علم البشر لكن لم يحتوِ على علم الله كله، فإن من كلام الله التوراة والإنجيل والصحف، ومن كلامه ما استأثر الله بعلمه وكل هذا لم يحصل في القرآن كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فالكلية مخصصة بالسياق والمقام.

ومن الكليات العامة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٦] فهذه كلية عامة لا يستثنى منها شيء، فالله يعلم كل شيء من موجود ومعدوم وما لو وقع كيف كان، ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، قال الشيخ الزمزمي:

وعز إلا قوله والله ... وهو بكل، أي: عليم ذا هو
وقوله خلقكم من نفس ... واحدة فخذه دون لبس

فهاتان الآيتان كليتهما عامتان بدون تخصيص وما سواهما من الكليات فمخصصات، انظر هذا البحث في علم أصول التفسير.

■ الدرس السادس عشر بعد المائة[1]

تفسير الآيات ١٥ ـ ١٨ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُودَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [النمل].

يذكر الله ﷻ ما تفضل بـه على نبيه داود وعلى ابنه سـليمان فقد جمع لهما بين الملك والنبوة فهما نبيان ورسولان وملكان عظيمان.

أما نبينا ﷺ فقد خُيّر بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً، يجوع يوماً ويشبع يوما، وكان نبينا ﷺ عظيم الأدب مع إخوانه من الأنبياء والمرسـلين، ومن أجل ذلك لما تفلت عليه عفريت بشـعلة من نار، فقال: أعوذ بكلمات الله... إلخ، فانطفأت شعلته وسقط، فأراد أن يقبضه ويربطه بسـارية من سواري المسـجد، فقال: لو ربطته

[1] كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٥/٢٤هـ.



لأصبح صبيـــان المدينة يلعبون بـــه ولكن تذكرت قول أخي ســـليمان ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾ فكانا يفصلان بين الناس، وآتاهم الله نبوة ورســـالة، ومنطق الدواب، وتســـبيح الجبـــال، ومنطق الطير، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾... الآية يحمـــدان الله ويثنيان عليه لما تفضل به عليهما مـــن معرفة علم القضاء ومنطق الطيـــر فذلك قولـــه تعالـــى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾ أي معرفة علم القضاء بيـــن الناس ومعرفة منطق الطير والدواب وغير ذلك مما تفضـــل الله به عليهم ﴿وَقَالَا ﴾ أي: داود وســـليمان ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي: الشكر ثابت لله، يحمدان الله ويثنيان عليه على ما تفضل به عليهما من معرفة علـــم القضاء ومنطق الطيـــر ﴿فَضَّلَنَا ﴾ أي: جعل لنا الفضل ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وإنما خص المؤمنيـــن؛ لأن الكفار لا فضل فيهم، بل الفضل إنما يكون لأهل الفضل، قال الشاعر:

إذا أنـــت فضلت امـــرئً ذا نباهة   على ناقص كان المديح من النقص
ألم تـــر أن الســـيف ينقص قدره   إذا قيل هذا السيف خير من العصي

قال تعالـــى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ هذا الإرث إنما هـــو إرث النبوة والعلم، وليـــس إرث المال، وأمـــا الإرث الحقيقي وهـــو إرث المال، فالأنبياء لا يُوْرَثون وما تركوه صدقة، والسر في ذلك يرجع إلى أمرين:

الأول: أن الرســـول لو كان يـــورث مالاً لقيل إنه إنمـــا ادعى النبوة لأجل أن يجمع مالا فيورث عنه.

الثاني: أن النبي أب لأمته جميعاً قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾... الآية [الأحزاب: ٦] فما تركه من المال يكون صدقة لأولاده.

ولذا لما جاءت فاطمة البتول إلى سيدنا أبي بكر تطلب من مال أبيها فلم يعطها شيئاً، فقالت له: ألست أنت إذا مت يرثك أبناؤك؟ فقال: بلى، ولكن سمعت أباك يقول: «إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»[1] فذهبت، فقال لها أُنفق على من كان ينفق عليه رسول الله ﷺ.

وفي القرآن الكريم قول زكريا ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥ ـ ٦] فالمراد إرث النبوة وإلا لما قال ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، وأما قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] فالمراد بنفي الأبوة هنا إنما هي أبوة التبني، فقد أبطله الشرع، وقد أمره الله أن يتزوج امرأة زيد إبطالاً لعادة التبني، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب: ٣٧]... الآية أي: ضيق، وقد قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقد قرأ ابن مسعود {وهو أبوهم}.

قال تعالى حكاية عن سليمان حال كونه متحدثاً بنعمة الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ أي: علمنا الله ﷻ منطق الطير ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس برقم ٣٠٩٣ لكن بلفظ (لا نورث، ما تركنا صدقة)، ومسلم وغيرهما.



ومعنى قوله تعالـــى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ أي: في الزواج والحرمة، وأما في الخلوة فلا.

وقال تعالـــى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ قـــال البغوي ورد في الأثر (إن ســـليمان مرَّ يوماً فـــإذا ببلبل يرفرف بجناحيـــه وهو يصفق، فضحك ســـليمان، فقال الناس: ما أضحكك يا نبـــي الله؟ فقال: أتدرون ماذا يقول البلبل؟ فقالوا: لا، فقـــال إنه يقول: أكلت نصف تمرة والحمد لله وعلى الدنيا السلام).

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: ممـــا يحتاج إليه الملك ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾.

ويقال: إن سليمان عليه الصلاة والسلام مر يوما على كلب وكلبة فتبسم، فقال: أتدرون ما يقول هذا؟، فقالوا: لا، فقـــال لهم: إن هذا الكلب يقول للكلبة يطلب وصلها ويغازلها، ويقول لها: إذا وصلتينـــي أعطيتك نصف هذه البلدة، فقال له ســـليمان: كيف تكذب يا كلب، فقال: يا نبي الله لقد علمت أن أكذب الناس العاشقون.

وأعطى الله ســـليمان معرفة لغات السباع والوحوش، وأمر الريح أن تنقل إليه أصواتهم ولغاتهم إليه إذا شـــاء وأمر، وبينما هو ســـائر يوما فأحب أن يســـمع شـــيئاً، فأمر الريح أن تنقل إليه صوتا من مسير ست أميال، فنقلت إليـــه صوت نملة تخطـــب في قومها، وتقول: يا معشـــر النمل ادخلوا مساكنكم... إلخ، وكانت هذه النملة من النمل الذي يطير، وكانت قد طارت وأبصرت جيش سليمان، فرجعت إلى قومها، وحذرت

وأنذرت وأمرت ونهت ونصحت وعذرت، فكلامها جمع هذا كله، فما أفصحها من نملة، وفي قولها ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ فالتحطيم لا يقع إلا من شيء عظيم، قال تعالى: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ يعني: لا يعلمون، فهذا اعتذار لقوم سليمان؛ لأنهم على الخيول فلا يعلمون بالنمل.

قال الإمام أحمد ابن حنبل: حدثنا قتيبة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كان داود فيه غَيْرَة شديدة، فكان إذا خرج أغلق الأبواب، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، ففي ذات يوم خرج وأغلق الأبواب على أهله، فجاءت امرأة تحت بيت داود فأبصرت رجلا فيه ثياب بيض قائم وسط الدار، فصاحت المرأة، وقالت: ليفتضحن اليوم داود في أهله، فقال الرجل: على رِسْلِكِ إنما أنا ملك الموت، فجاء داود فسلم عليه، وقال له داود: من أنت؟، قال: أنا الذي لا يخيفونني الحجاب والملوك، فقال داود: إذاً أنت ملك الموت، فمرحباً برسول ربي، فاضطجع على سريره، فقبض ملك الموت روحه، فأمر سليمان الطير أن تظلل عليه فظللته، ثم أمرها أن تنصرف فدفنه.

وكان ملك سليمان سبعمائة سنة، فسخر الله له الإنس والجن، فكان إذا مشى مشى في موكب عظيم فيتقدم قبله الإنس والجن والشياطين والعفاريت والمردة، ويجلس الوزراء على كراسي من ذهب... إلخ ما قال. اهـ.

■ الدرس السابع عشر بعد المائة(١)

تفسير الآيات ١٧ ـ ١٩ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل].

قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ﴾ بن داود ﴿جُنُودُهُۥ مِنَ﴾ أي: عسكره وبينهم الجن، فمن للبيان والمبين قوله ﴿جُنُودُهُۥ﴾؛ كأنه قيل: ومن هم جنوده؟ فقال: ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ وكان هذا استجابة لدعائه لما قال ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥]، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦]... الآية، ومعنى قوله ﴿لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ يعني: لا يعطاه أحد من بعده، وهو عليه الصلاة والسلام وإن علم أنهم معاشر الأنبياء معصومون، وأنهم مهما أعطوا من الملك لا يضرهم ذلك، فأحب الاستقلال بالملك لا بخلاً به على الغير، ولكن ليكون ذلك ارتفاعا لقدره ويكون سبباً في علو شأنه ورفعة

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٦/١هـ.

قدره، أما نبينا ﷺ فقد أوتي الملك العظيم إلا إن عبوديته غلبت على ملكه، ومن أجل ذلك لما تفلَّت عليه عفريت من الجن أمسكه وأراد أن يربطه بسارية من سواري المسجد فقال لو ربطته لأصبح صبيان أهل المدينة يلعبون به ولكن تذكرت قول أخي سليمان ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾، ومن هذا يعلم أنه قد أوتي من الملك أعظم مما أعطيه سليمان إلا أن عبوديته غلبت على ملكه، ويدل لهذا إن نبي الله يوسف قد أوتي شطر الحسن ففتن به النسوة، ونبينا ﷺ أوتي الحسن كله إلا أنه استتر تحت مقام الهيبة والجلال بخلاف حسن يوسف قال الشاعر:

بجمالٍ سَتَرْتَه بجلالٍ   هام فاستعذب القلوب هناكا

ومن أجل هذا أوذي سيدنا يوسف بسببه، أما نبينا فقد ستر حسنه سرادقات الهيبة والجلال، ولذا إذا جلس الصحابة بين يديه ﷺ لا يحدقون النظر إليه

فَلَو نَظَروا في مَصر أَوصاف خَده   لَما بَذَلوا في سَوم يوسف مِن نَقد
وصَحْبُ زليخا لَو رأَين جبينه   لَآثرن بالقَطع القُلوب عَلى الأَيدي

وهذا دليل على أنه وقع له من الجمال أعظم مما وقع للأنبياء والمرسلين، وعيسى بن مريم من خصوصياته أنه لا يسير إلا ومعه روح القدس وهو جبريل، أما نبينا ﷺ فأوتيَ أعظم من ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] فلئن كان معه روح القدس فنبينا معه الإله وعين الله ترعاه.

والحاصل: إنه ما أعطي أحد من الأنبياء والمرسلين شيئاً إلا وقد أعطي نبينا أعظم منه، ولغيره المظاهر والجمال، وله ﷺ العبودية والجلال؛ فلكل مقام مقال ولكل مقال سر، ومن هذا يتبيّن أنَّنا لو أردنا أن نبحث عن معجزة أي نبي كان لما وجدناها، أما معجزة نبينا فهي باقية وهي القرآن، قال صاحب الجوهرة:

ومعجزاتُه كثيرةٌ غُرَرْ   منها كلامُ اللهِ معجزُ البشرْ

وقال بعضهم:

إن كان موسى سقى الأسباط من حجر   فإن في الكف معنى ليس في الحجر

وقال آخر:

إن كان عيسى دعا ميتا فقام له   فأنت أحييت أجيالا من الأمم

وقد ثبت في السنة أنه ﷺ جاء إليه البعير يشتكي فدعا صاحبه، وقال له: إن هذا البعير يشتكي ويقول: إنك تكلفه ما لا يطيق وتريد ذبحه، فقال صدقت أشهد أنك رسول الله، ومن معجزاته: أنه كان يخطب على جذع، فلما صنع له المنبر حن له الجذع وحديثه ثابت، ومن معجزاته: أنه أخذ حصيات فسبحت في يده حتى سمعها من حضر.

ومن معجزاته: أنه كان إذا طلع إلى جبل حراء يسلم عليه حجر، وقد كان موجودا، وكتب بعضهم عليه هذين البيتين:

أنا الحجر المسلم كل حين   على خير الورى فلي البشاره

وتلك مزية من فضل ربي   خصصت بها وإنَّ من الحجاره



وكان ﷺ يفتخر بالعبودية فيقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم إنما أنا عبدُ الله»[1].

قال تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧] أي: يمشون، وفيه دليل على أنه كان تارة يمشي، وتارة يركب الريح، وجاء في الأثر: «إن سليمان مر بمكة وهو فوق الريح على بساطه فوق البيت، فشكا البيت إلى ربه وقال: يا رب هذا نبيك قد مر من فوقي ولم يهبط يطوف بي، وحولي هذه الأصنام، فأوحى الله إليه أن لا تهتم فسوف أملؤك وجوها سُجَّدا، وأبعث فيك نبيا، وأفرض فيك فريضة، تهوي إليك أفئدة، ويطيرون إليك طيران الحمام إلى بيضها، وأطهرك من الأصنام وعبادها»؛ فهذه بشارة بإخراج هذه الأمة.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ [النمل: ١٨] خطبت نملة فقالت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ فهذه النملة نادت ونبهت وأمرت ونهت وذكرت وعطفت فقالت سليمان وجنوده، ونصحت واعتذرت، فنصحت بقولها ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾، واعتذرت بقولها ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

قال الإمام البغوي يروى أن سليمان لما سمع النملة قال لها: أنت القائلة ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ فكيف أحطمهم وأنا نبي معصوم،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَـٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانًا شَرۡقِيًّا﴾ [مريم: ١٦] برقم ٣٤٤٥ بزيادة (ورسوله)، وأحمد في كتاب مسند الخلفاء الراشدين مسند عمر بن الخطاب برقم ١٥٤.

فقالت له: لقد علمتُ يا نبـي الله أنك نبي معصوم، ولكن ألم تسمع قولي: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

ولما بلغ وادي النمل وقف وحبس جنده حتى دخل النمل بيوته فسار، ولما توسط الوادي نزل وسجد شكرا لله ﷻ، ولذا قال ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ وكان الأنبياء والرسل أكثر ضحكهم التبسم، وما رئي عليه الصلاة والسلام مقهقها قط.

قال الإمام البغوي أخبرنا عبدالواحد أخبرنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثني يحيى بن الحارث أنه حدثه عن سليمان بن اليسار عن عائشة أنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً قط حتى أرى منه لهواته ـ وهي أصول الحلق ـ إنما كان ضحكه التبسم».

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، ويروى أن سليمان لما آتاه الله هذا الملك العظيم بكى، وقال: إذا كان هذا عطائي في الدنيا فكيف بعطائي في الأخرى فنزل عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾... الآية [ص: ٤٠].

■ الدرس الثامن عشر بعد المائة[1]

تفسير الآيتين ٢٠ ـ ٢١ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل].

هذا شروع في قصة سليمان مع الطير بعد قصته مع النمل، أما قصته مع الطير فهي إن الله ﷻ سخر له الطير وعلمه لغاتها، وكان من كل صنف من الطير جماعة ملازمون لموكبه ﵇، وهؤلاء الملازمون له هم أئمة الطير وكبراؤه، وكان إذا سار وركب البساط كان الوزراء فوق كراسيهم من الذهب والفضة، وهم محيطون به، وعلى رؤوسهم الولدان وهم مكللون بأتياج الذهب والفضة، والطير تظللهم فوق رؤوسهم، وهو يأمر ﵊ وينهى.

قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ﴾ [سبأ: ١٢] يعني: الحديد. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ﴾ وكان سليمان إذا مشى في موكبه يتقدم قبله الطباخون بمائة

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٦/٢هـ.



ميل، وكان له قدور الواحد منها يسع عشرة من الإبل، ولا يصعد إليها إلا بسلم فهي كالجوابي، وينزل وسط القدر عشرة من الغرافين يغرفون الطعام من أطرافه، وكان عليه السلام يأمرهم أن يصنعوا له تماثيل، وكانت مباحة في شريعته، ويأمرهم أن يصنعوا له محاريب من الذهب والفضة، وبنى المسجد الأقصى بالذهب والفضة، وجعل جوانبه بالفسيفساء، وجعل سقفه بالجوهر والعقيق، وكانت له قصاع يجلس على القصعة الواحدة ألف رجل، وكان إذا عصاه أحد من المردة يضعه في قمقم فيختمه بالرصاص والقصدير فيلقيه في البحر فلا يزال كذلك حتى يذكره ويرق له فيأمر الجن أن يأتوا به فيفكه ويخرج ذليلا مطيعا.

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ﴾ وقيل: إنه رأى موضع الهدهد خالياً، فقال لملك الطير: ما لي لا أرى الهدهد، فقال له الملك: أمهلني يا رسول الله، فأرسل ملك الطير رسله إلى الهواء، فوجدوه قادما من أرض اليمن، فأمسكوه وجاؤوا به؛ حتى أوقفوه بين يدي سليمان ترتعد أجنحته من خوف سليمان، ولكن كان ذلك الهدهد ذكيا، وكان له جواب حاضر، ونعم الناصر الجواب الحاضر، فلم يكلمه سليمان بل التفت إليه مغضبا، فألقى الهدهد كلمته العجيبة، وقال لسليمان ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢].

حدثنا أبو الفضل عن شيخه شيخ الجامع الأزهر أن الخديوي، وهو ملك مصر، جاءت إليه مسألة من تركمانستان، فجمع علماء الأزهر، وسألهم عن تلك المسألة، فكلهم قالوا: الله أعلم حتى شيخ الجامع الأزهر، وطلبوا منه أن يمهلهم حتى يراجعوا لتلك المسألة، فتكلم



رجل في آخر المجلس، وقال: إن أذن لي الملك في أن أتكلم تكلمت، فانتهره بعض المشايخ، وقال له: اجلس واسكت فإن مثلك لا يحيط بما لم يحط به هؤلاء العلماء، فقال الرجل: يا أيها الملك إن هؤلاء العلماء مهما ترقوا في العلم وعرفوا منه ما عرفوا ما يصلوا إلى درجة سليمان، وقد قال له الهدهد ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ ولم يغضب سليمان مع أن الوحي ينزل عليه، وأنا مهما بلغت في الذل والضعف والقصور ما أصل إلى درجة الهدهد، وقد قال لسليمان ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ ؛ ففرح الملك وأمروه أن يتكلم، فتكلم ذلك الرجل الصغير الذي يكون بالنسبة إلى أولئك العلماء كتلميذ لهم، فتكلم حتى أشبع الفصل، وسئل سيدي عن المسألة أي: مسألة هي فلم يبينها.

ويقال: إن سليمان قال للهدهد: إن الصبي يصنع الفخ على وجه الأرض فيجيء الهدهد ويلقي بنفسه فيه، فبكى الهدهد وقال له: أما علمت يا نبي الله أنه إذا جاء القدر عمي البصر، وفي هذه الآيات دليل على أنه ينبغي للرئيس أن يجعل سبيلا للعذر بأن يقول من تخلف فسوف نصنع به كذا وكذا، إلا إذا كان مريضا ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا ﴾ [النمل: ٢١] قيل: إنه أراد أن يحبسه مع غير جنسه؛ لأن حبس الإنسان مع غير جنسه عذاب شديد.

ومما يحكى أن عالماً من العلماء أحبه الملك وأراد أن يتصل به وأن يكون من معينيه، فأبى ذلك العالم فسجنه فصيَّر ذلك العالم السجن مدرسة حتى حفظ القرآن على يديه في السجن ثلاثمائة إنسان، وكان كل سجين انتهت مدته وأمروه بالخروج من السجن لا يحب

الخروج، ويقــول: لا أفارق هذا الشــيخ أبداً، فأخبــروا الملك بذلك، فحبسه مع بدوي، فلما جلس هو وإياه بكى ذلك البدوي بكاءً شديداً، فقال له ما يبكيك؟ فقال له: إن معي تيســاً لــه لحية كلحيتك هذه وقد مات ولما رأيت لحيتك تذكرته فبكيت أســفاً عليه، فقال ذلك العالم: صحبة الملك أولى من صحبة هذا البدوي، فأطلق من السجن وصاحب الملك... إلخ ما قال. اهـ.

■ الدرس التاسع عشر بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٢٢ ـ ٢٦ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝٢٤ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ۝٢٦﴾ [النمل].

بيَّن الله تعالى ما كان من الهدهد الذي افتقده سليمان ثم وجده وجيء به إليه ترعد فرائصه، فأخبر الهدهد أن تأخره إنما كان بسبب اكتشافه لمملكة واسعة، فبيَّن أوَّلا سعة مملكتها؛ لأن الحكومات منها ما يكون فيها رؤساء متعددون، ومنها غير ذلك، وبيَّن أن هذا الملك الذي يسيطر عليها هو امرأة، ثم تكلم عن قوتها، أي: قوة هذه المملكة، قال تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ﴾ وسبأ هم قبائل حمير ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي: متيقن لا شك فيه ولا ريب؛ لأنه أخبر عن مشاهدة وعيان، وجاء في الحديث أن النبي ﷺ سُئل عن سبأ، فقال: «كان رجل له عشرة أولاد،

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٦/٩هـ.



تيامن منهم ستة ـ أي سلكوا جهة اليمين ـ وتشامل منهم أربعة»، يعني: سلكوا جهة الشمال.

قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ وهذه المرأة هي ملكة سبأ، واسمها بلقيس بنت شــراحيل، ولذا قال ﴿وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾، أما ما قيل: إنها كانت أمها جنية، وأن قدميها كحافر الحمار، فهذه أخبار إسرائيلية لا يلتفت إليها، ولا يعتمد عليها، وكان أبو المرأة تحته أربعون قيلا، أي: رئيســاً، ويقال: إن بلقيس خُطبت من ملوك حمير، ومن ملوك كندة، ومن ملوك ســائر العرب، فقالت: ومن يكون كفؤاً لي وأبي ملك وجدي ملك إلى ســابع جد، فلما خطبها سليمان ســجدت لله شكراً، وكانت من بيت ملك، وكان وزراؤها ثلاثمائة وعشرون، وكانت مدينتها تســمى مأرب، وكان فيها السد المسمى بســد مأرب الذي يرد المياه، ولما أراد الله هلاك سبأ سخر الله على الســد الفئران، فما زالت تبحث فيه حتى انكسر، فســمعوا له صوتاً عظيماً، ولم يشــعروا إلا والقصور تســاقطت وأبادهم الله ﷻ؛ لأنهم طغوا وعصوا كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ [سبأ: ١٥]، وكان أهل سبأ إذا سافر أحدهم لا يحمل زاداً ولا ماءً؛ لأنه لا يمشــي إلا تحت ظل الأشجار فيأكل من أثمارها، فلا يتعبون في أســفارهم، ولذا قال تعالى لهم ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]، وكانــت المرأة تخــرج وهي تغزل الغــزل، وتضع المكتل على رأســها، وتمشي تحت الأشــجار، فلا تعود إلى بيتها إلا وقد امتلأ المكتل فواكه من كثرة الأشــجار، ولما قالوا ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ



أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [سبأ: ١٩] أهلكهم الله وأرسل عليهم سيل العرم أي: الشديد، فانقض على السد، وبقي الماء يجري عاماً كاملاً، وهلكوا والعياذ بالله، وكان لبلقيس سرير مرصع بالذهب والفضة وقوائمه اللؤلؤ، وطوله ثلاثون ذراعاً، وسمكه كذلك، وعرضه كذلك، وكله من الذهب، وكان لها بيت إذا انطفأ السراج أضاءت الجواهر والدرر من جوانبه.

ولما بَيَّن الهدهد مملكة سبأ، وما يتعلق بها، شرع يتكلم على ديانتها فقال: ﴿ وَجَدتُّهَا ﴾ أي: المرأة، ﴿وَقَوْمَهَا ﴾ أي: جماعتها ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، ثم بَيَّن السبب الحامل لهم على ذلك فقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾، ثم أنكر عليهم فقال: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ ﴾ [النمل: ٢٥] أي: الماء ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، ولما كان الهدهد يرى الماء من تحت طبقات الأرض أورد إخراج الماء من تحتها حجة فقال: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ﴾... الآية، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ لما وصف الهدهد عرش بلقيس قال: ماذا يكون عرشها لعرش رب العالمين!، وفي الحديث «ما الأرضون السبع وساكنوها، والسماوات السبع وساكنوها، والكرسي بالنسبة للعرش إلا كحلقة ملقاة في فلاة»، وقد أبان الله تعالى أن علمه محيط بالأشياء كلها، قال تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرعد: ١٠]، وكان المنافقون إذا تكلموا أصبحوا وجدوا كلامهم قد نزل به الوحي على النبي ﷺ، فصاروا إذا أرادوا أن يتكلمون غلقوا الأبواب، ولبسوا أثواب النوم، وتكلم بعضهم مع بعض من تحت الثوب، ويقرب صدره من أخيه وفمه من إذنه، ويقولوا: لا ترفعوا



أصواتكم حتى لا يسمعكم رب محمد، ولذا قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [هود: ٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

قال تعالى: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ في هذه الآية دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يتأنى في الأمور، وقد روي أن النبي ﷺ أرسل رسولاً ليجمع أموال الزكاة، فذهب ورجع بشيء من المال، فخرج الناس يستقبلونه، فظن أنهم يريدون قتله، فجاء مسرعا إلى النبي ﷺ وأخبره، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦]، وإنما سماه فاسقا؛ لأنه أساء الظن بمن خرج إليه.

قال تعالى: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ فهذا أول بريد جوي ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ فبينما بلقيس جالسة على عرشها دخل عليها الهدهد ورفرف فوقها وفي فمه الكتاب فألقاه في حجرها، فنظرته وقبلته، وقالت لقومها ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، وكان في دولة بني العباس حَمَام ينقل البريد من بغداد إلى فارس، ومن فارس إلى اليمن، وكان ذلك الحمام معلَّماً، ومن عجيب أمره أنه فِرق، فإذا حملت فرقة البريد من بغداد إلى فارس، تأتي فرقة أخرى فتأخذه وتحمله إلى اليمن وهكذا.



وجاء ذكر النمل فقال سيدي: يحكى أن رجلاً مسافراً إلى الطائف، وكان معه كيس مملوء بالدراهم، فسقط منه في أثناء الطريق، فمشى ولم يدر عنه، وبعد مضي خمس دقائق تقريبا فطن له، فجاء إليه، فإذا نمل كبار الواحدة منها قدر الأصبع تسلط على ذلك وفرغه من الدراهم في مدة خمس دقائق. اهـ.

قال تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ ﴾ الملأ في اللغة هم القوم الذين يملؤون صدور المجالس ويملؤون صدور أعاديهم هيبة، قال تعالى: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ وصفت الكتاب بأنه كريم؛ وذاك لما عرفت مَنْ مرسله وقوته وما سمعت عنه من غرائب الأحوال، وكتب ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ على أعلى الظرف، وقال الحسن البصري: لما رأت الطير ألقاه إليها ظنت أنه من السماء.

فإن قال قائل: بسم الله الرحمن الرحيم تختص بالأمة المحمدية فكيف جاءت في كتاب سليمان؟.

فالجواب عن ذلك والله أعلم: إن المختص بهذه الأمة إنما هو تركيب البسملة باللغة العربية، أما باللغات الأخرى فلا، وكان كفار قريش يكتبون في صدور الكتب باسمك اللهم، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ [الإسراء: ١١٠] كتب المسلمون بسم الله الرحمن، وقال الكفار: لا نعرف إلا رحمن اليمامة يريدون مسيلمة الكذاب، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ كتب المسلمون بسم الله الرحمن الرحيم.



أما البسملة في أول كل سورة فقيل: إن البسملة ذكرت في صدر كل سورة للتبرك وللفصل بها فقط، وليست آية من كل سورة، أما البسملة التي في سورة النمل فآية قطعاً، فلو أنكرها أحد كفر، وأما البسملة التي في صدر كل سورة فمنكرها لا يكفر، وقد سمع ﷺ البسملة في أول كل سورة فأقرَّها، وسمعها في أثناء السور فلم ينكرها.

وأما ترتيب القرآن فآياته وحروفه توقيفيان، فمن قرأ بعكس آياته أو حروفه فيكفر، وقيل: إن ذلك حرام فقط، وأما ترتيب سوره ففيه خلاف، فقيل: توقيفي، وقيل: لا.

وأما الأحزاب والأعشار والأسباع للقرآن فقد وجد ذلك في مصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه لكن لا يقتضي ذلك إنها توقيفية.

وقيل في البسملة التي في صدر السور: إنها آية من كل سورة، وقيل: آية منضمة إلى صدر السورة؛ فتكون هي وصدر السورة آية واحدة؛ فمثلاً البسملة التي في الفاتحة و﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ آية واحدة، وقد ورد أنه ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة وبيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يقول الرب حمدني عبدي، فإذا قال العبد ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يقول الرب مجدني عبدي... الحديث»[1]، قال الإمام مالك: هذا رب الفاتحة والرسول المنزل عليه لما قسم الفاتحة لم يدخل البسملة في التقسيم؛ فهذا دليل القائلين بأن البسملة ليست آية من الفاتحة.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة برقم ٣٨.

وقد اختلف المفسرون في رؤوس الآي، والسبب في ذلك أنه ﷺ تارة يقرأ آيات متعددة مرة واحدة فيظن السامع أنها آية واحدة فينقل عنه ذلك، والاختلاف في رؤوس آي الفاتحة هو منشأ الخلاف في أن البسملة آية من الفاتحة أم لا.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ في هذه الآية طلب ندب المشاورة، قيل: إن ملكاً من الملوك قال لجلسائه ما تقولون في المشاورة؟ فقال أحد الحاضرين: هذه امرأة ناقصة عقل ودين حكى الله عنها أنها قالت لقومها: أفتوني في أمري... إلخ، فلا ينبغي للرجل العاقل أن يترك المشاورة.

قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ وهو من كلام الله ﷻ مصدقا لقولها في ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾، ولله در القائل:

مليكة الحسن جودي باللقا كرما لمدنف قلبه قد ذاب فيك أذى
أفسدت قلبي فقالت تلك عادتنا قد قال سبحانه إن الملوك إذا

قال تعالى: ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ وأرادت بهذا أن تختبر سليمان، فقالت: إن كان ملكا قبل الهدية، وصرفه ذلك عن قتالنا، وإن كان نبيا لا يقبلها حتى ندخل في دينه، فلما وصلت الهدية إلى سليمان قال ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ فردها ومعها أضعافها، فقالت لقومها: ألم أقل إنه كتاب كريم.



واختُلف في الهدية فقيل: إنها أرسلت إليه غلمان وألبستهم لباس النساء، وأرسلت إليه وصائف وألبستهن لباس الرجال، وجعلت لهن لحى، وأرسلت إليه كثيراً من الجواهر وغيرها، وقالت للرسول: إذا دخلت إلى ذلك الرجل، فإن استقبلك بغلظة وجفا، فاعلم أنه ملك، وإني خير منه، وإن استقبلك ببشاشة واستقبال حسن، فاعلم أنه نبيٌ، وأن نعله أفضل مني ومن ملكي، وهذا دليل على إن بلقيس كانت كاملة العقل... إلخ ما قال. اهـ.

■ الدرس العشرون بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٢٨ ـ ٣٥ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل].

قال العلماء: ينبغي لأمير المؤمنين ولسائر الأمراء والرؤساء والزعماء أن يقبلوا أعذار من يعتذر إليهم؛ وذلك لأن قبول العذر من شيم الكرام، وينبغي لهم أن يتثبتوا في أمرهم، ولا يعجلوا بالعقوبة؛ وذلك لأن الله تعالى حكى عن سليمان عليه السلام أنه قال للهدهد ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فإنه لم يعاجله بالعقوبة، والعذر من كرام الناس مقبول، قال بعض العلماء: من اعتذر إليك فإن صدقك فذاك، وإن كذبك فيكفيك أنه عظمك وأجلك ولم يجاهرك.

---

١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٦/١٠هـ.



إقبَــل مَعاذيرَ مَن يَأتيــكَ مُعتَذِراً　　إن بَــرَّ عِندَكَ فيما قــالَ أَو فَجَرا
لَقَد أَطاعَكَ مَــن يُرضيكَ ظاهِرُهُ　　وَقَد أَجَلَّكَ مَن يَعصيكَ مُســتَتِرا

فما دام أنه اعتذر واستتر فلا ينبغي أن لا تقبل عذره.

ومن اللطائف أن رجلاً جاء إلى جحا، وأراد اســتعارة حمار، فقال لــه: إن حمارنا أخذه رجل بالأمس، فبينما هو كذلــك إذ انطلق الحمار وخرج، فرآه الرجــل، فقال له: كيــف تكذب عليَّ، فقال لــه جحا: لم لا تعذرني فكيف تكذبني وتصدق الحمار.

قال تعالى حكاية عن ســليمان: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾ من النظر وهو التفكر ﴿أَصَدَقْتَ﴾ أي: هل أنت صادق في قولــك ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ففيه أن الإمام ينبغي أن يقبل الأعذار، وأن يكون كثير الحلم واسع الصدر حتى يقبل أعذار من اعتــذر إليه ولكن ينبغي أن يمتحــن المعتذر ليعلم أنه مُصِر على طاعته أم غير مُصِر.

قال تعالــى: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: فألــق الكتاب إليهم، قيل: إن بلقيس كانت نائمة، والحــراس قائمون على أبوابها، والحجّاب ضربوا النطــاق عليها، فجاء الهدهد، فلما انتبهــت ارتاعت وخافت أن أحداً دخل عليها، فلما فكته وجدته أنه من سليمان ﷺ، فقالت: يا قوم إني ألقي... إلخ.

وعن ابن عباس: إن بلقيس جعلت كوة تشــرق منها الشــمس عند طلوعها، وكوة تدخل منها عند غروبها، فتســجد لها فوق عرشــها عند طلوعها وغروبها، ويسجد معها قومها.



وفي رواية: إنها لما فتحت الكتاب وقرأته، ورأت خاتم سليمان ارتعدت فرائصها، وكان خاتم سليمان جعل الله فيه وفي أثره الرعب والهيبة.

ومن أجل ذلك طلب ﷺ المكاتبة لملوك العرب وملوك العجم لدعوتهم إلى الإسلام، وقد كاتب ﷺ قيصر وكسرى وملك البحرين، وكانت مكاتبة الملوك في السنة السادسة من الهجرة، ولما كاتب ﷺ الملوك، فقيل له: إن الملوك لا يقبلون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ خاتمه ﷺ، وجعل مكتوباً فيه: (محمد سطر، رسول سطر، الله سطر)، وفي هذا دليل على جواز الكتابة مع قوله: «اكتبوا لأبي شاه».

وأما النهي عن الكتابة في أول الإسلام فلأمور:

الأول: كي لا تلتبس السنة بالقرآن، فلما عرفهما الناس، وأمن الالتباس جوز ذلك.

الثاني: إنه ﷺ إنما نهاهم عن الكتاب حتى لا يعتمدوا على الكتابة ويتركوا الحفظ.

الثالث: إن أكثر العرب في صدر الإسلام ما كانوا يعرفون الكتابة إلا القليل، فلو جعلت الكتابة طريقاً إلى العلم؛ لشق ذلك عليهم، ولكن انتشرت الكتابة لما أمر ﷺ رجلا بتعليم عشرة من أولاد أهل المدينة القراءة والكتابة.

واعلم أن كتب المصطفى لما أرسلت: أما كسرى فإنه لما وصل إليه الكتاب مزقه، وقال لرسول الرسول: لو كانت الرسل تقتل لقتلتك، فقال ﷺ: «مزق كتابي مزق الله ملكه».



وأما الكتاب الذي بعث لقيصر فإنه لما وصل إليه الكتاب أكرم حامله، وقال: إن هذا الكتاب من نبي كريم، وأخذه وجعله في صندوق ذهب.

ولما سافر الإمام ابن العربي إلى الروم بأمر أمير المؤمنين، واتفق بملك الروم، قال له: ألا أريك عجباً، فقال: نعم، فأخرج له ذلك الصندوق من الذهب، وفيه كتاب المصطفى ﷺ، فرآه وبكى، فقال له الملك: وأعجب من هذا أن أجدادنا يقولون لنا إنكم ما دمتم محتفظين به فملككم باقي، وإذا ذهب فإن ملككم يذهب.

وقد قال بعضهم ثلاثة تدل على الإنسان: كلامه إذا تكلم، وكتابه إذا كتب، ورسوله إذا أرسل.

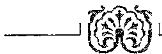
فالرسول عنوان على المرسل، فينبغي للإنسان إذا أرسل رسولاً أن يختار رسولاً فاضلاً لبيباً:

إذا كُنتَ في حاجَةٍ مُرسِلاً   فَأَرسِل لَبيباً وَلا توصِهِ
وَإِن بابُ أَمرٍ عَلَيكَ التَوى   فَشاوِر حَكيماً وَلا تَعصِهِ

وقال بعضهم وقد رأى أن الدراهم هي التي عليها الاعتماد:

إذا كنت في حاجة مرسلا   وأنت بها كلف مغرم
فأرسل حكيماً ولا توصه   وذاك الحكيم هو الدرهم

قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أمر سليمان الهدهد أن يتأخر إذا ألقى الكتاب، فينظر في وجوههم وفي وجهها، فلما رأت



بلقيس الكتاب قالت ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هذا دليل على أدب من آداب الكتابة، وهو أن يكتب اسم المرسل والمرسل إليه على الظرف حتى يعلم المرسل إليه من أول وهلة من أرسل إليه الكتاب.

ولما أتمَّ الملك سليمان ملك بني عثمان عمارة المسجد الحرام؛ لأن عمارته بدأت في زمن السلطان شليم وانتهت في زمن السلطان سليمان، وبناء الرباط المسمى الآن برباط السليمانية، وبناء المكتبة المسمى بمكتبة خان، وكتب فوقها ﴿فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾ [البينة: ٣]، وأراد أن يكتب فوق باب السلام شيئاً يدل على انتهاء عمارة المسجد الحرام، فلم يأت له أحد بشيء يسره، فنام فرأى النبي ﷺ وشكره على عمارته للمسجد الحرام، وقال له اكتب ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾، فكتب فوق باب السلام ذلك كما هو مشاهد الآن، وهذا من باب الاقتباس.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في هذا دليل على أنه ينبغي أن يجعل أول الكتاب البسملة، وكان أهل الفضل والصلاح إذا جاء إليهم كتاب وليس في أوله البسملة يشعقوه ويمحوه تأديبا للكاتب.

فإن قيل: إذا كان الكتاب لكافر فكيف يضع البسملة في أوله، وهي آية من القرآن، والكتاب لكافر؟.

فالجواب: إن ذلك يجوز على سبيل التبرك حتى يتم ذلك الأمر المتضمن للكتاب.



ويجوز ذكر آية أخرى لمناسبة، والدليل على ذلك كتابة النبي ﷺ لقيصر فإنه قال في آخره ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]... إلخ الآية.

وهذه البسملة آية من القرآن قطعاً.

■ الدرس الحادي والعشرون بعد المائة[1]

تفسير الآيتين ٣٦ ـ ٣٧ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ [النمل].

بيَّن الله ﷻ أن بلقيس وهي ملكة اليمن التي كانت تعبد الشمس هي وقومها، وجاء الهدهد وأخبر عنها؛ ليتقرب إلى سليمان وليتخذ ذلك حصنا من التعرض للعقوبات، فمن أجل ذلك جاء بهذا النبأ العظيم وقال ﴿وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]، فلما علم سليمان واطلع على نبأ ذلك وأرسل معه رسالة يكتشف بها الخبر ويتيقن بها ذلك، فما كان من أمر سليمان إلا وجاء الجواب منها وعليه ختمها، فتحقق خبر ذلك الهدهد، فمن أجل ذلك حين ما وصل إليه الجواب بعث إليها أن إئتي طائعة إلينا مسلمة ولا أقبل منك هدية ولا قليلا ولا كثيرا إلا الإيمان بالله ﷻ، والتصديق برسول الله ألا وهو نبي الله سليمان، فمن أجل ذلك لم يقبل هديتها وردها ومعها أضعافها

---

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٦/٢٢هـ.

وأمثالها مما هو أجمل منها قيمة وأعظم مظهرا، فقالت لقومها: أما قلت لكم إن قَبِل الرجل الهدية فنحن أقوى منه، وإن لم يقبل ذلك فهذا رجل قد جمع الله له بين النبوة والملك؛ ولذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ﴾ يعني الرسول ﴿قَالَ﴾ أي سليمان ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ يعني الذي أعطاني الله إياه من القوة أكثر وأعظم مما آتاكم الله، فإن سليمان سخر الله له أهل الظاهر والباطن والإنس والجن والإنسان والحيوان والريح؛ فلذا قال ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾.

فإن قيل: أليس إن قبول الهدية من مكارم الأخلاق، وقد قبل النبي ﷺ مارية القبطية التي أهداها المقوقس من مصر، وأهدي له جبة رومية ضيقة الكمين، وأهدي له خفين، فأما الجارية فأسلمت، وأما الجبة فلبسها في تبوك، وأما الخفين فلبسهما ومسح عليهما، وكان ذلك أمام رسول المقوقس حتى يخبره ويتألفه للإسلام.

والجواب: لعل أن شريعة سليمان لا يجوز فيها قبول هدية الكافر بخلاف شريعتنا فيجوز فيها قبولها لقصد التأليف للإسلام، ولذا جاء في الحديث: «تهادوا تحابوا»[1]، ومن السنة قبول الهدية إلا الحكام والقضاة إذا علموا أن هذه الهدية كان القصد منها إبطال الحق بالباطل فلا يجوز قبولها كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد في باب قبول الهدية برقم ٥٩٤، والبيهقي في باب الهبة والهدية برقم ٢٢٣٠، وأبو يعلى في مسند أبي هريرة برقم ٦١٤٨، والشهاب القضاعي برقم ٦٥٧.



﴿إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ﴾ [البقرة: ١٨٨]... الآية، وفي الحديث: «لعن الله الراشي والمرتشي»[1].

قال تعالى: ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ وذاك لأنكم من أهل الدنيا ولم تكتفوا بما عندكم، أما أنا فقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا أبدا ؛ ولذا قال ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً﴾... الآية وكانت بلقيس أرسلت وفداً، وكان معهم رئيس من اليمن، هو المنذر عمرو فلما دخلوا على سليمان، ورأوا ذلك الملك العظيم، ورأوا الإنس والجن والشياطين، رجعوا إلى بلقيس، فسألت المنذر، وقالت: كيف رأيت ملكي بالنسبة إلى ملك سليمان، قال لها: لا تلوميني فإني لا أستطيع في وصفه إلا أن أقول رجل تطيعه أهل السموات والأرض، فقالت: كيف ترى؟، قال: أرى أن تذهبي له وتسلمي ـ وقد قيل: إن الشياطين بنوا لسليمان ألف غرفة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ـ فلما رجعوا، قالوا لها: إن غرفة من غرفة سليمان أكثر من ذهبك هذا، فقالت بلقيس: ما هذا بملك وإني سأجمع ملوك قومي وأقيالهم وأذهب إليه، وقبل أن تذهب إليه أمرت بعرشها أن يجعل في قصر من حديد، وأمرت الحراس أن يحرسوه، فلما ذهبت سار معها ألف قَيْل ـ والقَيْل هو الملك الذي يكون ملكاً على كذا كذا بلداً ـ ولما قربت إلى سليمان وبقي بينها وبينه قدر فرسخ أرسلت إليه استئذانا في الاتفاق به.

---

[1] أخرجه أبو داود في كتاب الأقضية باب كراهة الرشوة برقم ٣٥٨٠ لكن بلفظ (لعن رسول الله ﷺ)، والترمذي في كتاب الأحكام باب ما جاء في الراشي والمرتشي برقم ١٣٣٧ وقال حديث حسن صحيح.



ثم سُئِلَ: عن طلب نبي الله سليمان هذا الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده مع أن نبينا ﷺ أفضل منه.

والجواب: إن ملك نبينا أفضل وأعظم إلا أن مظهره يكون يوم القيامة في دار النعيم والبقاء، وأما ملك سليمان فهو في دار الفناء، على أن الله سبحانه وتعالى أرسل إلى نبينا ﷺ وخيّره أن يجعل له الجبال ذهباً، فأبى ذلك، واختار أن يكون عبداً يجوع يوماً ويشبع يوما، وخيّره بين أن يكون نبيا ملكا أو يكون نبياً عبدا، فاختار أن يكون نبياً عبداً؛ ولذا قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ولكن قولوا عبدالله ورسوله»(١)، فهو يعتز بهذه العبودية، فقد خيّره الله أن يجمع له ملك الدنيا والآخرة أو الآخرة فقط، فاختار ملك الآخرة، وأحب أن يكون في الدنيا عبدا، فعبوديته خالصة لله عز وجل، فملكه أعظم وأجل.

وكل نبي تكون معجزته مناسبة لحال الزمان الذي بعث فيه، فهذا موسى لما أرسل إلى فرعون، وكان السحر في ذلك الزمان أخذ مأخذاً عظيماً وانتشر انتشاراً عظيماً، فكانت معجزته من جنس ذلك، فهم كانوا يأتون بالحبال، ويلقون فيها الزئبق، فيخيل إليهم أنها تسعى، فجاءت عصا موسى وأكلت ذلك كله.

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ [مريم: ١٦] برقم ٣٤٤٥، والإمام أحمد في كتاب مسند الخلفاء الراشدين مسند عمر بن الخطاب برقم ١٥٤.

ومعجزة عيسى كانت في الطب فتمهر الأطباء في علم الطب إلا إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فأعطى الله المسيح معجزة مناسبة لذلك فكان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، ويقال: إنه مسح على ثلاثة آلاف أكمه وأبرص فشفوا، وهنا سلم له الأطباء.

ومعجزة صالح كانت في الناقة؛ لأن قومه كانوا مغرمين بالإبل، ويحبونها محبة شديدة، فكانت معجزته في الناقة.

وفي عصر نبينا ﷺ رفعت الفصاحة رأسها، وشمخت بأنفها، وألقى العرب الفصاحة لقريش، وكانت تعقد لهم القباب والمحافل في الأبطح، فآتى الله نبيه ﷺ القرآن العظيم، فصارت فصاحة جميع العرب لا تكون عند فصاحته شيئاً، فقال قائلهم: «إن عليه لطلاوة وإن عليه لحلاوة».

وفي عصر نبي الله سليمان عليه السلام الملك له رونقٌ عظيمٌ، وكان الناس يتفاخرون به، فأعطى الله نبيّه سليمان هذا الملك العظيم.

ولما تحقق سليمان وصول بلقيس وقربها منه: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ وكان يجلس للحكم من الإشراق إلى الزوال، فقال أريد أسرع من ذلك، فقال آصف بن برخيا وزيره الذي عنده الاسم الأعظم ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فغمض سليمان عينيه فما فتحهما إلا وهو عنده ينبت من الأرض، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: إنه وزيره آصف، وهو ما صححه ابن عباس، وقيل: إنه جبريل.



قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ قال ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾... الآية [النمل: ١٩]، والمراد بالكتاب قيل هو التوراة وقيل الزبور، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾... الآية [البقرة: ٢٤٦] وبين التوراة والإنجيل ثلاثة آلاف سنة فيما يقال، وبين الإنجيل والقرآن ستمائة سنة، وحكم بالتوراة ثلاثة آلاف نبي قال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾... الآية [المائدة: ٤٤] حتى جاءت الإنجيل فنسخت بعض ما في التوراة قال تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ﴾ [آل عمران: ٥٠].

ولما جاءوا بعرشها أمر بأن يغير ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ ثم قالت ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ يعني أنه قد وصلنا الخبر بأنك تقدر على أخذ الأشياء من الأماكن البعيدة، ثم قالت ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ فأسلمت فتزوجها سليمان عليه الصلاة والسلام. اهـ.

■ الدرس الثاني والعشرون بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٣٧ ـ ٤٠ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل].

قوله تعالى: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم ﴾... إلخ يعنى أن سليمان قال لرسول بلقيس وهو المنذر بن عمرو فقال له ارجع إليهم ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً ﴾... الآية فهددها وأوعد بأنه سيملأ اليمن عليها، وأنه يغزوها من البحر والجو والبر؛ ولذا قال ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾ أي إلى بلقيس وقومها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾ لا طاقة لهم بها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ ﴾ أي من سبأ ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ أي وهم أذلاء صاغرون، فلما وصل إليها النعمان سألته عن ملك سليمان، قال لها: لا أقدر أن أصفه، وقال لها: ما أنت وملكك ويَمَنك بالنسبة لملكه إلا شيء يسير، وقال لها: لقد رأيت نبياً يخدمه أهل السماء والأرض، والوحي ينزل عليه، والإنس والجن

---

[1] كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٦/٢٣هـ.



يخدمونــه، ورأيته يعرف لغـات الحيوان، وهي تكلمه وتشـتكي إليه، فقالت ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ فإن قبلها فليس بنبي وإلا فنبي، ولذا قال تعالى حكاية عن سـليمان ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ كلا ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ أي ما مكنني الله فيه من الملك ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ وليسـت الدنيا من حاجتي؛ لأن الله تعالى قد سـخرها لي وأعطاني ما لم يعط أحدا من العالمين، ولا أريد منكم إلا الإيمان والإسـلام، فالأنبيـاء جميعهم لا يدعون إلا إلى كلمة التوحيد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا﴾.

قال تعالــى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ إلــى أن قال ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ أي بهديتهم ورد أضعافها معها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي لا طاقة لهم بها وسنغزوهم برا وبحرا وجوا، وسبب رد سليمان الهدية إمـا لأنها هدية من كافر وشـريعته لا تجوز ذلك، أما شـريعتنا فتجوز ذلك، وقد قبل ﷺ الهدية من المقوقس وهو كافر، وقد أهدىٰ له وصيفة وخفين ونعلين سـاذجين، ويحتمل أنه إنما ردها لأن الله أوحى إليه أن بلقيس قالت إن كان نبياً فلا يقبل الهدية، وهذا هو الأقرب.

قال تعالى: ﴿قَالَ﴾ أي: سليمان ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾... الآية.

واختلف العلماء في السبب الذي طلب سـليمان من أجله إحضار العرش على أقوال:

قيل: إن الحامل على ذلك ليريها قدرة الله ﷻ فتنتقل من علم اليقين إلى حق اليقين.

واليقيــن هو الظن الجـازم، وهو ثلاثة أقسـام: علـم اليقين وحق اليقين وعين اليقين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الحاقة:٥١] وقال تعالى:



﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ [التكاثر: ٥]، فمثلا الإنسـان عالم بأنه يموت فهذا علم اليقين، ومع خروج الروح منه فهو عيـن اليقين، وإذا مات وصار إلى البرزخ فهذا حق اليقين.

قال تعالـى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ﴾ أي: يا أيهـا الوزراء والقـوم ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ وكان من ذهب وقوامه من الجوهر وحواشـيه مـن اللؤلؤ، قال تعالى: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ قيل: إنه أراد أن يأخذ مالها قبل إسلامها؛ لأنها إذا أسـلمت لا يحل أخذه من بعد، ولكن بعـد أن أخذه رده إليها ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ أي طائعين، قـال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ فوصف العفريت نفسـه بالقوة على حمله والأمانة على ما فيه من الجواهر وغيرهـا، وقال تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ اختلف فيه، فقيل: إنه جبريل، وقيل: إنه وزير سليمان، واسمه آصف بن برخيا، وكان عنده الاسـم الأعظم، فقرأه فحمله خدمة الاسم من تحت الأرض، قال ابن عباس: إن الذي عنده علم من الكتاب قال (يا ذا الجلال والإكرام أعطني سـولي)، قال النووي وهذا مؤيد لمن قال: إن الاسـم الأعظم هو يا ذا الجلال والإكـرام، ويؤيد هذا قوله ﷺ «اَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام»، وقيل إنه قال: يـا حي يا قيوم، وقيل إنه قال: يا الله، والحي القيوم لم يذكر في القرآن إلا في ثلاث مواضع: الأول في سورة البقرة، والثاني في سورة آل عمران، والثالث في سورة طه.

قال تعالى: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ فقال سـليمان: هات، فقال العفريت: ادع الله أيها النبي ادع الله أنت فإنك نبي الله، فقال صدقت فدعا الله نبيه فأحضر لديه حالا... إلخ ما قال. اهـ.

■ الدرس الثالث والعشرون بعد المائة[(١)]

تفسير الآيات ٤١ ـ ٤٥ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل].

قال الإمام ابن عباس: السبب في أمر سليمان بتنكير عرشها أنه أراد أن يختبر عقلها؛ لأنه سمع عنها أنها ليست كاملة العقل، قيل: إن الجن ذكروها عند سليمان بذكر خبيث، وكذبوا عليه في أمرها، ونفروه عنها، وعن التزوج بها، فقيل له: إن بدنها كثير الشعر، وإنها ناقصة العقل، وإن رجلاها كحافر الحمار، والحامل لهم على ذلك أنهم قالوا إن سليمان إذا ضم ملك بلقيس إلى ملكه قوي قوة كبرى فلا يقدر عليه أحد، وكانوا يؤملون زوال ملكه، ولهذا قال ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ولما قدمت صنع لها صرحا فلما دخلته حسبته

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٧/٧هـ.



﴿لُجَّةً﴾ يعني بحرا؛ لأن سليمان أمر الجن أن يصفوا الزجاج ويصورون تحته التماثيل والأسماك.

فإن قال قائل: كيف صنع هذا سليمان حتى ظنت أنه بحرٌ فهذا كذب والأنبياء معصومون؟.

فالجواب: إن الصدق والكذب مــن أوصاف الخبر، وهو لم يخبرها بأنه بحرٌ ولم يأمر أحدا أن يخبرها بذلك.

والصرح معناه صحن الدار، ويقال كذلك للبناء العالي المرتفع، ولهذا قال فرعون ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴾ [غافر: ٣٦].

فإن قيل: كيف أمر الجن أن يصنعوا التماثيل مع ورود النهي عنها؟.

فالجواب: إن النهي في شــريعتنا، أما في شــريعة سليمان فإن ذلك جائز، وكان الجن يصنعــون له ذلك، قال تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ﴾ [سبأ: ١٣].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ﴾ أي: بلقيس ﴿قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ فلم تقرَّ أنه هو ولم تنكر بل ســلكت مســلكاً عجيباً، فعرف ســليمان كمال عقلها، قال تعالى: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ يعني: علمنا بنبوته ورسالته، وعلمنا أن ذلك لا يكون إلا لنبي ورسول.

فإذا كانت كاملة العقل كيف لا تؤمن بالله؟.

والجواب: قد تكفل به القرآن قال تعالى: ﴿وَصَدَّهَا﴾ أي: عن الإسلام ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعنــي: الشــمس ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾، فــإن



النشـأة والبيئة لها أثر كبير في النفس، فلو أخذت طفلا مسـلما وربيته مع المشركين لنشأ مشـركاً، والعكس بالعكس؛ ولذا ورد في الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة... الحديث»[1]، وقال تعالى حاكياً عن مريم ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]، وبهـذا تعلم أن للتربية أثراً كبيراً فمن تربى بين قوم ينشأ مثلهم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾ أي: أبصـرت بلقيس الصرح ﴿حَسِبَتْهُ﴾ أي: ظنته ﴿لُجَّةً﴾ وهي معظـم المـاء ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لتخوض البحر على ظنها وزعمها، فناداها سليمان قائلا ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ أي: مجلس ممرد أي: ممهد مـن قوارير، ثم دعاها سـليمان إلى عبادة الله فخرت سـاجدة لله ﷻ و﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقد قيل للحسن البصري: هل تزوجها سليمان؟، فقال: الله أعلم إن خبرها انتهى عند قوله ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وفي الإسرائيليات أخبار كثيرة، والذي ينبغي للإنسان أن يصدق بما جاء عن الله ورسوله، وما سوى ذلك فما كان مضادا للشريعة فليكذبه، وما سواه فإن شـاء كذبه وإن شـاء صدقه، والأولى السكوت عنه؛ لما ورد في الحديـث: «لا تصدقوا ما جـاء عن أهل الكتـاب ولا تكذبوا وقولوا آمنا بالله الذي خلق»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشـركين برقم ١٣٨٥، ومسلم في كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة برقم ٢٢، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسـير القرآن بَابُ ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ برقم ٤٤٨٥ بلفظ(لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآيَةَ).



وفي هذه الآيات رد على طوائف كثيرة منها:

١ ـ **المعتزلة** وهم: قوم خالفوا أهل السنة والجماعة في عقائد كثيرة، منها: إنهم قالوا فاعل الكبيرة يكفر، وإن العبد يخلق أفعال نفسه.

٢ ـ **والجهمية** وهم: قوم جهم بن صفوان، وقد ورد الرد عليهم في هذه القصة وفي غيرها كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٣ ـ **والكرامية** فمن عقائدهم أنهم يجوّزون الكذب على النبي ﷺ، ويقولون إنما نكذب له لا عليه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ وهم قوم يسكنون الحجر، وهي مدائن صالح، وأعطاهم الله المعجزة الكبرى وهي الناقة فعقروها، وكان العاقر لها قد عقرها؛ ليتزوج ببنت العجوز التي طلبت منه أن يمزج الماء بالخمر، فصادف ذلك اليوم نوبة الناقة، فجاء وعقرها فأهلكهم الله بصيحة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي: مؤمن وكافر، والمسلمون أربعة آلاف، فنزل بهم إلى أرض الأحقاف ومات هناك، والذي رجحه الطبري أنه جاء إلى مكة ومات ودفن بها.

■ الدرس الرابع والعشرون بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٤٥ ـ ٥٣ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل].

يخبر الله تعالى عن قصة ثمود ونبيهم صالح، وقصة ثمود وقعت بقرب قريش؛ لأن أوطانهم هي الحجر، وهي ما بين المدينة والشام، فكانت قريش إذا ذهبت الشام مروا عليها

تلك آثارهم تدل عليهم ... فانظروا بعدهم إلى الآثار

فمن أجل ذلك ذكرهم الله تعالى بقصة ثمود، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٧/٧هـ.

أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ يعني مسلمون وكفار، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: بأن اعبدوا الله، فكان منهم فريق يخاصم عن الحق، وفريق كفار وهم الأكثرون يخاصم عن الكفر؛ ولذا قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الأعراف: ٧٥] قالوا نعم ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦].

قال تعالى: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ﴾ هذا خطاب من نبي الله لقومه ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: بالتوبة من كفركم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وهذا الخطاب ليس فيه إيهام؛ لأن صالحاً أراد بهذا الخطاب أنهم لما كفروا وتمادوا ابتلاهم الله بالقحط؛ فاطيروا وقالوا مذ جاءنا هذا الرجل جاءنا القحط والبلاء؛ فمن أجل هذا قال لهم ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ والمراد بالسيئة العذاب، فأل في السيئة للعهد وهو العذاب المعهود عندهم، والمراد بالحسنة الرحمة، فأل في الحسنة للعهد أي الرحمة المعهودة عندهم، فإن قائلهم قال يا صالح إن كنت رسولاً فأتنا بالعذاب الذي تعدنا به، فقال لهم يا قوم لم تستعجلون بالسيئة... إلخ، وقد قال كفار قريش ذلك، فقال العاص بن الربيع: إن كنت رسولاً فأمطر علينا حجارة من السماء... إلخ، فبيّن الله تعالى أن وجوده ﷺ رحمة بين ظهرانيهم، والعذاب نقمة، والرحمة والنقمة لا يجتمعان، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] والاستغفار ينقسم إلى قسمين:



الأول: استغفار من الشــرك، يعني: إن الكفار يستغفرون مما وقع منهم في حالة الكفر، وهذا بالنســبة لمن أراد الدخول في الإسلام؛ ولذا قالت بلقيــس ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

الثاني: اســتغفار من الآثام، وهذا يقع ويصدر من المســلمين، ولذا قال السحرة ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٥١] فالقول أن المشرك لا اســتغفار له مشكل، وإنما فيه تفصيل: وهو إنه إن صدر منه الاستغفار حالة كفره وشركه فذاك لا ينفع، وإن كان ما صدر منه عند ما يريد الإسلام فهذا صحيح.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ ﴾ الطيرة من قواعد الشــرك والمشركين؛ ولذا ورد فــي الحديث: «لا عــدوى ولا طيرة ولا هامــة ولا صفر»[١]، «وكان ﷺ يحب الفال الحســن»[٢]، وكان يقول إذا خاف الطيرة: «اللهم إني أعوذ بك من الطيرة، اللهم لا طير إلا طيرك... الحديث»[٣].

ومعنى اطيرنا: تشاءمنا.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب باب الجذام برقــم ٥٧٠٧ بزيادة (وفرَّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد)، ومسلم في كتاب الآداب باب لا عدوى ولا طيرة برقم ١٠٢.

(٢) أخرجه أحمد في كتاب مســند المكثرين من الصحابة مسند أبي هريرة برقم ٨٣٩٣، وابن أبي شيبه في مصنفه في كتاب الحديث بالكراريس باب من كان يسر حديثه من أهله برقم ٢٦٣٩٦ بزيادة (ويكره الطيرة).

(٣) أخرجــه الطبراني في الكبير في باب العين أبو عبدالرحمــن الحلبي عن عبدالله بن عمرو برقم ٣٨ من غير ذكر (اللهم إني أعوذ بك من الطيرة).



فإن قيل: في آية قال ﴿طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وفي آخرى قال ﴿قَالُوا۟ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ فما الفرق؟.

والجواب: إن الجواب وقع على أنواع: فهنا بَيّن لهم الحقيقة ونفس الأمر فقال: ﴿طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ المعنى لا تظنوا أن ما تطيرتم به وقع من عند غير الله لا بل هو من عند الله وبقضائه كما لا يخفى؛ ولهذا قال لهم ﴿طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾، وقال في الآية ﴿قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ﴾ يعني: وما وقع من القحط والبلاء هو بسبب ما ارتكبتوه من الشرك، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء: ٧٩]، وقال في الآية الأخرى ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [النساء: ٧٨] ففي آية بَيّن الحقيقة وفي آية بَيّن السبب، وقوم فرعون تطيروا بموسى كما قال تعالى: ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وقال تعالى في أهل القرية ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس: ١٥] إلى أن قال ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ﴾ [يس: ١٨] ثم ﴿قَالُوا۟ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ [يس: ١٩]، فهنا قال ﴿طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ﴾، وفي آية موسى ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ﴾ فالفرق بين الآيات أن بعضها وقع فيه الجواب عن الحقيقة والواقع ونفس الأمر، وبعضها وقع جواباً عن السبب، ومثل هذا ما قاله الصحابة لما انهزم المسلمون من أحد قال قائلهم أو ليس الله قال ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] فنزل قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥] فالآن ما أصاب المسلمين من الهزيمة هو من عند أنفسهم، ولو رجعوا إلى كتاب الله وكلام رسوله لما أصابهم شيء، والمسلمون لما خالفوا كلام رئيسهم أصابهم ما أصابهم، قال



تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] فالخير فتنة والشر فتنة نسأل الله العافية، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة وتعاهدوا على الله.

فإن قيل: كيف كان التعاهد منهم على الله وهم مشركون؟.

والجواب: إنهم يؤمنون بالله ويشركون معه غيره، كما قيل: إن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: من تعبد؟، قال: عشرة، قال: أين هم؟، قال: واحد في السماء وتسعة في الأرض، قال: فمن الذي ترجوه لكشف ضرك؟، قال: الذي في السماء، قال: فاعبده ولا تشرك به شيئاً.

قال تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ يعني: إن هؤلاء تسعة رهط أي نفر اتفقوا على قتل صالح وأهله؛ ولذا قال تعالى: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾.

قال تعالى: ﴿فَانظُرْ﴾ أي: يا من يتأتى منه النظر كيف كان عاقبة المكذبين، فلما اتفق التسعة الرهط على قتل صالح جاؤوا شاهرين سيوفهم فأخفى الله البيت عنهم، فلما برق الفجر إذا البيت في مكانه، وإذا نبي الله خارج من بيته، وبطل ما كانوا يريدون أن يعملوه. اهـ.

■ الدرس الخامس والعشرون بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٥٤ ـ ٥٩ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل].

هذه الآيات المباركات ذكر الله تعالى فيها قصة لوط ﷺ وذلك على وجه الإجمال، ولوط هو نبي الله ورسوله ابن هاران، أخي إبراهيم، فإبراهيم الخليل عم لوط؛ لأن هاران أخو إبراهيم، ورباه في بيت إبراهيم فنزل عليه الوحي في بيت إبراهيم فخرج نبياً ورسولاً، وبعثه الله تعالى إلى قومه، وهم يسكنون خمس قرى وكانت عاصمتها سدوم، وكان سكانها عدا القرى الأخرى ستمائة ألف، وكانوا كلهم كفاراً يعملون المعاصي؛ فمن ذلك أنهم كانوا يقطعون الطرقات، وإذا جلسوا في مجلس يتضارطون، لا حياء ولا مروءة، وهذا عيب كبير، وكان

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٧/١٥هـ.

ذلك عيباً عظيماً عند العرب، ومما يحكى أن رجلاً من هذيل وقعت منه ضرطة في مجلس فغاب عشر سنين، ثم عاد فسأل رجلاً عن بيته، فقال ذلك الذي وقع منه كذا وكذا، فعرف أنهم قد ورخوا بها فغاب، ولم يعد أبداً، ومن أعمالهم أيضاً: إن رجالهم كانوا يخضبون بالحناء كالنساء، ومن أعمالهم أيضاً إنهم كانوا يأتون الذكران من العالمين ويدعون النساء، وقد ورد في الحديث: «ملعون من عَمِل عَمَلَ قوم لوط، ملعون من غير حدود الأرض، ملعون من ادعى إلى غير مواليه، فكرر النبي ﷺ اللعنة على من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط»(١).

قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا ﴾ أي: واذكر لوطاً ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ أي: وأنتم تنظرون إليه ولا تستترون، وكانوا يعلمون أنها فاحشة، وقد حذرهم رسولهم منها وقال لهم ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [الحجر: ٧١] يعني: بنات أمته، وإنما قال: بناتي ونسبهن إليه؛ لأن النبي أب لأمته، ومعلوم أن الخطاب للجميع فيكون ذاك أراد به لسان الأمة.

وكان الملائكة الكرام أتوا إليه ذات ليلة في صورة غلمان مرد حسان، فخرجت امرأته تقول لهم: إن عند لوط غلماناً حساناً، فجاء نفر من القوم يطلبونهم، فأغلق الباب فكسروه، فقال جبريل: إن نبي الله في كرب وتعب مع قومه من جهتنا فضرب بجناحه على وجوههم، فرجعوا وهم يقولون لقد أعمانا لوط وأضيافه، ثم قالوا للوط ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا

(١) أخرجه أحمد في مسند عبدالله بن العباس ﷺ برقم ٢٩١٤ مع زيادات أخرى.



رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ ﴾ [هود: ٨١]؛ فلما جاء وقت السحر خرج لوط ومعه ابنتاه فقط ولم يسلِم معه أحد إلا هما، وزوجته في الظاهر، فلما بعدوا عن البلاد التفتت زوجته فرأت العذاب نازلا من السماء ورأت بلدان قومها قد ارتفعت في الجو، فجاءتها حجرة من نار وقتلتها، وكان جبريل رفع تلك القرى حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وصراخ دياكهم، ثم قلبها عليهم وأمطرها عليهم حجارة من سجيل.

ومما حكاه الشيخ حسن الشاذلي أنه كان لكل عالم من العلماء زاوية فيها طلبته، وكان أحد العلماء تتردد إليه الطلبة من البلدان البعيدة حتى كمل في زاويته سبعمائة طالب، وكان فيهم شباب مرد حسان، فحسده بعض الناس، وما أكثر الحساد في ذلك الزمان؛ فتكلموا في عرضه بما لا يليق واتهموه بأنه يفعل الفاحشة مع أولئك الغلمان؛ فصار الناس يخوضون ويتكلمون في ذلك وذلك يبلغ الشيخ فكان يقول:

إذا كان ربي عالما بسريرتي فما الناس في عيني بأعظم من ربي

فقال واحد من أهل تلك البلد: وكان عنده غلام وضيء الوجه جميل المحيا، وكان ذلك الشيخ يرقد في زاوية فوق الغرفة التي يجلس فيها الطلبة، فأرسل ذلك الغلام وجعلوا له ترتيباً، وذلك بأنهم قالوا له: اذهب فنم عنده، وإذا مضى نصف الليل قم فجيء إليه وراوده عن نفسك، واصنع كذا وكذا، فذهب الغلام وبات عند الشيخ، فلما مضى نصف الليل، وقد هدأ السكون ونامت العيون قام ليفعل ما أمروه به، فلما قصد الذهاب إلى الشيخ إذا بينه وبين الشيخ خندق من نار عظيم



جداً، فرقد الغلام وانتبه ثانيـــاً، وأراد أن ينفذ ما أمروه به، فقام متوجها إليه، فإذا بينه وبين الشـــيخ بحر عظيم، وفيه تماسيح فاغرة فاها، فرقد حتى طلع الفجر، فذهب الغلام إلى أبيـــه، وأخبره بما رأى، فعرف أنه شـــيخ على قدم من التقوى، وأن ما يقوله الناس فيه باطل لا أصل له، فقال الأب للغلام: لا يسعنا إلا أن نذهب إليه ونطلب منه العفو، فذهبوا إلى ذلك الشيخ، فبادر الشـــيخ حالا بالكلام مع الأب، وقال له: لو لم يكن هذا الولد فلذة كبدك ووحيدك لســـقط في الخندق الذي من النار واحترق فيـــه، فقال الأب معتذرا: ما حملني على ذلك إلا لما ســـمعت الناس يتكلمون ســـاءني ذلك، وأردت أن أتحقق، فقال الشيخ: الأنبياء والرسل ونبينا ﷺ مبتلون، ألم يقولوا فيه: إنه مجنون، وإنه ساحر، وإنه شاعر، فلم ينقص ذلك من قدره... إلخ ما قال. اهـ.

■ الدرس السادس والعشرون بعد المائة[1]

تفسير الآيتين ٥٩ ـ ٦٠ من سورة النمل

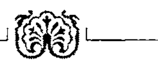
قولــه تعالــى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠ ﴾ [النمل].

هذه الآيات المباركات يذكر تعالى فيها دلائل قدرته وآثار وحدانيته وأنه خلق الكــون، وما فيه من الجبال والأشــجار والثمــار والأزهار، وخلق ﷻ البحار وسيَّر فيها الســفن وأقام فيها المعالم ونصب الآيات وأضاء الحجة، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النســاء: ١٦٥]، فإذا نظر الإنسان إلى الكون وجد فيه سِفْراً كاملاً ينطق بوحدانية الله، ولذا قال الشاعر أمية بن الصلت، وكان ذلك قبل الإسلام:

إِلَــهُ العالَمينَ وَكُــلِّ أَرضٍ وَرَبُّ الراسِــياتِ مِــنَ الجِبــالِ
بَناهــا وَابتَنــى سَــبعاً شِــداداً بَــلا عَمَــدٍ يُرَيــنَ وَلا رِجــالِ

---

١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٧/٢١هـ.



وَسَـــوَّاهـــا وَزَيَّـــنَـــهـــا بِـنـــورٍ ... مِنَ الشَّـــمسِ المُضيئَـــةِ وَالهِلالِ
وَمِـــن شُـــهُبٍ تَلألأُ فـــي دُجاها ... مَراميهـــا أَشَـــدُّ مِـــنَ النِصـــالِ
وَشَـــقَّ الأَرضَ فَانبَجَسَت عيوناً ... وَأَنهـــاراً مِـــنَ العَـــذبِ الـــزُلالِ
وَبـــارَكَ فـــي نَواحيهـــا وَزَكّـــى ... بِها مـــا كانَ مِـــن حَـــرثٍ وَمالِ
فَـــكُلُّ مُعَمَّـــرٍ لا بُـــدَّ يَومـــاً ... وَذي دُنيـــا يَصيـــرُ إِلـــى زَوالِ
وَيَفنـــى بَعـــدَ جِدَّتِـــهِ وَيبلـــى ... سِوى الباقي المُقَدَّسِ ذي الجَلالِ
وَسـيقَ المُجرِمـونَ وَهُـم عُراةٌ ... إِلـى ذاتِ المَقامِـعِ وَالنَـكالِ
فَنـادوا وَيلَنـا وَيـلاً طَويـلاً ... وَعَجّـوا فـي سَلاسِـلِها الطِوالِ
فَلَيسـوا مَيِّتيـنَ فَيسـتَريحوا ... وَكُلُّهُـم بِحَـرِّ النـارِ صالِـي
وَحَـلَّ المُتَّقـونَ بِـدارِ صِـدقٍ ... وَعَيـشٍ ناعِـمٍ تَحـتَ الظِـلالِ
لَهُـم مـا يَشـتَهونَ وَمـا تَمَنّوا ... مِـنَ الأَفـراحِ فيهـا وَالكَمـالِ

هذا أعرابي قبل الإسلام يقول هذا.

وقيل لأعرابي: بِمَ عرفت الله؟ فقال: أثر الأقدام يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير.

ورأى الإمام أحمد إعرابياً يبيع حطباً، فقال له: بِمَ عرفت ربك؟ فقال: بخلقه هذا أسود وهذا أحمر وهذا أبيض، وهذا يتكلم بلغة، وهذا يتكلم بلغة، فقال الإمام أحمد: عجبت من فهمك، فقال الأعرابي: ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ [الروم: ٢٢].

ورأى الإمام الشافعي امرأة تبيع بيضاً، فقال لها: بم عرفت ربك؟ فقالت: قلعة حصينة بيضاء يخرج منها الفرخ تعني البيضة.



فَيا عَجَبا كَيفَ يُعصى الإلَـهُ أَم كَيفَ يَجحَدُهُ الجاحِدُ
وَفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ واحِدُ
وَللهِ في كُلِّ تَحريكَةٍ عَلَينا وَتَسكينَةٍ شاهِدُ

فهذا أعظم دليل على وحدانية الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿قُلِ﴾ [النمل: ٥٩] لما ذكر قصص الأمم الماضية، وكيف أهلكهم، نادى الله حبيبه بأن يحمد الله فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: الحمد ثابت لله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩] سلم الله تعالى على الأنبياء والمرسلين سلاماً يليق بمقامهم الشريف، وما جعل الله لنبيه خيرا إلا وجعل لأمته نصيبا من ذلك الخير؛ ولذا لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال الصديق رضي الله عنه: إن الله لم يجعل لك نصيبا من الخير إلا وجعل لأمتك نصيباً منه فهل صلى علينا، فنزل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]؛ ولذا عد القاضي عياض: إن من خصائص هذه الأمة المحمدية أن الله يصلي عليها، أما في يوم القيامة فتسليم الله تعالى كل يوم تسليماً خاصاً، قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٧ ـ ٥٨] ولهذا لما كان أهل الجنة يفوزون بالسلام سميت الجنة دار السلام؛ لأنهم فازوا فيها بالسلام من رب العالمين، وكذلك الملائكة يدخلون بكرة وعشية وعلى رؤوسهم طباق وذاك هدية من الله ﷻ، ولذا قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ



﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤]، وأهل الجنة يسلم بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌۚ﴾ [يونس: ١٠].

وأما عباد الله فهم الأنبياء والمرسلون فقد فازوا بأفضل عبودية، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وقال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] فقد وصفه الله تعالى بالعبودية في مقام التنزيل والإسراء والإرشاد؛ ولذا قال مجنون ليلى:

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي

وقال القاضي عياض:

ومما زادني شرفاً وتيها ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبيا

وهو ﷺ أعطاه ربه فأرضاه، ولكنه مهما ترقى في مقام الكمالات لا غنى له عن فضل ربه وعطائه، ولذا لما أمطر الله تعالى داود جراداً من ذهب فأخذ يجمعه، فقال له تعالى: ألم أغنك، قال: بلى، ولكن لا غنى لي عن فضلك، وهو ﷺ لا يزال خاضعا تحت سرادقات الربوبية، وقد جلس يوم بدر في العريش يناشد ربه حتى سقط الرداء من فوق كتفه، فجاء الصديق ورده، فهو لا يزال محتاجا إلى فضل مولاه، فما من كمال إلا وعند الله أكمل منه، وما من فضل إلا وعند الله أفضل منه، وكلما ترقى إلى كمال أعلى ونظر إلى ما كان فيه استغفر الله ﷻ؛ ولذا قال ﷺ: «إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم والليلة سبعين



مرة»[1]، فهو غين أسرار وأنوار؛ فسبحان من أعطاه ذلك فهو ﷺ كامل وكماله ممكن والكمال الممكن يقبل الزيادة، وأما الكمال الذاتي فهو لله ﷻ؛ ولذا قال الشاعر:

مـن لا وجـودَ لذاتهِ مـن ذاته فوجـودهُ لـولاهُ عيـنُ محـالِ
فالـكلُّ دون اللهِ إن حقّقتـهُ عدمٌ علـى التفصيـل والإجمال

قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] وقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٢٩] فالناس ينظرون إلى السماء والأرض وهم عن آياتها معرضون، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فالكفار بلغ بهم الإنكار إلى أنهم أنكروا السماء حتى يتوصلوا إلى إنكار الوحي والإسراء والمعراج، قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥]، ولله در القائل:

كذبت إربا حين أنكرت السما منظارهـا كقلوبهـا فيـه العمـا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب الاستغفار برقم ٤١ لكن بلفظ (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)، ومثله في سنن أبي داود ومسند أحمد.

■ الدرس السابع والعشرون بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٦١ ـ ٦٤ من سورة النمل

قولــه تعالـــى: ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النمل].

هـــذه الآيات المبـــاركات يذكـــر الله تبـــارك وتعالى فيهـــا دلائل وحدانيته؛ فهذا الكون سفر تتجلى فيه قدرة المكون سبحانه وتعالى، وكل شيء إذا ما جُلْتَ في أسراره تبين لك أنه فانٍ إلا البارئ سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿أَمَّن ﴾ [النمـل: ٦١] أصلها (أم) حرف عطف و(من) الاســـتفهامية فأدغمت الميم فـــي الميم، قال تعالـــى: ﴿جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ أي: ثابتة لا تميل ولا تحيـــد ولا تنزل ولا تتحرك، قال تعالى:

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٧/٢٢هـ.



﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ فقد جعل الأرض كروية فكل من كان عليها يظن أنه أعلى:

فمن كان فيها على نقطة يظن على أنه الأرفع

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ أي: جبال ترسيها وتثبتها، قال الشاعر:

يقولون أين الله أين عجائبه وذا الكون سِفْر كله أين كاتبه

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: ٦١] وقد بيَّن ذلك مفصلاً في سورة الرحمن فقال: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ [الرحمن: ١٩ ـ ٢٠]، ومن عجيب أمر السمك أنه لا يوجد بكثرة إلا في البحار الملحة.

أخرج الإمام عبد الله بن أحمد ابن حنبل عن أبيه، قال أخبرنا عبد الله بن مالك ابن أنس، قال حدثني عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «لما خلق الجبال قالت يا رب: هل خلقت خلقا أقوى من الجبال؟ قال تعالى: الحديد، فقالت الملائكة: يا رب هل خلقت خلقا أقوى من الحديد؟ قال: النار، فقالت: هل خلقت خلقا أقوى من النار؟ قال: الماء، قالت يا رب: هل خلقت خلقا أقوى من الماء؟ قال: الريح، قالت الملائكة يا رب: هل خلقت خلقا أقوى من الريح؟ قال: ابن آدم يتصدق بالصدقة لا تعلم يساره ما أنفقت يمينه». وقرر في الحديث: «يا ابن آدم خلقت كل شيء من أجلك، وخُلِقْتَ من أجلي».



قال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ [النمل: ٦١] أي: الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد ربهم، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] أي: المكروب المهموم فلا يكشف ضر المضرور سواه، فهو ملجأ المضطرين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وفي الحديث عنه ﷺ: «إن رجلاً جاء إلى الرسول فقال له: من تدعو؟ قال: أدعو الله الذي يكشف المهمات والملمات، فقال الرجل: قد عرفت ما تدعو إليه فعظني؟ فقال له: لا تسب أحداً، ولا تعجز عن المعروف ولو بكلمة طيبة، فإن لم تستطع فادفع الشر عن غيرك»، وكما قال المتنبي:

إنّا لَفي زَمَنٍ تَركُ القَبيحِ بِهِ ... مِن أَكثَرِ الناسِ إِحسانٌ وَإِجمالُ
لَولا المَشَقَّةُ سادَ الناسُ كُلُّهُمُ ... الجودُ يُفقِرُ وَالإِقدامُ قَتّالُ

قال تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ [النمل: ٦٣]، وفي قراءة ﴿نَشْرًا﴾ بالنون ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: المطر، والله تعالى ينزل المطر ويرجع إنزاله؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١] أي: المطر الذي يرجع ولا ينزل... إلخ ما قال. اهـ.

■ الدرس الثامن والعشرون بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٦٥ ـ ٧٠ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [النمل].

يبيّن الله تعالى في هذه الآيات أن الغيب وهو ما غاب عنا لا يعلمه إلا رب العالمين، وانقسام الأشياء إلى غيب وشهادة إنما هو بالنسبة إلينا، أما بالنسبة إلى الله ﷻ فكلها لديه شهادة، أليس هو الذي خلق ودبر فكيف تكون الأشياء غيبا عليه؟!، أما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [السجدة: ٦] فقسم الأشياء إلى غيب وشهادة فذلك بالنسبة إلينا، وبهذا تعلم أن العباد لا اطلاع لهم على الغيب إلا بإذن الله ﷻ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧]، وعلم الغيب كله لله ذاتي ليس

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٧/٢٨هـ.

فيه انقسام، وليس عند الله غيب أبداً، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ: ٤٧]، فما عندنا غيب، وأما ما عند الله فليس بغيب أبدا، وأما انقسامه ـ أي: الغيب ـ إلى ذاتي وغير ذاتي؛ فهذا ليس انقسام للغيب، ولكنه انقسام للعلم فهو ينقسم إلى ذاتي وغير ذاتي، ونحن لا نعلم شيئا إلا بتعليم الله، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وانقسام الأشياء إلى غيب وشهادة إنما هو بالنسبة لنا، وفي الحديث القدسي «حجابه النور»[1]، وهذا حجاب إنما هو بالنسبة لنا، أما بالنسبة إليه تبارك وتعالى فلا حجاب، وأما قوله ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الجن: ٢٦] أي ما غاب عنا وأما هو فليس بغائب عنه شيء.

ثم سأل السائل: كيف عبر بأن الله عالم الغيب ولا غيب عليه؟.

فكان الجواب: إن الله تعالى سمى في كتابه ما علمه لعباده سماه غيباً فقال: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

ولا يقف علم الله على علم الموجودات، بل يعلم الواجبات والجائزات والمستحيلات كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]؛ فعلم الله تعالى شامل للواجبات والجائزات والمستحيلات والكليات والجزئيات فلا يعزب عن علمه شيء، وفي الوصايا القرآنية اللقمانية ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

---

(١) أخرجه مسلم من أثناء حديث في كتاب الإيمان باب قوله ﷺ: (إن الله لا ينام) برقم ٢٩٣، وأحمد وابن ماجه وغيرهم.



قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، سبب نزول هذه الآية أن المشركين سألوا النبي ﷺ متى الساعة فنزلت هذه الآية، وفي الحديث: «لما سأل جبريل رسول الله ﷺ وجاءه على صورة رجل أعرابي، فقال له: متى الساعة؟، فقال له: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[1]، يعني: إن السائل والمسئول مستوون فيها بالعلم، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقرر القرآن الكريم أن حضرة جناب المصطفى يعلم من الغيب ما علمه الله، وما لا فيقف؛ لأنه سيد المتأدبين، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وفي صحيح البخاري[2]: «خمس لا يعلمهن إلا الله ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[لقمان: ٣٤]»؛ فهذه الخمس استأثر الله ﷻ بعلمها، وما وقع العلم بهذا من بعض الأنبياء والأولياء فهو من باب تعليم الله ﷻ، وأما الاستدلال بالعلامة على الأمطار وغيرها فهذا ظن ليس بعلم.

قال الإمام: وقد فتح النبي ﷺ الاستدلال بالعلامات في قوله «إذا طلعت سحابة ثم تشاءمت فتلك عين غدقة»؛ فهذه علامة جعلها على ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل للنبي ﷺ برقم ٥٠.
(٢) في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل للنبي ﷺ برقم ٥٠.



والعلم والظن فرق بينهما؛ لأن العلم هو معرفة الشـيء مع الجزم به، وأما الظن فهو إدراك الطرف الراجح؛ ولـذا نرى الأطباء إذا نظروا للمولود في البطن بالميكروسكوب أي المجهر يقولون إنه ذكر أو أنثى فتارة يخطئ وتارة يصيب.

قال تعالـى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ المعنى كل ما جهله العباد في الدنيا ولم يطلعوا عليه في الدنيا سـوف يطلعون عليه في الآخرة ويكشـف لهم عنه الحجـاب حتى يصير من باب علـم اليقين؛ فنحن الآن آمنّا بالجنة والنـار وغيرها، فإذا كان يوم القيامة ورأيناها يصير من باب علم اليقين، قـال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٥ ـ ٦]، ويأتي بعد علم اليقين عين اليقين، قال تعالـى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]، ويأتي بعد عيـن اليقين حق اليقين، قـال تعالـى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥١ ـ ٥٢]، قال تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨]، قال تعالى: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ أي: غافلون عن الآخرة، ومعنى قولـه ﴿ادَّارَكَ﴾ أي: أدركهم علمهم في الآخرة، وقرأ نافع {إذا كنا} وقرأ آخرون {أإذا كنا}، قال تعالى حكاية عما قالوا ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل هذا النبي ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: أكاذيب الأولين، قـال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ أي: تأملـوا ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ أي: نظر اعتبار وتفكر، قال تعالى مسـلياً للنبي ﷺ ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

■ الدرس التاسع والعشرون بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٧١ ـ ٨١ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النمل].

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي: الساعة، قال ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ يعني: قل لهم أيها النبي الكريم عسى إن العذاب الذي تطلبونه دنا وقرب لكم ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ﴾ يعني: تأخير العذاب، ولذا قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي: نصيبنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦]، وقال تعالى حكاية عن نوح ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ

---

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٧/٢٩هـ.



نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ١ ـ ٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٣]، وقال تعالى حكاية عن العاص بن وائل ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ولكن قد بيَّن الله للعذاب أجلا معلوما، وكيف ينزل بهم العذاب وبينهم هذا النبي الكريم حي بين ظهرانيهم!! كما قال ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وبيَّن أن للعذاب وقتاً ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [المُلك: ٢٥ ـ ٢٦]، وبيَّن تعالى أن الوعد بالعذاب لا يتقدم ولا يتأخر ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٣٠]، والقرآن مملوء بالآيات وأن للعذاب وقتا معلوما، وأن علم ذلك موكول إلى الله ﷻ، وهذا كله في العذاب العام الذي يعم سائر أهل الأرض، وأما العذاب الخاص الذي ينزل بقوم دون آخرين فهذا يقع، والكلام في العذاب العام المستأصل كما وقع في الأمم السابقة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ﴾ [الأنفال: ٢٥]، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: عطاء وإحسان على أهل مكة وغيرهم حيث لم يعجل عليهم بالعقوبة.

وأرض الحرمين رفع الله عنهما بعض العذاب فلا يقع فيهما لا زلزال ولا رجف ولا خسف ولا طاعون، ولا يدخلهما الدجال، ولكن لا ينافي هذا وقوع القحط والقتال، كما وقع من القرامطة، وكما وقع في



المدينة حيث استبيحت ثلاث أيام في وقعة الحرة، فقول القائل العذاب الخاص رفع عن الحرمين فإن أراد بعضه فصحيح، أو أراد جميعه فخطأ؛ لأن بعضه يقع إنذارا من الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي: الوعيد بالساعة فعجلوا ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا أيها النبي ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ﴾ أي: دنا وقرب ﴿لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾ أي: وما من مسألة خفية لا يعلمها الناس سواء كان ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وهو في اللوح المحفوظ كتب وقدر، لا يخفى عليه ﷻ، وهذا كقوله ﷻ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] أي: أنه سهل عليه ﷻ، ثم بيّن تعالى أن القرآن احتوى على علوم الأولين والآخرين، وفيه من الأمثال والعبر ما لا يحصيه إلا الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: يبين لليهود والنصارى، وهم بنو إسرائيل ﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فكلما اختلفوا في شيء جاء القرآن حَكَماً، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ﴾ فحكم الله بينهم بقوله ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣] فوعد بأن الله يحكم بينهم، وبيّن القرآن أن اليهود والنصارى قتلوا أنبياءهم، فقال: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢]،



وقد طردهم الله من رحمته بسببه كما قال ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ﴾ [النساء: ١٥٥ ـ ١٥٧].

قال تعالى مبينا فضل القرآن ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [النمل: ٧٧] أي: القرآن ﴿لَهُدًى﴾ أي: رشاد ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: المصدقين بوعد الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ﴾ أي: يوم القيامة، والقرآن هدى للمؤمنين وهدى للعالمين، أي: جميع الناس المؤمنين والكافرين لو نظروا وتأملوا فيه بعين الإنصاف، وإنما خص المؤمنين بالذكر؛ لأنهم هم المصدقون به المنتفعون به فمن أجل ذلك خصهم بالذكر، فقال: ﴿لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هداية تصديق واتباع، وأما قوله ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦] أي: هداية إرشاد.

قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ خطاب لنبيه ﷺ، أي: سلم أمرك لربك فإنه ناصرك ومظهر دينك، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] أي: الكفار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] والمراد بهم الكفار، شبههم بالموتى الذين في القبور بجعل أجسادهم لهم كالقبور بجامع عدم الاهتداء؛ ولذا قال الشاعر:

وَفي الجَهلِ قَبلَ المَوتِ مَوتٌ لِأَهلِهِ ... فَأَجسادُهُم قَبلَ القُبورِ قُبورُ
وَفي العِلمِ بعد المَوتِ نَشْرٌ لأهله ... فأرواحُهُم قبل النُّشُورِ نشورُ



وقد ورد: «إن النبـي ﷺ وقف على محل مدفن المشـركين فنادى وقال: يا وليد، يا شـيبة، يا فلان، يا فلان»، فقال سيدنا عمر رضي الله عنه: تنادي على من يا رسـول الله أتنـادي على ناس قد ماتوا، فقـال ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع منهم»[1].

قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾، وقد وصف الله الكفار كذلك بأنهم بكم وعمي فقـال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]، وقال تعالى في بيان ذلك ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ﴾ أي: ما تسمع ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ﴾ [الأنفال: ٢٢].

(١) أخرجه البخاري فـي كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبـر برقم ١٣٧٠، وأبو داود الطيالسـي في باب الأفراد عن عمر رضي الله عنه برقم ٤٠، وأحمد في مسند أنس بن مالك برقم ١٤٠٦٤ مع اختلاف في اللفظ.

■ الدرس الثلاثون بعد المائة[1]

تفسير الآية ٨٢ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل].

بَيَّن الله تعالى في هذه الآيات الأهوال والأحوال التي تكون بين يدي القيامة، فمن ذلك: طلوع الشمس من مغربها، ومن ذلك إغلاق باب التوبة، ومن ذلك خروج يأجوج ومأجوج والمسيح الدجال، ومن ذلك خروج الدابة من جبل الصفا تسمي المؤمن والكافر، فتكتب فوق جبهة كل إنسان مؤمن أو كافر، ولا يقرؤها إلا المؤمن، وهذه الدابة طويلة تشبه الزرافة وتنطق وتتكلم بالعربية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾، وهذه الدابة تخرج آخر الزمان إذا فسد الناس وتركوا الطاعات وعملوا المحرمات، فيخرج الله تعالى هذه الدابة وكلامها: (هذا مؤمن، وهذا كافر)، وقيل: إنها تتكلم بما أخبر الله به، وهو قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ فيكون هذا بيانا لكلامها وتفصيلا لنطقها، ولا ينافي ذلك

---

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٨/٦هـ.



أنها لا تتكلم بكلام آخر، وفي الحديث: «بئس الشعب شعب أجياد تخرج منه الدابة»(١).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: تخبر إن الناس لا يصدقون بالبعث ولا يؤمنون بالجزاء، ويقولون ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، ولا يهلكنا إلا الدهر؛ فهؤلاء الدهرية أكثر الناس خبثا وأقبحهم عقيدة، ألم يعلموا أن الله على كل شيء قدير، ألم يعلموا أن الله جعل بعد هذه الحياة حياة أخرى، وجعل بعد هذه المحاكم المزيفة محكمة كبرى قاضيها الملك الجبار، ولهذا قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، وإذا رأيت إنسانا أخذ قلما وصور صورة، وبعد أن رأيتها وتحققت أنه الذي صورها أخذها وقطعها، وقال الآن أعيدها وأصورها صورة أخرى فهل من العقل أن تنكِر أنه لا يعيدها مع أنك رأيته صورها!؟، هذا في حق المخلوق فما بالك بالله ﷻ!، قال تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٠ ـ ٥١].

أخرج الإمام البغوي في تفسيره أنه ﷺ قال: «بادروا بالأعمال»(٢)

(١) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة برقم ٢٣٥٥ بزيادة (تصيح ثلاث صيحات يسمعها من بين الخافقين).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب بقية أحاديث الدجال برقم ١٢٨ بلفظ: (بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة)، وأخرجه أحمد في كتاب مسند المكثرين من الصحابة مسند أبي هريرة برقم ٨٤٤٦، وابن ماجه في كتاب الفتن باب الآيات برقم ٤٠٥٦، وغيرهم.

الحديث ـ أي: سارعوا بها ـ ستاً أي: قبل حصول ست: طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة والدخان الذي يملأ الأرض، قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠ ـ ١١]، والدجال رجل أعور يخرج فيدعي الربوبية، ودابة الأرض تخرج من جبل الصفا، وخاصة أحدكم يعني: أهل الإنسان؛ فإنه إذا قربت الساعة تكثر الفتن، ويفتن الرجل في أهله وبناته فإن لم يزوجهم نفروا وخرجوا عن الطريق، ويفتن الرجل مع خاصته، وتفتتن العوائل فما من بيت إلا وفيه من المصائب والفتن والبلايا ما لا طاقة به فلا يدري الرجل ويتحير؛ فلهذا جاء في الحديث: «بادروا بالأعمال قبل أن تشغلوا بخاصة أهلكم»، وهذا من أعلام نبوته ﷺ، فقل من تجد من العوائل إلا وبينهم الفتنة والشقاق، والسادسة أمر العامة يعني: تفسد الأمور على وجه العموم، فإن جئت إلى المعاملات وجدتها فاسدة، وإن جئت إلى المساجد وجدتها مظلومة من كل ناحية، وإن جئت إلى التعليم وجدته كذلك لا خير فيه، وإن جئت إلى العامة وجدتهم قد فسدوا في عقائدهم ومعاملاتهم.

وأخرج إسماعيل بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة في يوم واحد»[1]، وقد ورد في الحديث: «إن الشمس تسجد تحت

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب خروج الدجال ومكثه برقم ١١٨ لكن بلفظ (إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا) ورواه غيره بهذا اللفظ.



العرش كل يوم وتستأذن في طلوعها فيؤذن لها، ويوشك أن يأتي يومٌ فتستأذن فلا يؤذن لها، ويقال لها: ارجعي من حيث غربت؛ فحينئذ يغلق باب التوبة، ألا وإن للتوبة بابا قبل الشام يسير الراكب فيه سبعين عاماً وهو لا يزال مملوءا ببكاء الباكين وأنين الخاشعين وتوبة التائبين، ويوشك أن يأتي يومٌ فترد توبة من تاب»[1] نسأل الله العافية أو كما قال، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا بقوله ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

أخرج الإمام ابن كثير قال أبو داود الطيالسي، عن طلحة بن عمرو، وجرير ابن حازم، فأما طلحة فقال: أخبرني عبد الله بن عبد الله بن عمير الليثي: أن أبا الطفيل حدثه، عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبي سريحة، وأما جرير فقال: عن عبد الله بن عبيد، عن رجل من آل عبد الله بن مسعود ـ وحديث طلحة وأتم وأحسن ـ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال: «لها ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج خرجة من أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية ـ يعني: مكة ـ ثم تكمن زماناً طويلاً ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك، فيعلو ذكرها في أهل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب صفة الشمس والقمر بحسبان برقم٣١٩٩ بلفظ (عن أبي ذر ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]».

البادية، ويدخل ذكرها القرية» يعني: مكة ـ قال رسول الله ﷺ: «ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها: المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام، [ويشير هذا إلى أن المقام لا يتغير، ولا يحال من مكانه] تنفض عن رأسها التراب. فارفض الناس عنها شتى ومعا، وبقيت عصابة من المؤمنين، وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله، فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري، وولت في الأرض لا يدركها طالب، ولا ينجو منها هارب، حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان، الآن تصلي؟ فيقبل عليها فتسمه في وجهه، ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال، ويصطحبون في الأمصار، يعرف المؤمن من الكافر، حتى إن المؤمن ليقول: يا كافر، اقضني حقي. وحتى إن الكافر ليقول: يا مؤمن، اقضني حقي»[١].

وورد: «إن أول الآيات طلوع الشمس ثم تخرج الدابة، أيتهما سبقت صاحبتها فالأخرى على إثرها، فإذا طلعت الشمس أولاً خرجت الدابة إثرها، أو خرجت الدابة أولا فطلوع الشمس على إثرها»[٢]، قال أبو داود الطيالسي حدثنا علي بن زيد عن النبي ﷺ أنه قال: «تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، فتجلو عن

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده برقم ١١٦٥، والحاكم في المستدرك في كتاب الفتن والملاحم برقم ٨٤٩٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب خروج الدجال ومكثه برقم ١١٨ وغيره مع اختلاف في اللفظ.



المؤمن والكافر حتى يجتمع الناس على الخوان فيعرف المؤمن من الكافر» رواه ابن ماجه[1]، وروى عبدالرزاق في مسنده أنه ﷺ قال: «هي دابة ذات زغب ـ وهو ما ينبت على طرف الريشة ـ ولها جناحان تخرج من أحد اودية تهامة»[2]، وروى عبد الله بن مسعود أنه قال «تخرج الدابة من صدع في جبل الصفا».

والله ﷻ هو الذي أنطقها، وهو الذي ألهمها التمييز للمسلم من الكافر، وكم في الدواب من إلهامات، قال بعضهم: رأيت من إلهام الدواب أن أخذت كبشين، فذبحت أحدهما، وتركت الآخر وذهبت، فرأيت الكبش الآخر حمل السكين ودفنها، فرحمه ولم يذبحه.

---

(١) في كتاب الفتن باب جيش البيداء برقم ٤٠٦٦ مع زيادة في اللفظ.

(٢) ذكره نعيم بن حماد في الفتن عن عبدالرزاق في باب خروج الدابة برقم ١٨٦٢.

■ الدرس الحادي والثلاثون بعد المائة(١)

تفسير الآيات ٨٢ ـ ٨٦ من سورة النمل

قوله تعالـــى: ﴿۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النمل].

هذه الآية تدل على خروج الدابة، وهو يكون دليلا على كمال قدرة الله ﷻ، فالله ﷻ يخرج الدابة قبيل الساعة من جبل الصفا، فإذا خرجت تتكلم بكلام فصيح، وهي سـريعة المشـي فقد ورد: «إنها تبيت بمكة وتصبح بعسفان»، ولها جناحان.

وأول الآيات طلوع الشمس من مغربها كما ورد في صحيح مسلم، ثم تخـرج الدابة ضحى، فأيهما سـبقت كان إثرهـا الأخرى، والآيات العشر هي: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، ويأجوج ومأجوج، وانحسـار الفرات عن جبل من ذهب، وخسف، ومسـخ؛ فقد ورد في

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٨/٦هـ.

الحديث أنه ﷺ قال: «يصبح ناس من أمتي قردة وخنازير»[١]، وورد: «إنه يخسف بجيش السفياني بالبيداء فلا يدري أوله من آخره».

فإن قيل: ألم يرفع الله المسخ عن هذه الأمة؟.

أجيب: بأنه رفع عنهم المسخ العام، وأما الخاص فلا، ورفع الله عنهم ذلك ببركة دعوته ﷺ؛ فقد ورد: «طلبت من ربي أن لا يهلك أمتي بخسف ولا مسخ»، وأما الدخان فقد ورد عنه ﷺ: «أنه سيأتي دخان يملأ ما بين السماء والأرض حتى إن الرجل لا يعرف من بجانبه، ثم يكشف بدعاء الداعين واستغفار المستغفرين»، والصحيح أنه من أشراط الساعة، وأنه لم يأت، وورد أيضا: «إنها تخرج نار من أرض عدن تسوق الناس إلى المحشر»[٢]، وقد ورد في الحديث: «بئس الشعب شعب أجياد ـ قالها ثلاثاً ـ فقيل: ولم ذلك يا رسول الله؟، قال: تخرج منه الدابة فتصرخ صرخة تملأ ما بين الخافقين»[٣]، وهذه الدابة فتنة كبرى، وجاء في الخبر: «إنها إذا خرجت تنفض التراب عن رأسها ما بين البيت والمقام، ثم تصرخ فيسمع صراخها أهل المشرق والمغرب»، وورد في الحديث: «إنها تخرج ليلة جمع»[٤] يعني: ليلة المزدلفة.

---

(١) أخرجه البخاري من أثناء حديث في كتاب الأشربة باب ما جاء فيمن يستحل الخمر برقم ٥٥٩٠.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم باب أمارات الساعة برقم ٤٣١١ من أثناء حديث، وغيره.

(٣) ذكره الفاكهي في أخبار مكة برقم ٢٣٥٥ مع اختلاف في اللفظ.

(٤) ذكره نعيم بن حماد في الفتن في باب خروج الدابة برقم ١٨٦٥.



وأما الدجال فلا يدخل الحرمين فقد ورد في الحديث: «أنه إذا جاء يريد الدخول إلى المدينة يجد على كل نقب من أنقابها ملك بيده السيف مسلط، فيقال له: ألا تدخل، فيقول: هذه مدينة ذلك الرجل ـ يعني: النبي ﷺ ـ فترجف المدينة بأهله ثلاث رجفات فيخرج إليه سبعون ألف منافق»[1]، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

ولا شك أن الله تعالى يحفظ عباده من فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج والدابة؛ ولهذا ورد في الحديث: «استعيذوا بالله من فتنة الدجال فالله تعالى يثبت المؤمنين»، وورد في الحديث: «إن الدابة إذا مرت بالمؤمن تمسح وجهه فيزداد نوراً، وتمر بالكافر وتكتب بين عينيه كافر».

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ يعني أنه يحشر المشركون جماعات فيحشر الرجل وأخوه وزوجته، قال تعالى: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ [الصافات: ٢٢]، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] أي: جمعت مع زوجها، أي: قرينها، وللكافرين يوم القيامة مواقف ففي موقف يشتد الهول فلا يتكلمون، وفي موقف يتكلمون وهكذا، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

---

(١) أخرجه أحمد في مسند جابر بن عبد الله ﷺ برقم ١٤١١٢، والنسائي في الكبرى في كتاب المناسك باب منع الدجال من المدينة ٤٢٦٠ مع اختلاف في اللفظ.

■ الدرس الثاني والثلاثون بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٨٧ ـ ٩٠ من سورة النمل

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل].

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ يذكر الله تعالى في هذه الآيات شيئا من أشراط الساعة وأهوالها، والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل، وفي الحديث: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فينفخ»[2]، وبالنفخة الأولى يموت كل من في العالم وتنقطع الأرواح عن الأجساد حتى من الذين في القبور، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٦٨] وما بين النفختين أربعون سنة.

أما النافخ فهو إسرافيل ملك عظيم، وأما المنفوخ فيه فهو الصور، ويسمى الناقور، والمراد به كما جاء في الحديث: «قرن عظيم أعلاه عظيم وأسفله مستدق»، ويسمى الناقور، وقد أمر الله إسرافيل أن

---

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/٨/١٣هـ.

(٢) أخرجه أحمد في مسند أبي سعيد الخدري برقم ١١٦٩٦ لكن بلفظ (قد التقم الصور).



ينفـــخ فيه، وقد التقمه وجعله فـــي فِيه، وأصاخ بأذنيـــه ينظر متى يؤمر بالنفخ، أخـــرج الإمام عبد الـــرزاق الصنهاجي في مســـنده، قال: حدثنا معمر، قال: حدثنا ثابت البناني، قال: حدثنا أنس بن مالك ﷺ قال: قال رســـول الله ﷺ: «كيف أنعم وقد التقم صاحب الصـــور الصور ينظر في أن يؤمر بالنفـــخ فينفخ»، وقد قال أيضا: «بعثت أنا والســـاعة كهاتين»[1] وهذا من بعثته ﷺ، وقـــد قال أيضا: «أكثروا من ذكر هـــادم اللذات»[2]، فإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح

وكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حينا من الدهر

فينبغي للإنســـان أن يراقب الجبار، ويتيقن أن هذه المحاكم المزيفة وراءها محكمة عليا وحاكمها الملك الجبار.

واعلـــم أن النفخ نفختان: نفحـــة للإماتة والأخـــرى للإحياء، وبين النفختين أربعون سنة، وتمطر الســـماء بين النفختين ماء كمني الرجال فينبتون كما تنبـــت الحبة من الأرض فكذلك ينبتون، ثم يســـاقون إلى المحشـــر، ومن أجل ذلك قـــال تعالـــى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٦٨] وإذا خرجوا مـــن القبـــور ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] أي: ينظرون من أين ذلك الصوت؛ لأنه إذا نفخ في الصـــور يمتد صوت عظيم يملأ ما بين الخافقين، فيخرجون كأنهم جراد منتشـــر ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين

(١) أخرجـــه البخاري في كتـــاب الطلاق باب اللعـــان برقم ٥٣٠١، ومســـلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم٤٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له برقم ٤٢٥٨.



﴿إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨]، والقول بأن بين النفختين أربعين سنة لا يدرك بالعقول، لكن قد أخبر به الذي لا ينطق عن الهوى، وقد وكل الله وظيفة البيان له ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] فمن أراد بيان الكتاب فليأته من بابه وهي السنة، ومن طلب البيان من غير طريقه فقد تنكب عن سواء السبيل، وهذه الأحاديث التي وردت في أهوال يوم القيامة وأوصاف الملائكة والأمور الأخروية ليس نصيبنا منها إلا الإيمان والتصديق، وأن يكون إيماننا إيماناً بالغيب مذعنين مصدقين، والعقل لا نصيب له في هذا المقام، فيجب على العقول أن تخضع تحت سرادقات الربوبية، والفلاسفة لما تفلسفوا في هذه الأمور كفروا بالله، وقد قال ﷺ يوما لأصحابه: «أتدرون من أعظم الناس إيمانا؟ قالوا: الملائكة، فقال لهم: وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم، فقالوا: نحن يا رسول الله، فقال: كيف لا تؤمنون وأنا بين ظهرانيكم، فقالوا: من يا رسول الله؟ فقال لهم: قوم يأتون من بعدكم فيؤمنون بي»، وهذه خصوصية بالمؤمنين الذين جاءوا من بعد، ولكن لا تقتضي الأفضلية، قال العلماء: هم أفضل من حيث الإيمان بالرسول من جهة أنهم لم يشاهدوه فهذه خصوصية، لكن الرسول جعل للمتأخرين خصوصية من جهة أنهم آمنوا به ولم يشاهدوه فهذا إيمان بالغيب، وإلا فللصحابة مزايا عظيمة وخصوصيات كثيرة، وقد قال ﷺ: «أقضاكم علي، وأعرفكم بالحلال والحرام معاذ»، فهذه خصوصيات في علي ومعاذ لم تقتض أن يفضلوا على أبي بكر، ولكن ذلك تفضيل في مقام خاص.



وسأل السائل عن الفرق بين بشارة الصحابة والأولياء بالجنة؟.

فكان الجواب: إن الله ﷻ بشر أصحاب الرسول بالجنة؛ لأن منهم من أسلم من قبل الفتح ومنهم من أسلم من بعد، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، وأخرج الطبراني بسند صحيح: «أنه ﷺ تلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦]، فقيل له: ما الحسنى؟ فقال: الجنة»، وقد بشر النبي ﷺ عشرة من الصحابة بالجنة، يعني: في مجلس واحد، وأما المبشرون من الصحابة بالجنة في غير ذلك المجلس فهم يزيدون على الألف كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر منهم عبد الله بن سلام كما قال فيه ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي على الأرض فلينظر إلى عبد الله بن سلام»[1]، وقال لبلال: «سمعت دف نعليك في الجنة»؛ فالصحابة بُشروا بالجنة عموما بالقرآن وخصوصاً من النبي ﷺ، وأما البشارة للأولياء بالجنة فهي بشارة عمومية، ولم يعلم أن أحدا من الأولياء بشر بالجنة خصوصاً إلا من كان معاصرا كأويس القرني، ولهذا قال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٤]، ثم إن الصحابة هم أكبر الأولياء، وإذا لم يكن الصحابة أولياء فمن الأولياء!!، وبهذا تعلم الفرق بين البشارتين.

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ﴾ اختلف العلماء في هذا الاستثناء

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ﭫ باب فضائل عبد الله بن سلام ﭬ برقم ١٥٠ مع زيادة.



فروي عن أبي هريرة: «أنه ﷺ سأل جبريل عن هؤلاء المستثنين، فقال هم حملة العرش»، وروي عن ابن عباس بأنهم الشهداء، وجاء في بعض الآثار: أنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، وقد قال الإمام السيوطي:

ثمانية حكم البقاء يعمها   من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي ونار وجنة   وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ أي: صاغرين ذليلين، ثم بَيَّن تعالى حالة الجبال في ذلك اليوم ويدل لذلك تفسير الصحابة والتابعين، وقد بَيَّن تعالى أولاً أن الجبال تتفتت، قال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [الواقعة: ٥ ـ ٦]. كما بَيَّن تعالى أن الجبال تقوم بحالها كأنها صوف مندوف؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، وهذا هو الطور الثاني للجبال، وأما الطور الثالث فإنها تسير سيرا قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]. ولذا قال تعالى: ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ١٠]. ثم بعد ذلك ينسفها نسفاً قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]. ثم بعد ذلك يأمر الله ملكا أن يمسك الجبال في قبضة والأرض في قبضة فيدكها دكةً واحدة، قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]، ومن العجيب أن يأتي الرجل ويستدل بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] على دوران الأرض فمن أين هذا الاستدلال؟ وفي الحديث: «إن من فسر القرآن برأيه فقد أخطأ»، وفي حديثٍ آخرَ: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». قال الإمام ابن عباس في قوله: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ﴾ إنها تسير سيراً لا يقر عليه الطرف... إلخ ما قال. اهـ.

■ الدرس الثالث والثلاثون بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٨٩ إلى آخر سورة النمل

قوله تعالـــى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمل].

في هذه الآيات المبـاركات بَيَّن الله تعالى فيها قانـون الجزاء يوم القيامـة، فذكر أن من جاء بالحسـنة فله ثواب خير من تلك الحسـنة، وهذه الخيرية من جهتيـن: الأولى من جهة الكمية، فالحسـنة الواحدة تقابلها عشـر إلى سـبعين إلى سـبعمائة، فالخيرية هنا مجملة، ولكن فصّلها القرآن في آياتٍ أخرى منها قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ومن ذلك قوله تعالـى ـ في أن المضاعفة لا تقف عند حد مما لا يحيط به عدد ولا يحصره حسـاب ـ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وبَيَّن تعالى أنه هو الذي

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/٨/١٤هـ.

يتكفل بالخلف فقال: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وتنزل تعالى في معاملة عباده وهو العلي الأعلى فقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فالمال مال الله والعبيد عبيد الله، ولكن الحق تعالى يقترض من الأغنياء ويقول ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وهذا يدل على سعة رحمة الله تعالى، وأنه بعباده رؤوف رحيم، وهنا جاءت الخيرية عامة بالنسبة إلى الكمية قال تعالى ـ مبيّناً أن المضاعفة تقع وبعد المضاعفة يعطي عطاء من عنده ـ ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] فهذا يدل على أن المضاعفة من فضل الله العزيز الوهاب، وقد ورد في الحديث: «أنه يقال لرجل: تَمَنَّ، فيتمنى حتى تنقطع أمانيه، فيقول له تعالى: لك ما تمنيت وضعفها عشر مرات ولك مثل الدنيا عشر مرات»[1]، والعمل يفنى والثواب يبقى وما يبقى خير مما يفنى؛ إذ العمل خير من الحسنة بالنسبة إلى ذاته وبالنسبة إلى عدده، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ وهذه الآية أبلغ من قوله ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، قال تعالى: ﴿وَهُم﴾ أي: الصالحون ﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]؛ فلا شك أن الله تعالى يجعل السعداء آمنين.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب آخر أهل الجنة خروجا برقم ٣٠٩، وغيره.



واختلف في معنى الحسنة فقيل: المراد بها لا إله إلا الله ؛ فهي أعظم حسنة على الإطلاق، وهي الكلمة الطيبة التي تصعد إلى السماء، وقيل المراد بالحسنة الإخلاص؛ لأن الأعمال أجسام قائمة وروحها الإخلاص؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ﴾ [البينة: ٥]، وهذا دليل على أن الأعمال لا تعتبر إلا بالإخلاص.

ورُوْحُ الأعمال هو الإخلاص　　فلا يصح دونه الخلاص

وقيل: الحسنة المراد بها أي حسنة فـ(ال) في الحسنة للاستغراق، وهذا هو الأصح، فإن فسرنا الحسنة بلا إله إلا الله فتكون السيئة الشرك، وإن فسرنا الحسنة بالإخلاص فتكون السيئة الرياء، وإن فسرنا الحسنة بأي حسنة كانت فتكون السيئة أي سيئة كانت.

قال تعالى: ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ كما قال تعالى: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٩٤]، وإن أراد بالسيئة الشرك فهو يبين ما يترتب على ذلك، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ [البقرة: ٨٠] إلى أن قال ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١]، فلما كانت السيئة هنا الشرك قال ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وبيَّن أنهم خالدون في النار، وأما إذا أطلقت السيئة فتحتمل الشرك وغيره، قال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ فمن قال: إن السيئة هنا الشرك يدل له قوله ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾، ومن قال: إن السيئة غير الشرك قال إن المؤمنين الذين استحقوا ذلك لا ينفذ فيهم ولكن ينفذ في المشركين، وأما قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] أي:



يعبدون مع الله، أي: يشركون في الدعاء، وهو العبادة، ففي الحديث: «الدعاء مخ العبادة»[1]، ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [الفرقان: ٦٨] والقتل إزهاق الروح التي حرم الله، أي: التي جعل الله قتلها محرما ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] والمراد بالحق هنا القتل العمد العدوان أو الزنا بعد الإحصان أو الردة بعد الإيمان؛ فمن ارتكب القتل أو الزنا أو الردة لم يكن معصوم الدم كما قال تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: إلا بموجب يقتضي قتلها، وقد ورد في الحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله إلا بحقها»[2] وقد فسر حقها فقال: «هو زنا بعد إحصان أو ردة بعد إيمان أو قتل عمد»[3]، قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور من القتل أو الزنا ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان]، ولا يكفر بذلك؛ لأن مرتكب الكبيرة لا يكفر كما ورد في الأحاديث، فإن فاعل الكبيرة إذا لم يستحلها ولم يكفر بالله ليس مخلدا، وأما إذا استحلها فهو كافر يخلد في النار، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]؛ فقد أثبت لهم الإيمان، وأمر بالصلح بينهم مع

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب أبواب الدعوات باب ما جاء في فضل الدعاء برقم ٣٣٧١ وقال حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله برقم ٣٦.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود في باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ برقم ٤٣٦٣، والترمذي في كتاب أبواب الفتن باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم برقم ٢١٥٨، والحاكم في المستدرك في كتاب الحدود برقم ٨٠٢٨.

ارتكابهم القتل وهو من الكبائر، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] فأجابوا عنها بوجوه:

١ ـ إنها محمولة على المستحل فاستحلاله لقتل المؤمن يصير به كافراً.

٢ ـ إن المراد بالخلود طول المكث، وليس المراد به الخلود الحقيقي، وإنما طول المكث فقط فيقال في ذلك خلود، وأما اللعن والغضب فوردا مورد الزجر والتنفير.

٣ ـ إن هذه الآية إنما جاءت مجملة وفسرتها آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]؛ فإذا كان غير الشرك يغفره الله لمن يشاء، فالقتل غير الشرك.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وفي الأخرى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وفي الأخرى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، فهذه الآيات جاءت في سياق معرض ذكر اليهود والنصارى الذين لم يحكِّموا التوراة والإنجيل، وهي تسحب ذيلها على كل من لم يرض بحكم الله ولا رسوله كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ أي: مكة، وإنما قال رب ليثبت ربوبيته، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ ففي



الحديث: «إن هـذه البلد حرمها الله من منذ يوم خلق الله السماوات والأرض»[1]، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: الموحدين ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَۖ﴾ كما قال: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ لما فيه ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨] ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [يس: ١٧]، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ﴾ أي: تلك الآيات وأولها يوم بدر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾... إلخ ما قال. اهـ.

١) أخرجه البخاري من أثناء حديث في كتاب العلم باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب برقم ١٠٤ لكن بلفظ: (إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس...).



تفسير ثلاثين آية
من أول سورة القصص

■ الدرس الرابع والثلاثون بعد المائة[1]

سورة القصص

تفسير الآيات الخمس الأولى من سورة القصص

قولـه تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص].

هذه السورة المباركة سميت سورة القصص؛ لأن الله تعالى قص فيها قصة موسى وفرعون وقارون وغير ذلك من أحوال بني إسرائيل، وبيَّن فيها قصة فرعون مع موسى بإسهاب، وقد بيَّن تعالى فيها كيف نصر عباده المؤمنين، وأذَلّ الكافرين.

وهي مكية أي نزلت قبل الهجرة، فالمكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة.

والمكي أكثر من المدني، فالمكي ثلثا القرآن تقريبا، والمدني نحو ثلث القرآن.

وعدد آيات هذه السورة ٨٨ آية.

---

(١) كُتب هذا الدرس: بتاريخ ١٣٧٩/٨/٢١هـ.



ذَكَرَ الإمام أحمد ابن حنبل في مسنده حديثا عن معدي كرب قال: «أتينا عبد الله بن مسعود فطلبنا منه أن يقرأ علينا سورة القصص، فقال: عليكم بمن أخذها عن رسول الله ﷺ وهو خباب بن الأرت، فجئنا إليه فقرأها علينا: قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿طسٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده أي الله أعلم بمراده».

فهذا من قسم المتشابه، فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا يكشف سره ومعناه إلا بعد أن يدخل أهل الجنة الجنة، فهناك يكشف سر القضاء والقدر وما انبهم على العباد.

قال تعالى: ﴿تِلۡكَ﴾ أي هذه الآيات، وأشار إليها بما يشار به إلى البعيد، والأصل هذه لعظمها وبعد مكانها على حد قول الشاعر:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فأشار إليهم بقوله أولئك لعظمهم، وقد يشار إلى البعيد بما يشار به للقريب إشارة لقربه منه حتى كأنه ساكن في فؤاده، ومنه قول الشاعر:

أَسكّانَ نَعمانِ الأَراكِ تَيَقَّنوا بِأَنَّكُمُ في رَبعِ قَلبِيَ سكّانُ

والسورة هي الطائفة من آي القرآن مفصولة عما قبلها وعما بعدها بفاصل. وأقصر سورة في القرآن سورة الكوثر.

وأما الآية فهي طائفة من حروف القرآن مفصولة بينهما بفاصل.

وأقصر آية في القرآن(١) ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤]، وأطول آية

(١) أي باعتبار أنها كلمة واحدة، أما باعتبار عدد الحروف فآية ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [المدثر: ٢١].



فـــي القرآن آية الديـــن، وأحكم آيـــة في القـــرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

قال تعالى: ﴿ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: الظاهر الواضح.

فإن قلت كيف يصفه بأنه واضح وفيه الآيات المتشـــابهة والحروف المقطعة كقوله ﴿طسٓمٓ﴾ وفيه أيضا الآيات المجملة.

والجواب عن هذا: إنه المبين في نفسه وفي الواقع وفي نفس الأمر وإن كان بالنسبة لنا لا نفهم بعضه بالنسبة لفهمنا القاصر

أَلا إِنَّـــهُ البَحـــرُ المُحيـــطُ وَغَيرُهُ   مِنَ الكُتْبِ أَنهـــارٌ تَمُدُّ مِنَ البَحرِ

وقيل معنـــى ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ أي الواضح بالنســـبة لأكثره؛ لأن الرســـالة الواضحـــة وفيها كلمات قليلة غيـــر مبينة لا تخرج الرســـالة عن كونها واضحة.

أَلَيْـــسَ القرآن عربيـــا مع أن فيه بعـــض كلمات عجميـــة كإبراهيم وإسماعيل لكن لا يخرجه عن كونه عربيا والله أعلم.

وقد قال بعض العلماء فـــي القرآن: انقطع تنزيله ولـــم ينقطع تَنَزُّلُهُ يعني من الفتوحات التي يفتـــح الله بها في آياته على الأولياء؛ ولذا قال الحبيب علي الحبشي:

تنزُّلـــه علـــى العلمـــاء بـــاقٍ   لديهـــم وهـــو منقطـــع النـــزول

قـــال تعالـــى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسـف: ٣] هذه هي القصص الحقيقية التي هي أعلى القصص كعبا وأحسن عبارة وورونقا،

ومع ذلك فقد وُجِدَ من شباب الإسلام من يعدل عنه إلى قصص غرامية كألف ليلة وليلة تملؤه الميوعة، ألا يرجع إلى قصص الكتاب العزيز.

قال تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يصدقون بالقرآن، وخصهم بالذكر لأنهم هم المخاطبون بما فيه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أل في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ للعهد.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ يعني جعلهم أصنافاً؛ فمنهم من يعبده، ومنهم من يخدمه، أما بنو إسرائيل فإنه آذاهم؛ وذلك بأنه فصل رجالهم عن نسائهم، وجعل الرجال يخدمون رجال القبط، والنساء يخدمن نساء القبط، وجعل له جواسيس يدخلون إلى نساء الإسرائيليات، فإذا كانت حاملاً كتبوا اسمها، فإذا ولدت فإن كان ذكرا قتلوه، وإن كان أنثى أبقوه؛ والسبب في ذلك أن السحرة أخبروه بأن زوال ملكه يكون على يد غلام إسرائيلي، والحكمة في جعل الله أذية فرعون لبني إسرائيل أنهم آذوا الأنبياء السابقين فانتقم الله منهم، قال تعالى: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾.

ولما دخل إبراهيم إلى مصر مع سارة وكانت جميلة أخذها فرعون، فلما خلا بها وأهم بها شلت يده، وكشف الله الحجاب لإبراهيم فرآها عنده ولم يمسها، ولم يزل كذلك كلما هَمَّ بها لم يقدر عليها حتى أخرجها من عنده مكرمة، وفرعون إبراهيم غير فرعون موسى؛ لأن بين إبراهيم وموسى ثلاثة آلاف سنة، وقد كان يبشر إبراهيم بأنه: سيجيء

ولد من أولادي يقلب ملك الفراعنة رأساً على عقب، ويبيد ملك الفراعنة بالكلية، وذلك هو موسى.

قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا فيه تسلية لبني إسرائيل المستضعفين المبتلين المعذبين. بل هذه التسلية تسحب ذيلها على كل مظلوم محزون مستضعف، ففي الحديث: «إن دعوة المظلوم تخترق السماء، فيقول الله تعالى: لَأَنْصُرَنَّك ولو من بعد حين» فهذه هي القنبلة المدمرة فتخرج من فم المظلوم وتخترق الفضاء إلى رب العالمين؛ ولذا قال بعضهم:

أَتَهزَأُ بِالدُعاءِ وَتَزدَريهِ ... وَما تَدري بِما صَنَعَ الدُّعاءُ

سِهامُ اللَيلِ لا تُخطِي وَلَكِن ... لَها أَمَدٌ وَلِلأَمَدِ آنقِضاءُ

فليتق الله الظالمون

لا تَظْلِمَنَّ إذا ما كنت مُقْتَدِراً ... فالظلمُ آخرُه يَأْتِيكَ بالعَطَبِ

غيره:

تَنامُ عَينُكَ وَالمَظلومُ مُنتَبِهٌ ... يَدعو عَلَيكَ وَعَينُ اللهِ لَم تَنَمِ

قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وذلك لأن الله لما أهلك فرعون وقومه رجع بنو إسرائيل إلى مصر وملكوا ملك فرعون وأمواله، وكان فرعون قد مكث في الملك (٤٠٠) سنة حتى أهلكه الله ﷻ... إلخ ما قال. اهـ.

■ الدرس الخامس والثلاثون بعد المائة[1]

تفسير الآيات ١٥ ـ ٢١ من سورة القصص

قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [القصص].

هذه الآيات المباركات في سـورة القصص والكلام فيها على قصة موسـى، وهي أخذت أكثر السورة حتى أن قصة قارون التي ختمت بها في الحقيقة هي من التوابع لقصة موسـى؛ ولذا سُـميت هذه السـورة سورة موسى.

---

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/١٠/١٨هـ.



قولــه تعالـــى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ والمدينة هي المنوفيــة، وكانت عاصمـــة مصر، وفيهـــا فرعون، وهـــذا كان قبل بناء القاهرة، وكان الســـحرة فيها، ومما يلغز فيها، فيقـــال: في القرآن ذكرت المدينة وليس المراد بها مدينة الرسول فأين هي؟، والجواب: هي مدينة المنوفية.

وكان فرعون لا يســـكن في نفس المدينة، وإنما يسكن في بساتينه كما هي عادة الملوك.

قـــال تعالـــى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا ﴾ أي أحد الرجليـــن ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي من بني إســـرائيل، قيل إنه الســـامري الذي وقعت منه بعد قصـــة العجل، قال: ﴿وَهَٰذَا﴾ أي هذا الرجل الآخر: ﴿مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي من القبط، قيل إن ذلك يوم عيدهم، فلما دخل المدينـــة وجد الحوانيت قـــد أغلقت والأبـــواب قد قفلت، وقوله ﴿مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ تأسست هذه العداوة لما أخبر فرعون أن زوال ملكه يكون علـــى يد غلام من بني إســـرائيل وكان يقتل أبناءهم ويســـتحيي نســـاءهم، والقبطي قيل: هو طباخ فرعون كان وجد إسرائيلياً، فأمره أن يحمل الحطب إلى مطبخ فرعون، فأبى فضربه أشد الضرب حتى حمل الحطب، فلما وصل به إلى مطبـــخ فرعون، وطلب الأجرة ضربه، وقال له: هذه الأجرة، فأخذ الإسرائيلي بتلابيب القبطي وأراد قتله، فمر موسى بهما وهما يقتتلان، فاستغاث به الإسرائيلي، فجاء إليه موسى وكان قويا متينا فَدَكَمَ القبطي فمات حالا، فدفنـــه في الرحل، ثم ندم ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.



قال تعالى حاكياً عن موسى ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ أي بالمغفرة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ أي ناصراً للظالمين، يعني أنه تاب إلى الله وَالْتَزَمَ أن لا يعين أحداً على أحد قبل أن يتبيّن أمره، وإنما وقع هذا كله من الندم؛ لأنه صدر ذلك منه بغير إذن من الله ﷻ.

ومما يحكى أن رجلاً قوياً تزوج بامرأة، فلما دخل عليها ليلة الزفاف ضمها إليه فقتلها من قوته، ولم يقصد ذلك، فندم وبكى، فصار بعد العناق الفراق.

ثم إن موسى بعد أن دفن القبطي في الرحل ذهب ولم يدر أحد، فبحث الأقباط عن طباخ فرعون، وقلبوا المدينة رأساً على عقب، فلم يعلموا له خبرا، فمر موسى ثانياً بالإسرائيلي الأول، فوجده يتصارع مع قبطي آخر فاستغاث الإسرائيلي بموسى ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾، فلما رأى سيدنا موسى عليه السلام أن القبطي كاد أن يغلب الإسرائيلي، وكاد أن يصرعه على الأرض رَقَّ قلبه عليه، فجمع يده ليدكم القبطي، فظن الإسرائيلي أن موسى يريد أن يدكمه لما قال له سابقاً ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ فقال الإسرائيلي حالا﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ﴾، فسمع الأقباط حالا كلامه، وأخذوه إلى فرعون، وعذبوه حتى أخرج لهم القبطي من الرحل، فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى، فأسرع رجل من بني إسرائيل ـ قيل إن اسمه شمعون ـ وجاء إلى موسى وقال له: ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. اهـ.

■ الدرس السادس والثلاثون بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٢٢ ـ ٢٥ من سورة القصص

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص].

قال تعالى: ﴿تَوَجَّهَ﴾ أي موسى عليه السلام بعد إخبار ذلك الرجل الإسرائيلي، وأخبره بتجمع القوم ومكرهم، فخرج خائفا يترقب، فسخر الله له ملكاً على صورة رجل راكبٍ فرساً يهديه الطريق ويركبه على فرسه إذا تعب.

قال تعالى: ﴿تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي جهة ﴿مَدْيَنَ﴾ وهي مدينة سميت باسم ابن إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان للخليل ابن اسمه مدين نزل على هذه المياه، وهذه المدينة بينها وبين مصر مسيرة ثمان أيام، فلما وصل موسى مياه مدين إِلْتَفَتَ ليرى الرجل فلم يره، ونسبة مدين إلى مصر كنسبة البادية

---

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/١٠/١٩هـ.



إلى الحضر، فإن مصر فيها الحضارة لاسيما وقد تربى موسى في قصر فرعون على النعيم، فخرج موسى من الحاضرة إلى البادية.

قال ابن عباس: خرج موسى من مصر من النعيم، ولم يكن له قوتٌ إلا ورق الشجر حتى أنه يرى الخضرة في بطنه ظاهرة، فما زال يمشي حتى ورمت قدماه، وكان هذا أول ابتلاء الله لموسى، فلما اشتد به البلاء واشتب قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، فبعث الله إليه ملكاً في صورة رجل يهديه الطريق.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ﴾ أي: بلغ ﴿مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ أي: من الناس.

واعلم أن لفظ (أُمَّة) يطلق على الرجل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، ويطلق لفظ الأمة على المدة من الزمان، قال تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] أي هذه مدة من الزمان، ويطلق لفظ الأمة بمعنى الأم، فيقال: هذه أُمَّةُ بني فلان، والهاء للكثرة؛ لكثرة أولادها، ويطلق لفظ الأمة على العدد من الناس أمرهم واحد، قال تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، ويطلق لفظ الأمة على الناس الذين أرسل إليهم ﷺ سواء آمنوا أم لا، وتسمى أمة الدعوة، ويطلق على الذين آمنوا فقط، وتسمى أمة الإجابة، ومنه قوله في الحديث: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[1] أضافهم إليه

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب الشفاعة برقم ٤٧٣٩، والترمذي برقم ٢٤٣٥وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأحمد في كتاب مسند المكثرين من الصحابة مسند أنس بن مالك ﷺ برقم ١٣٢٢٢.



إضافة اختصاص، وتطلق على النفس، وهي الأصل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩] أي نفسه.

قال تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ أي: مواشيهم فالمفعول محذوف، أو هو بمعنى يستقون، فحذفت التاء تخفيفاً.

قال تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ يدفعان أغنامهم من أن تختلط بأغنام القوم، فالمفعول محذوف.

قال تعالى: ﴿قَالَ﴾ أي: موسى ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما شأنكما، أي ما لكما لا تسقيان أغنامكم ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى﴾ أي: أغنامنا ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ﴾ أي: يفرغ ﴿ٱلرِّعَآءُ﴾ أي: رعاة الغنم، فالمعنى أنا نسقي أغنامنا مما يفضل من الماء بعد أن يسقي الناس أغنامهم، قال تعالى: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ قيل: هو شعيب، واختلف فيه، فقيل: هو نبي الله، وقيل: رجل آخر اسمه شعيب؛ لأنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم، وقيل: هو رجل آخر اسمه بثرون، والصحيح أنه نبي الله شعيب، وإنما سماه كبيراً؛ لأن شعيباً أكثر الناس أعماراً، وقيل: إنه عُمِّرَ ثلاثة آلاف وستمائة سنة، ولما حضرته الوفاة بكى، وقال: لقد رأيت من أولادي وأحفادي ألف درجة والآن أموت فالموت لا بد منه، قيل: إنه كان في غنمه اثنا عشر ألف كلب، وأما نبي الله نوح فعمره ألف وخمسمائة سنة، ولما دخل عليه ملك الموت بغير استئذانه جهاراً ضربه وأزال إحدى عينيه، فرجع إلى ربه، فقال: يا رب أرسلتني إلى رجل يكره الموت، فقال له: ربه لا تذهب إلى نبي أو ولي أو غيرهما إلا بخفية، فمن بعد هذا كان يأتي خفية، ومن قبل هذا كان يأتي جهاراً.

قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ فقيل: إنه أزال حجراً من فوق البئر لا يحمله إلا أربعون رجلاً، فحمله بيدٍ واحد حتى سقى لهما، ثم رده، ولم يطلب منهما أجرة، وكان في شدة الجوع.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال بعض العلماء: من كان في البرية واحتاج إلى رزق فليكثر من هذا الدعاء، فإنه مجرب لتسهيل الفرج، وأخبرني رجل من أصحاب والدي أنه هرب من الطائف لما وقعت وقعة الطائف، فوصل في أثناء الطريق إلى عند بستان عليه حائط، وهو في شدة الجوع، فجلس تحت الحائط، وكان فوقه شجرة عنب، فتذكر قصة موسى فدعا بهذا الدعاء فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فما شعر إلا وكأن أحد يحرك الشجرة التي فوقه، وسقط من ثمارها عليه شيء كثير، فأكل وملأ جيوبه إلى آخر ما قال. اهـ.

■ الدرس السابع والثلاثون بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٢٢ ـ ٢٨ من سورة القصص

قولــه تعالــى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص].

هــذه الآيات المباركات يتمــم الله بها قصة موســى الكليم، فبعد أن ذكر قتله للقبطي، واســتغفاره وندمه على ما فعــل، وبعد أن ذكر مجيء ذلك الرجل، وأخبره أن المــلأ اجتمعوا عليه ليقتلوه، وبعد أن بيَّن ذلــك ذكر الطرف الثالث من قصته، وذلــك أنه ذكر أولاً ولادته،

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/١٠/٢٦هـ.



وكيف تربى في حجر عدوه، وحفظه من مصائب البحر، ثم ذكر الطرف الثاني من القصة وهي دخوله إلى مدينة منوفية، وقتله للقبطي، وندمه واستغفاره، وما وقع له مع الإسرائيلي نفسه الذي قال له ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾، ثم ذكر الطرف الثالث من القصة وهو رحلته إلى مدين، ومشيه إليها وهو لا يعرف الطرق مع أنه لم يألف عيش البداوة، وتربى في حجر النعيم وفي قصر الملك، فخرج إلى مدين ماشياً على قدميه متوكلا على مولاه سائلا منه ﷻ أن يهديه سواء السبيل، ولا شك أن من توكل عليه هداه سواء السبيل، فلما خرج موسى من مصر ومشى قليلا رأى رجلا راكباً على فرس، فقال له: ألا تركب، فقال: نعم، فمشى به، وذلك الفارس هو ملك أرسله الله إليه على صورة رجل، فلما مشى به قليلاً، قال: ألا تأكل، قال: نعم فأتى له بأكل، ثم قال له: ألا تشرب، قال: نعم، فجاء إليه بالشراب، فمن يتوكل على الله فهو حسبه.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ أي: موسى عليه السلام ﴿تِلْقَاءَ﴾ أي جهة ﴿مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، ويقال: توجه إلى كذا أي قصده بوجهه؛ لأن القاصد إذا قصد شيئا توجه إليه بوجهه، فسمي ذاك توجها، ومدين اسم بلده سميت باسم ابن نبي الله إبراهيم عليه السلام، ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: يرشدني إلى الطريق، والهداية تأتي بمعنى خلق الهداية والرشاد في القلوب، وهي بهذا المعنى خاصة بالله ﷻ، وتطلق الهداية بمعنى الإرشاد إلى الطريق، وهي بهذا المعنى تطلق على الله وعلى غيره، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] أي مرشد



للطريق، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]، وقال تعالى: مخاطبا لحبيبه ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] مع أنه قد قال له ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لما هاجر الرسول ﷺ وأبو بكر اختفيا في غار ثور، وكانت قريش قد جعلت لمن يأتي بالرسول مائة ناقة، وكانت العرب تعرف أبا بكر، ولا تعرف الرسول ﷺ، فكانت بعض العرب إذا رأوا أبا بكر وهو رديف الرسول يقولون له: «يا أبا بكر من هذا»، فيقول: «لهم هذا هاد يهديني الطريق»، وهم يظنون أن مراده بالطريق الحسية، وهو أراد الطريق المعنوية، فهم فهموا فهما، وأبو بكر أراد فهما آخر، وفي رواية «يهديني السبيل» وهو بمعنى الطريق، والطريق على وزن فعيل وهو بمعنى مفعول، سمي بذلك لكثرة طروق أقدام الناس فيه، والسبيل سمي بذلك؛ لأنه تمر به السابلة، وهي جماعة من الناس؛ ولذا سمي الملازم للسبيل ابن السبيل قال تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠].

قال تعالى: ﴿قَالَ﴾ أي موسى ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ فقد روي عن ابن عباس أن الله هداه إلى الطريق بأن أرسل إليه ملكا، وقيل: إن الله ألهمه الطريق، وأغناه عن الأكل والشرب، وقواه على المسير على الأقدام.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ أي: جماعة من الناس أمرهم واحد، قال تعالى: ﴿يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾... الآية.

■ الدرس الثامن والثلاثون بعد المائة[1]

تفسير الآيات ٢٥ ـ ٢٨ من سورة القصص

قوله تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: ٢٨].

قال تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ﴾ أي موسى ﴿إِحۡدَىٰهُمَا﴾ أي: إحدى البنتين، واسمها صفورا مرسلة من أبيها ﴿تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ وذاك لأنها كانت لا تنظر إليه، وإذا كلمها طأطأت رأسها إلى الأرض، فبينما هو يمشي وراءها إذ كشفت الريح ساقها، فجعلها وراءه ومشى أمامها، قال عمر بن الخطاب: «ليست هذه البنت بِسَلْفَع»، أي: امرأة جريئة في الكلام، ﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي﴾ وهو نبي الله شعيب ﴿يَدۡعُوكَ﴾ أي يطلبك ﴿لِيَجۡزِيَكَ﴾ أي: يعطيك أجرة على سقيك لنا، فقال لها إنا أهل بيت لا نأخذ على فعل الإحسان شيئا؛

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الخميس ١٣٧٩/١١/٢هـ.



لأنه سقى لها، ولم يقصد أجرة، فكيف يأخذ منها أجرة بعد ذلك، وكان موسى جائعا أشد الجوع، وقالت له: وقد جاء إلى بيت أبيها إن هذا ليس أجرا ولكنها استضافة، يعني إن أبي يدعوك لتكون له ضيفا، فمشى ومشت أمامه، فكشفت الريح ردفها، فقال لها: امش ورائي ودليني على الطريق، فلما دخل موسى بيت شعيب وجد العشاء مهيئا، فقال: أعوذ بالله إنا أهل بيت لا نأخذ الأجرة على فعل الإحسان، فقال له شعيب: «لا والله إن هذا ليس بأجر ولكنا أهل بيت نكرم الضيف»، فجلس عند شعيب ثلاثة أيام وهو لا يسأله عن أي شيء، فلما مضت الأيام الثلاثة سأله عن قصته فأخبره، فقال له ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ وهي التي دعته ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ﴾ أي: استعملت ﴿الْقَوِيُّ﴾ لأنه حمل الصخرة من فوق البئر بيد واحد، ولا يحملها إلا أربعون رجلا ﴿الْأَمِينُ﴾ أي: لأنه أمرها بالمشي وراءه لما رأى الريح كشفت ردفها.

اعلم أنهم اختلفوا في اسم هذا الرجل أبو البنتين، فقيل: إنه نبي الله شعيب، وعليه جمهور العلماء، وقيل: إنه رجل آخر اسمه شعيب وليس بنبي، وقيل: إنه رجل آخر اسمه بثرون.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ﴾ [القصص: ٢٧] وهن صفُورَا ولَيَّه.

واستدل الإمام أبو حنيفة بهذه الآية على أنه إذا قال الشخص لآخر بعتك أحد هذين العبدين بكذا صح خلافا للأئمة الثلاثة، واستدل أيضاً



الإمام أبو حنيفة على صحة النكاح إذا قال الولي زوجتك إحدى بنتي هاتين، فللزوج أن يختار أحدهما، وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما يناقضه.

وأما عند الجمهور إذا قال الشخص بعتك هذه السلعة ثمنا حاضرا بعشرة أو مؤجل بخمسة عشر فلا يصح في ذلك؛ لأنه ﷺ «نهى عن بيعتين في بيعة»[1]، والطريق في صحة ذلك أن يتواطآ قبل عقد البيع بالثمن الحاضر والمؤجل، ثم يعقدان البيع بأحدهما فقط.

واستدل الإمام أحمد بالقصة على جواز الاستئجار لأجير بالطعام أو بالكسوة.

قال تعالى: ﴿أَن تَأْجُرَنِي﴾ أي: تؤجرني نفسك ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾ أي: سنين ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: سنين ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ قال الإمام: غالب الظن أن موسى تمم عشر سنين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «سألت جبريل عن أي الأجلين قضى موسى، فقال: عشر سنين» أخرجه ابن أبي حاتم، وروي أن رسول الله ﷺ سئل عن أي الأجلين قضىٰ موسى أثمان سنين أم عشر؟ فقال: لا أدري، فسأل جبريل فسأل رب العزة، فقال له: قضى أشق الأجلين إن رسولي إذا قال فعل.

وروى ابن شعيب مرفوعا أن شعيب عمي بصره فبكى، فرد الله عليه بصره، ففرح حتى عمي ثانياً فبكى، فرد الله عليه بصره، ففرح

(١) أخرجه الترمذي في كتاب أبواب البيوع باب ما جاء في النهي عن البيعتين في بيعه برقم ١٢٣١، والنسائي في كتاب البيوع برقم ٤٦٣٢، وغيرهما.



فبكى حتى عمي فبكى، فرد الله عليه بصره، فقال له ربه: ما هذا البكاء يا شعيب أشــوقا إلى الجنة أم خوفاً من النار؟ فقال له لا... وإنما ذلك شــوقٌ للقائك، فقال له ســيكون لك لقائي، ثم قال لــه أما ترضى أن أخدمت لك كليمي موسى.

ولما أراد موســى الذهاب طلب من شعيب عصاً يذب بها الذئاب، فأعطاه عصا، وقال لــه: هذه عصا آدم التي نزل بها مــن الجنة فأخذها معه، وهي التي انقلبت حية في قصة فرعون. اهـ.

تفسير الآيتين ٢٩ ـ ٣٠ من سورة القصص

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ أي: الشرط الذي بينه وبين شعيب، والغالب وهو الذي ينبغي أن يقطع به لورود الحديث بذلك أن موسى أكمل أبعد الأجلين، وهو اللائق بكرمه ووفائه يعني عشر سنين، وكان يرعى الأغنام، وفي ذلك حكمة؛ لأنه ما أرسل الله رسولاً ولا نبأ نبياً إلا وقد رعى الأغنام؛ وذاك ليترقى من تربية الأغنام إلى رعاية الأنام.

واعلم أن «قضى» تأتي لمعان فتأتي بمعنى القضاء أي الحكم قال تعالى: ﴿يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠]، وتأتي بمعنى القدر قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ [سبأ: ١٤] أي قدرنا، وتأتي بمعنى أكمل الشيء، ومنه

---

(١) كُتب هذا الدرس: ليلة الأربعاء ١٣٧٩/١١/٨هـ.

قولــه تعالــى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾، وتأتي بمعنى أتى بالشــيء في غير وقته، ويقابله معنى الأداء، وتأتــي بمعنى ما لم يدركه المأموم مع الإمام، وتأتي بمعنى بَيَّــنَ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٤] أي بَيَّنَا.

قال تعالــى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ إلى مصر، وفي هذه الآية فوائد:

١ ـ وجوب الوفاء بالشرط.

٢ ـ إن من ســافر وطلب أهلــه ينبغي أن يُمَكَّن مــن ذلك إلا إذا خيف على الزوجة من الفتنة فلا يُمَكَّن منها.

ومما يحكى أن رجلا طالــب علم جاء إلى الإمام أبي حنيفة، وقال له: «أريد أن تزوجني بنت فلان التاجر»، فقال له الإمام أبو حنيفة: «أنت طالب علمٍ لا تصلح لك وهذه بنت تاجر»، فقــال الطالب إنني مررت ذات يوم ببيتها فرأيتهــا في النافذة فتعلق قلبي بها، فقــال له: «أنا أكلم أباها»، فكلمه فقال له «مرحبا ولكن مهرها مهر أمثالها»، فقال له «كم»، فقال «عشــرة آلاف»، وكان بيد الطالب ألف فقط فقال لهم ألف معجل والباقي مؤجل، فتزوج بها وتمتع بها، فلما قرب الأجل جاء إلى الإمام فقال له «أعزم على الســفر وأظهر أنك تريد أخــذ البنت معك»، فعزم على الســفر فجاء أهل البنت إلى الإمام، فقال لهم: إنَّ عليه لكم باقي من المهر فدعوه يســافر حتى يجمع الدين الذي عليه فأســقطوه عنه، فبقى مصرا على الســفر، فأمر الإمام البنت أن تقــر بدين عليها لرجل،

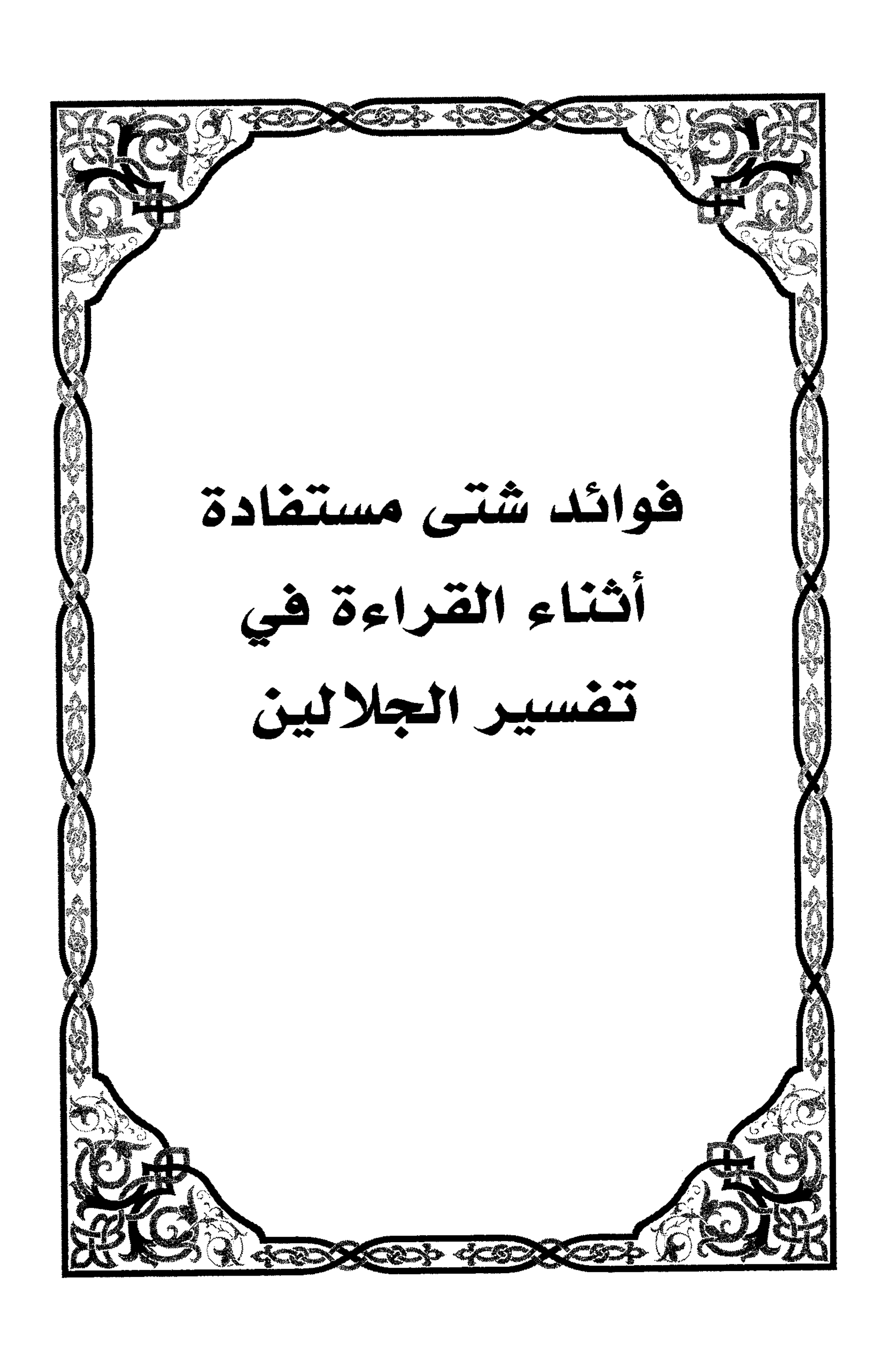
ومنعها ذلك المدين من السفر، فقال الرجل للإمام: يا إمام إن شئت عقدتها وإن شئت حللتها.

قال تعالى: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ وهو جبل ﴿نَارًا﴾ أي تتقد في شجرة ولا تحرقها، وذاك؛ لأنه لما توجه من مدين هو وأهله في ليلة شاتية باردة مظلمة فظل الطريق فرأى نارا ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ هنا حتى آتيكم من هذه النار بقبس تتدفؤون به، فلما ذهب إلى النار رأى شجرة تلتهب فيها النار ولا تحرقها وقد بلغ لهب تلك النار إلى السماء قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ الشاطئ للنهر، وللنهر شاطئان أحدهما يميني والآخر شمالي ويعرف ذلك بالتوجه إلى منبع النهر، وأما البحر فله ساحل ويقال له سِيف، قال تعالى: ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وفي هذه الآيات فوائد:

١ ـ إن لكل شيء سبباً فهذه النار كانت سبباً لتكليم الله ﷻ لموسى.

٢ ـ إن الوحي منه ما يكون بواسطة ومنه ما يكون بغير واسطة... إلخ ما قال. اهـ.

انتهت الدروس المتوالية في تفسير القرآن



فوائد شتى مستفادة أثناء القراءة في تفسير الجلالين

هذه فوائد شتى مستفادة أثناء القراءة في تفسير الجلالين بمكة المكرمة على السيد الإمام العالم العلّامة الحبر الفهّامة علوي بن عباس المالكي نفع اللّٰه به آمين ابتداءً من تاريخ ١٩/٧/١٣٧٦هـ

«**فائدة**»: العرب ثلاثة أقسام:

١ ـ العرب البائدة، وهم الذين هلكوا، وانقطعت أخبارهم، ولم يصل إلينا من أخبارهم إلا ما ورد في القرآن الكريم وغيره من الكتب القديمة القليلة، ومنهم عاد وثمود وطسم وجديس والكلدائيين والفينيقيين والأشوريين والحيثيين وغيرهم.

٢ ـ العرب العاربة، وهم الذين ينسبون إلى يعرب بن قحطان، وقد ظهروا في اليمن.

٣ ـ العرب المستعربة، وهم الذين ينسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم خليل الله عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، وذلك بعد ما تعلم إسماعيل العربية من جرهم الثانية في الحجاز بعد أن تزوج عندهم، وكان يتكلم بالعبرانية، ومنهم قريش.

«**فائدة**»: الأدلة على وجود الجنة والنار خلافا للمعتزلة:

١ ـ حديث أوّل ليلة من رمضان.

٢ ـ قصّة امرأة أبي لهب.



٣ ـ إخبار النبي بلالاً أنّه سمع دف نعليه.

٤ ـ سماعُ الصحابة وَجِيباً.

٥ ـ سكنى آدم وحواء الجنّة.

٦ ـ دخول النبي ﷺ إيّاها ليلة الإسراء والمعراج.

٧ ـ تخاصم الجنّة والنار، فقالت الجنّة والنار كذا.

«فائدة»: قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣] دليل على أنّ الكافر إذا نشر من قبره يصور له عمله السيء في أقبح صورة، فيقول: من أنت قبحك الله؟!، فيقول له: أنا عملك السوء، طالما ركبتني في الدنيا، واليوم أركبك.

«**فائدة**»: قال النابغة الذبياني:

فَإِنَّكَ شَمسٌ وَالمُلوكُ كَواكِبٌ ... إِذا طَلَعَت لَم يَبدُ مِنهُنَّ كَوكَبُ

«فائدة»: قال القائل:

وروح الأعمال هو الإخلاص ... فلا يصح دونه الخلاص

فأخْلِص الأعمال، وحرّر القصد له تعالى. اهـ تقرير.

«**فائدة**»: الصحيح أنّ عدد الأنبياء والرسل لم يعلم، فعددهم مجهول، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، وقال بعضهم: إنّ عدد الأنبياء مائة ألف وأربع وعشرون ألفاً، وعدد الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر عند ابن حجر، وقال الرملي: وأربعة عشر، وقيل: وخمسة عشر. اهـ ذكر الأخير في حاشية السقاف على فتح المعين.



«**فائدة**»: حديث: «لا يتناجى اثنان ومعهم ثالث إلّا بإذنه» وهل الاستئذان واجب أم سنّة؟ يراجع، والنجوى هو الكلام السرّ بين اثنين. اهـ. تقرير.

«**فائدة**»: قال القائل:

ولكن في العيان لطيف معنى   له طلب المشاهدة الكليمُ

«**فائدة**»: قال بعض السلف: ما طلب أحد مطلباً لأحد كطلب موسى لهارون عليهما السلام، فإنّه طلب له النبوّة والرسالة، وهارون أكبر من موسى، وموسى أكبر منه علماً ومقاماً. اهـ. تقرير.

«**فائدة**»: قيل: إنّ النبي ﷺ رأى مع سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحائف، فقال له: ما هذا يا عمر؟!، قال له: هذه صحائف من التوراة أطالعها يا رسول الله، فتغيّر وجهه ﷺ، وقال: «والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لو كان موسى حيّا ما وسعه إلّا اتّباعي». اهـ تقرير.

«**فائدة**»: قال بعض المفسّرين: بيوت النبوة ثلاثة:

بيت آدم عليه السلام، ومنه الأنبياء إلى نوح عليه السلام.

وبيت نوح عليه السلام، ومنه الأنبياء إلى إبراهيم عليه السلام.

وبيت إبراهيم عليه السلام، ومنه الأنبياء إلى نبينا سيدنا محمد ﷺ، فجميع الأنبياء وإن كثروا مرجعهم إلى هؤلاء البيوت، وقد ذكرهم الله في هذه الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [مريم: ٥٨]. اهـ. تقرير.

«**فائـــدة**»: فـــي ترجمة الإمـــام صالـــح المزنـــي «صاحـــب الإمام الشافعي رضي الله عنهما» أنَّه رأى رســـول الله ﷺ في المنام، فقال له: يارسول الله ألا أقرأ عليك القرآن، فقال له: اقرأ، فقرأ حتّى أكمل، فقال له رسول الله ﷺ: يا مزني هذه القراءة، فأين البكاء، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: ٥٨]. اهـ. تقرير.

«**فائدة**»: معنى قولـــه: ﴿عَدْنٍ﴾ في قوله ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [مريـــم: ٦١] أي: الإقامة؛ فإنّ المؤمنين إذا دخلوها لا يخرجون منها أبدا. اهـ. تقرير.

«**فائدة**»: قال القائل في أن خلف الوعـــد لا ينبغي أن يكون بخلاف خلف الوعيد فقد يكون:

وَإِنِّـــيَ إِن أَوعَدتُـــهُ أَو وَعَدتُـــهُ ... لَمخلف إيعادي وَمنجِزُ مَوعِدي

«**فائدة**»: قال القائل:

لقـــاء الناس ليـــس يفيد شـــيئا ... ســـوى الهذيـــان من قيـــل وقال

فاقلـــل مـــن لقـــاء النـــاس إلّا ... لأخـــذ العلـــم أو إصـــلاح حال

«**فائدة**»: روي أنّه لما نزل قولـــه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، جاء ســـيدنا أبو بكر الصدّيق، وقال: يا رســـول الله، ما جعل الله لـــك أمرا من أمور الخير إلّا وجعل لأمّتـــك نصيبا منه، فأين نصيبنا من هـــذا، فنزل قوله تعالـــى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، فما أعظمهـــا من مزية لهذه الأمّة أنّ الله يصلّي عليهم وملائكته. اهـ. تقرير.



«**فائدة**»: قوله تعالى في القرآن في وصف أهل الجنة: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، فالبكرة أوّل النهار، والعشيّة آخره، ولم يذكر ما بينهما؟!.

الجواب: أنّه من باب التسامح فما بينهما يندرج؛ ولأنّ عادة العرب ذكر طرفي الشيء وحذف ما بينهما.

«**فائدة**»: الجنّة لغةً: البستان، وهي مأخوذة من جنَّ يجنّ جنًّا ومجنّة، وهي تطلق على الستر: كالجنّ؛ فإنّهم مستورون عنّا كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾... الآية [الأعراف: ٢٧]، ومنها: الجنون وهو استتار العقل، ومنها: بركة ماجن التي بأسفل مكّة، والعوام تسمّيها بركة ماجد. اهـ. تقرير.

«**فائدة**»: قال الحافظ ابن حجر: إنّ سيدنا جبريل نزل على النبي ﷺ أربعة وعشرين ألف مرّة. اهـ. تقرير.

«**حكاية**»: يحكى أنّ رجلاً من قريش يسمّى عاصي، وهو كاسمه عاصي، رأى جمجمة رأس إنسان قد مات، وكانت قد تقطّعت وتفتّت، فتعجّب منها، وحملها إلى دار الندوة، وفيه كفار قريش، فأراهم إيّاها، ثمّ نادى: يا محمد، أتزعم أنّ ربّك يحيي هذه الجمجمة، ويعيدها إنسانا، فقال ﷺ: نعم، إنّ ربّي على كل شيء قدير، فأعاد له السؤال ثانيا، فأجاب كالأول، فنزل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ



ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس].

«**فائدة**»: قيل: اجتمع رجل برجل دهريّ، فقال الرجل للدهري: إن كنت تزعم أنّه ليس هناك قيامة ولا حساب، فأنا وأنت ناجون، وإن كان هناك قيامة وحساب ونار، فأنا ناجٍ، وأنت لست بناجٍ، فأنا ناجٍ في كلا الحالتين، وأنت ناجٍ في حالة واحدة.

«**فائدة**»: قيل: بينما عبد الله بن رواحة واضع رأسه في حجر زوجته، بكىٰ، فبكت لبكائه، فقال: ما يبكيك؟، فقالت له: بكيت أنت فبكيت أنا، فقال لها: إنّي تذكّرت قول الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١]، ولا أدري أأنْجو منها أم لا ؟!.

وقيل: إنّ أبا ميسرة كان إذا آوى إلى فراشه يصيح، ويقول: ليتني كنت نسياً منسياً، ليت أمّي لم تلدني، فقيل له: في ذلك، فقال: أُخْبِرْنَا أنا واردوها أي: النار، ولم نُخْبر أنا صادروها.

وقيل: إنّ الحسن البصري رأى شاباً يضحك بملءِ فِيه، فقال: يا فلان، ألم تُخْبَر أنّك وارد إلى النار، فقال له: نعم، فقال له: أَوَ أخبرت أنّك صادر عنها، فقال: له: لا، فقال له الحسن البصري: وكيف تضحك؟، قال: فما رؤي الشاب بعد ذلك ضاحكاً أبداً حتّى لَحِق بربّه. اهـ. تقرير.

«**فائدة**»: النادي هو مجتمع القوم للمشاورة، تقول: ندوت القوم إذا جمعتهم، ومنه دار الندوة: البيت الذي تجتمع فيه قريش للمشاورة.

«**فائدة**» قيل: إنّ اليهود قالــوا: لا يدخل الجنّة إلّا من كان يهُودياً، فردّت عليهم النصارى، وقالوا: إنّه لا يدخل الجنّــة إلّا من كان نصرانيًا، فأنزل الله ردّا عليهم: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١]. اهـ. تقرير.

وشــبيها بذلك: ما يحكى أنّ أعرابيّاً قدم إلى رسول الله ﷺ وأسلم، ثمّ جلس في المسجد يستمع إلى حديث المصطفي ﷺ فحضره البول، فقام وكشف عورته وبال في المســجد مع حضوره ﷺ وأصحابه، فقام الصحابــة ليضربوه وليزجروه، فزجرهم ﷺ وأشــار إلى الأعربي أن تمّ بولك، وقد ارتعد الأعربي وفزع، فلمّا فرغ من بوله أمر ﷺ بذنوب ماء أن يصب على مكان النجاســة، ودعا الأعرابي، وقال له: «إنّ المساجد أمر الله بتطهيرها فلاتنجســوها»، ثمّ قال الأعرابي وهو يرتعد من الفزع من الصحابة: يا محمــد أدخلني الله وإيّاك الجنّــة ولا أدخل واحدا من أصحابك، فتبسّم ﷺ وقال له: «لقد حَجَّرْت واسعاً». اهـ. تقرير.

«**فائدة**»: الشيء الكثير يقال له: أثيث، كما ما قال:

وفرع كجنح الليل أســود فاحم　　　أثيــث كقلــم النخلــة المتعقب

«**فائدة**»: قيل: إنّــه لمّا نزل قوله تعالــى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملـك: ٣٠]، فقال عاصم بن وائل ـ وكان كافراً ـ: تأتي به الفــوس والمعاول، فلمّا فرغ من تلك القولة ضربه عرق شــجرة في عينيه وأخرجهما حتّى سال ماؤهما، وســمع هاتفا يقول له: أين الفوس والمعاول حتى ترد ماء عينيك. اهـ تقرير.



«**فائدة**»: قال القائل:

لا تنظــرن إلى القصــور العالية	واذكر عظامك حين تمسي بالية
وإذا رأيــت زخــارف الدنيا فقل	لَـٰهُــمَّ إنّ العيش عيــش الآخرة

«**فائدة**»: قال القائل:

ولو خطَرَت لي في سِــواكِ إرادةٌ	على خاطري سَهواً قضيتُ بِرِدَّتِي

«**فائدة**»: للتقوى ثلاث مقامات:

(الأوّل): تقوى العوام، وهي الإيمان.

(الثاني): تقوى الخواص، وهي امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

(الثالث): تقوى خــواص الخواص، وهي امتثــال الأوامر واجتناب النواهي مع الإحسان.

وقد بيّن الله ذلك في آية واحــدة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

«**فائدة**»: ينقســم القرآن إلى فاضل ومفضــول؛ فالفاضل هي الآيات المتعلّقة بالله تعالى، كآية الكرســي، والمفضول هــي الآيات المتعلّقة بغيره تعالى، كسورة المسد، وقد نظّم ذلك الإمام الزمزمي:

والسُّــورَةُ الطائِفَــةُ المُتَرْجَمَــةْ	ثَــلاثُ آيٍ لأَقَــلِّــهــا سِــمَــةْ
والآيــةُ الطائفــةُ المَفْصُولَــةْ	مِــنْ كَلِمَــاتٍ مِنْــهُ، والمَفْضُولَةْ
مِنْــهُ على القَــولِ بــه كَـ«تَبَّتِ»	والفاضِــلُ الَّــذْ مِنْــهُ فيــهِ أَتَتِ



والآية لغـــة: العلامة، واصطلاحا: هي الطائفة مـــن الكلمات القرآنية المفصول بينها بفاصل. اهـ. تقرير.

«**فائدة**»: ســـورة الفاتحة قيل: إنّها مكية، وقيل: إنّها مدنية، وقيل: إنّها نزلـــت مرتين، مرة بمكة، ومـــرة بالمدينة، وبهذا يجمـــع بين القولين، وقيل: إنّ نصفها مكي والنصف الآخر مدني.

والمكي: ما نزل قبل الهجـــرة، والمدني: ما نـــزل بعدها، وقد نظم الزمزمي ذلك بقوله:

مَكِّيُّــهُ مـــا قَبْـــلَ هِجْــرَةٍ نَــزَلْ	والمَدَنِــيْ مَا بعدها، وإِنْ تَسَــلْ
فَالمَدَنِــيْ أَوَّلَتــا القُـــرْآنِ مَعْ	أَخِيْرَتَيْــهِ، وكــذا الحَــجُّ تَبَــعْ
مائِــدَةٌ، مَــعْ مَــا تَلَــتْ، أَنْفَالُ	بَـــراءَةٌ، والـــرَّعْــدُ، والـقِـتَـالُ
وتَالِيَاهــا، والحَدِيْــدُ، النَّصْــرُ	قِـيـامَــةٌ، زَلْـــزَلَـــةٌ، والــقَــدْرُ
والنُّورُ، والأَحْـزَابُ، والمُجَادِلَةْ	وَسِـــرْ إلى التَّحْرِيْمِ وَهْيَ داخِلَةْ
ومـــا عَــدا هَــذا هُـــوَ المَكِّيُّ	على الَّـــذي صَــحَّ بهِ المَــرْوِيُّ

«**فائدة**»: أخرج الحافظ عماد الدين ابن كثيـــر من طريق ابن خزيمة حديثا سنده ضعيف، وهو «إنّ الله ﷻ قرأ سورة طٰه ويسٓ قبل أن يخلق آدم بألف عامّ، فلمّا ســـمعت الملائكة ذلك، قالت: طوبى لأمّة ســـينزل عليها، وطوبى لأمة تتلو ألســـنتهم هذه الآيات، وطوبى لأجواف تحمل وتحفظ هذه الآيات. اهـ تقرير.

«**فائدة**»: إذا كانت الســـورة فيها آيات مكية ومدنية فالعبرة بالأغلب، فإن كانت أكثر الآيات مكية فهي مكية، وإلّا فمدنية. اهـ. تقرير.



«**فائدة**»: الفرق بين التعبير بـ«أَنْزَلَ» و«نزّل» أنّ الأول لما ينزل دفعة واحدة، كما يقال أنزل التوراة والإنجيل والزبور، والثاني لما ينزل مرتّبا كالقرآن، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ**﴾ [آل عمران: ٣].

وإذا أتت في القرآن «أَنْزَلَ» فهو بالنسبة إلى التنزيل الإجمالي من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا، وإذا جاءت «نزّل» فهي بمعنى الإنزال التفصيلي.

«**فائدة**»: قال بعض الأئمة: أعظم حديث ورد في فضل العلماء ما روي عن النبي ﷺ أنّه قال: «إذا أراد الله حساب عباده قال للعلماء: ما جعلت حكمتي في صدوركم إلّاوإنّي أغفر لكم على ما فعلتم ولا أبالي». اهـ. تقرير.

«**فائدة**»: قوله تعالى في القرآن: ﴿**هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ٢] فإنّه خصّ الهداية بالقرآن للمتّقين، وقد قال في الآية الأخرى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ**﴾ [البقرة: ١٨٥] فإنّه هنا عمّ الهداية بالقرآن بجميع الناس فما الجواب عن ذلك؟، ونظير ذلك: قوله تعالى في سورة طه: ﴿**إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ**﴾ [طه: ٣].

الجواب: والله أعلم، إنه إنّما خصّ الهداية والتذكر في القرآن للمتّقين والذين يخشون الله تشريفاً لهم؛ ولأنّهم هم الذين اهتدوا به وتذكروا به؛ فلذا خصّصوا بالذكر، وإلّا فالهداية والتَّذَكُّرُ في جميع الناس. اهـ تقرير.

«**فائدة**»: نظم بعضهم الأشياء التي نزل بها آدم من الجنّة فقال:



وآدم معــه أنزل العــود والعصا | لموسى من الأسّ النبات المكرم
وأوراق تيــن واليــميــن بمكة | وخاتم سليمان النبي المعـــظّم

فقوله: «العــود» المراد به عــود البخور، وقولــه: «واليمين بمكّة» المــراد به: الحجـر الأســود، وورد في الحديــث: «إنّ نقــش خاتم سليمان: ســليمان، لا إله إلّا الله محمد رسول الله» اهـ حاشية الصاوي ج٣ ص٣٥٣ في ســورة ص عــن تفســير قوله تعالــى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾... الآية [ص: ٣٤].

«بيتان»: قال القائل:

تأمّــل فــي الوجود بعيــن فكر | تــرى الدنيــا الدنيــة كالخيــال
ومن فيهــا جميعاً ســوف يفنى | ويبقى وجــه ربّــك ذو الجلال

اهـ حاشية الصاوي ص ٢٤١ ســورة العنكبوت قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

«بيت»: قال أبو نواس:

يَــزيــدُكَ وَجــهُــــــهُ حُسناً | إِذا مــــا زِدتَـــــــهُ نَــظَــرا

«فائدة»: اسم أم نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُوْحَان اهـ تقرير.

«بيتان»: قال القائل:

أيهــا المقتــدي لتطلــب علمــا | كل علــم عبــد لعلــم الــكلام
تطلب الفقه كــي تصحح حكماً | ثــم أغفلــت منــزل الأحــكام

«بيت»: قال القائل:

إنـــمـــا دنـــيـــاك ســاعــة فــاجـعــل الـســاعــة طـاعــة

«**فائدة**»: الأنبياء لم يورثوا النبوة ولا المــال، وإنما ورثوا العلم. اهـ تقرير.

«بيت»: قال القائل:

ما مضـى فــات والمؤمل غيب ولــك الســاعة التي أنــت فيها

«بيت»: قال القائل:

لِسانُ الفَتى نِصفٌ وَنِصفٌ فُؤادهُ فَلم تَبقَ إِلّا صــورَةُ اللَّحمِ وَالدَّمِ

«**فائدة**»: كان ســيدنا الحســن البصري رَحِمَهُ اللهُ إذا رأى أهــل الصنائع كالحدادين والجزارين يقول رضي الله عنه: جزى الله عنا هؤلاء خيراً قاموا بفرض الكفاية عنا، فلولا أنهم قاموا بها فمن يقوم بها؟!. اهـ تقرير.

«**فائدة**»: قال سيدنا حسان بن ثابت في غزوة من الغزوات هذا البيت وهو:

وَقــالَ نَبِــيُّ المُؤمِنيــنَ تَقَدَّمــوا وَحُــبَّ إِلَينــا أَن نَكــونَ المُقَدَّما

«حكايــة»: قيل: إن رجــلاً رأى أحــداً مرتكباً لمنكــر، فزجره ذلك الرجل، وقسى عليه، وأغلظ عليه القول، فقال الرجل المرتكب للمنكر للرجل الواعظ: مهما كنت أنا عاصياً مذنبا أفعل المحرمات لا أكون مثل فرعون، وقد ادعى الربوبية، ومهما كنت أنــت واعظاً وزاجراً لا تكون مثل موسى، وقد قال الله له ولأخيه هارون ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾



﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٣ ـ ٤٤]، وأنت لماذا تأتيني بقول غير لين.

«حكاية أخرى» قيل: إن عالماً من العلماء سُئِلَ عن سؤال في مجلس، فلم يقدر على الجواب، وكان في المجلس رجل حقير، فقام وأجاب عن المسألة بجواب شافي، فحسده ذلك العالم، فقال له الرجل: اسمع أيها العالم إنك مهما كنت عالما لا تبلغ في العلم كنبي الله سليمان، وإنني مهما كنت حقيرا فلا أبلغ في ذلك درجة الهدهد، وقد قال الله فيه لنبيه سليمان ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]. اهـ. تقرير.

«أبيات» قال القائل:

الصَّبُّ رَبِّ مُحِبُّ ... نَوالُهُ مِنكَ عُجبُ
عَذابُهُ عِندي عَذبٌ ... وَبُعدُهُ عَنكَ قُربُ
وَأَنتَ عِندي كَروحي ... بَل أَنتَ مِنها أَحَبُّ
وَأَنت لِلعَينِ عَينٌ ... وَأَنتَ لِلقَلبِ قَلبُ
حَسبي مِنَ الحُبِّ أَنّي ... لِما تُحِبّ أُحِبُّ

«**فائدة**»: كانت معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمناسبة ما اشتهر في زمانهم، فنبي الله صالح عليه السلام لما أن قومه يحبون الإبل ومشغوفون بألبانها؛ كانت معجزته إخراج الناقة من الحجرة، ونبي الله عيسى عليه السلام بعث في زمان اشتهر فيه الأطباء، وترقوا في ذلك؛ صارت معجزته أنه يبرىء الأكمه والأبرص، ويحي الموتى، وجملة من أبرأ

عماه من المخلوقين حتى صار بصيراً ثلاثة آلاف رجل، وجملة من أزال كمهه خمسة آلاف رجل، وكان لا يبرئ ذلك من أحد حتى يشترط عليه أن يسلم. اهـ. تقرير.

«بيت»: قال المتنبي:

لا تشتري العبد إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاس مناكيد

«بيتان»: قال المتنبي:

إذا أَنتَ أَكرَمتَ الكَريمَ مَلَكتَهُ ... وَإِن أَنتَ أَكرَمتَ اللَّئيمَ تَمَرَّدا
وَوَضعُ النَدى في مَوضِعِ السَيفِ بِالعُلا ... مُضِرٌّ كَوَضعِ السَيفِ في مَوضِعِ النَدى

«**فائدة**»: قال أبو قاسم الجنيد لأصحابه: عليكم بالأدب مع الله ومع نبيه ومع العلماء، أما تنظروا إلى السحرة فإنهم لما تأدبوا ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾ [طـه: ٦٥] فبسبب هذا الأدب أكرمهم الله بالإسلام والجنة، وما كان من موسى لما تادبوا إلا أن كافأهم بجواب أدب مثل جوابهم، فإنه قال لهم ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ﴾ [طه: ٦٦]. اهـ. تقرير.

«بيتان»: في أن من آمن بالله بالدليل أقوى ممن آمن بالتقليد:

لو ذاق طعم الإيمان رضوى ... لكاد من وجده يحيد
هم حملوني ثقيل وجد ... يعجز عن حمله الحديد

«بيتان»: في لفظة حل:

مضارع حل اكسر وضم إذا أتى ... بمعنى النزول افهم وكن متأملا
وإن جاء بمعنى الفك فالضم لازم ... كذا العكس في ضدِ الحرام تحصلا



«**فائدة**»: المغفرة مأخوذة من غَفَرَ يَغْفِرغَفْرا، وهي الستر والحجب، فالمغفرة للأنبياء هي الحجب بينهم وبين الذنب بمعنى العصمة، والمغفرة لغيرهم هي الحجب بينهم وبين العقاب والعذاب، وتطلق المغفرة على الليل. اهـ.

«**بيتان**»: في سعة رحمة الله:

أنا مذنب أنا مخطئ أنا عاصي ... هو غافر هو راحم هو عافي

قابلتهن ثلاثة بثلاثة ... وستغلبنْ أوصافه أوصافي

«**فائدة**»: تطلق الفتنة على المال والولد كما هو ظاهر، وتطلق الفتنة أيضا على الإختبار، وذلك كأن تقول فلان وقع في الفتنة أي: الإختبار. اهـ تقرير.

«**بيت**»: قال أبو العلاء المعري:

لأنْسَيَنّكِ إنْ طالَ الزمانُ بنا ... وكمْ حَبيبٍ تَمادى عهدُه فنُسي

«**فائدة**»: يلغز فيقال: في أي موضع ذكر رسول في القرآن وليس بنبي؟.

الجواب: في سورة طه في قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦] فالمراد بالرسول هنا هو سيدنا جبريل عليه السلام. اهـ. تقرير.

«لطيفة» قيل: إن في زمن العز بن عبد السلام ولدت امرأة يهودية مولودا نصفه عجل ونصفه آدمي، فأخبروه به، فقال: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، رب زدني علما،



ووفقني للصواب، أما بعد: فإن الله أخبرنا في كتابه العزيز أن اليهود أشربوا العجل، فقال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣]. ولا يبعد أن يكون ذلك في ذرياتهم، وفيمن خالطهم وداخلهم. اهـ بمعناه. اهـ. تقرير.

«**فائدة**»: حديث قال النبي ﷺ: «اطلبوا الإسم الأعظم في هذه الثلاث السور: البقرة وآل عمران وطه، ففي سورة البقرة يقول ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي سورة آل عمران يقول ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]، وفي سورة طه يقول ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]».

قال العلماء: فاسم الله الأعظم هو «الحي القيوم»، وقيل: إنه «لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين»، وقيل: إنه «الله»، وقيل: إنه «لا إله إلا الله»، وقيل: إنه «يا الله»، وقال بعض العلماء: من أراد أن يدعو بدعاء جامع لاسم الله الأعظم فليدع بهذا الدعاء وهو «اللهم إني أسألك يا الله يا الله يا الله، لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين، يا حي يا قيوم، أن تقضي حاجتي...» وتدعو بما شئت، وقيل: إنه مخفي في أسماء الله الحسنى، فمن أراده فليدع بالأسماء الحسنى. اهـ. تقرير.

«فائدة»: لا يجوز ترجمة القرآن بغير اللغة العربية أبدا، وأما ترجمة أحكامه باللغات الأخرى فتجوز. اهـ.

«فائدة»: العلم هو قول الله وقول رسوله، وما سوى ذلك فهو وسوسة من الشيطان، كما قال ابن القيم في نونيته:

العلـم قـال الله وقـال رسـوله وسـواه وسوسـة من الشـيطان

«فائدة»: اختلف العلماء في الشـجرة التي نهـى الله آدم عن الأكل منها، فقيل: إنها شجرة التين، وقيل: العنب، وقيل الحب، وقال المحقق الأَلُوْسـي: فالحق عندي أنه لم يرد تعيينها؛ لأنه لا ثمـرة في تعيينها، ولم يعينهـا الله ولا نبيه، والأحاديث التـي وردت بتعيينها أسـانيدها ضعيفة. اهـ. تقرير.

«أبيات»: قال أحمد شوقي:

قُـم لِلمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَبجيـلا كادَ المُعَلِّـمُ أَن يَكـونَ رَسـولا
أَعَلِمتَ أَشرَفَ أَو أَجَلَّ مِنَ الَّذي يَبنـي وَيُنشِـئُ أَنفُسـاً وَعُقولا
سُـبحانَكَ اللَهُـمَّ خَيـرَ مُعَلِّـمٍ عَلَّمـتَ بِالقَلَمِ القُـرونَ الأولى
أَخرَجتَ هَذا العَقـلَ مِن ظُلُماتِهِ وَهَدَيتَـهُ النـورَ المُبينَ سَـبيلا

«**فائدة**» في أثر: «شاوروا النساء وخالفوهن». اهـ. بمعناه.

«**فائدة**» قال بعضهم: من نظر إلـى الخلق بعين الظاهر مقتهم كلهم، ومن نظر إليهم بعين الباطن عذرهم كلهم. اهـ. تقرير.

«**فائدة**» قال سيدنا شـعيب بن أبي مدين: «لو كنت أنا بدل آدم في الجنة، وعرفت أنني أهبط إلى الأرض، ويخـرج من صلبي محمد ﷺ لأكلت الشجرة كلها. اهـ. تقرير.

«بيت»: قال القائل:

إبـلـيـس كــان عــالِـمـاً كبيرا لــكــن أظــل عــالَــمـاً كثيرا

«لطيفة» قيل: إن رجلا كان مغرماً بلعن الشـيطان وسبه، فكان كلما قام وقعد يقول: لعن الله الشـيطان أو اللهم إلعنه، ونحو ذلك، ففي ذات يوم من الأيام نام تحت جـدار، فبينما هو نائم إذ جاءه رجل أشـيب، فأيقظه وقبل رأسه، وقال له: يا ابني قم من تحت هذا الجدار؛ فإنه ربما يسقط عليك، فقام، فلما بَعُدَ سقط الجدار حالا، فقال الرجل للشاب: ما هذه اليد التي اتخذتها عنـدي، فجزاك الله خير الجزاء، من أنت؟، فقال له: أنا الشـيطان، فقال: ولِمَ أيقظتني وأنا ألعنك وأسبك، فقال: خفت أن يسقط فوقك، فتموت شهيدا، وتدخل الجنة، فأيقظتك لعل عمرك يطول فتعصي أو تكفر، فتدخل النار، فقال له: لعنك الله. اهـ. تقرير.

«فائدة» قيل: إنه جاء ناس إلى سـيدنا جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشتكون إليه من القحط، فقال لهم: اسـتغفروا الله، فاستغفروا، فأمطرت السماء، ونبتت الأرض، وزال القحط، وجاءه آخرون يشتكون من كساد التجارة، فقال لهم: كالأول، وجاءه قوم يشـتكون موت أولادهـم الصغار، فقال لهم: كالأول، فقيـل له: في جميع ذلك، فقال لهـم: ألم تقرؤوا قول الله تعالـى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١١ ـ ١٢]. اهـ تقرير.

«فائدة» النُّهَى «بضم النون وتشديدها» جمع نُهيه، وهو العقل سمي بذلك؛ لأنه ينهى صاحبه عن إرتكاب القبيح. اهـ.

«بيت» في أن الماء العذب لا يضره أن يذوقه المريض مُرّاً:

وَمَـن يَـكُ ذا فَـمٍ مُـرٍّ مَريضٍ   يَجِـد مُـرّاً بِـهِ إلمـاءَ الـزُلالا



«حكاية في فضل الصلاة» قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: بينما أنا أمشـي في السـفر في قافلة عظيمة إذ ضاق وقت الصـلاة المفروضة، فناديت في أهل القافلة، وقلت لهم: يا معشر القوم إن الصلاة قد حضرت، وقد ضاق وقتها، فحطوا هنا حتى نتطهر ونصلي، ثم نسـير، فأطاعه القليل، وعصاه الكثير، وقالوا: ما بيننا وبين المحطة إلا هذا الوادي، قال: فنزلت أنا وعشرة أنفار، وتطهرنا وصلينا، ومشت القافلة، وأخذوا ركابنا معهم، فلما فرغنا من الصلاة قال بعضنا لبعض: قد مشـت القافلة فما نصنع؟، فقلت لهم: يا قوم استعينوا بالله، فإن من اشـتغل بأمر دينه كفاه الله أمر دنياه، قال: فمشـينا قليلاً وصعدنا على الثنية ونزلنا فـإذا جميع القافلة واقفة، فسلمنا عليهم، وقلنا: ما سـبب تأخركم؛ لأننا أبطانا كثيراً، قال: فقالوا لنا: إن القافلة اشـتبكت بعضها ببعض، فاشـتبك حبال أولها في آخرها، فما زلنا نفككها حتى الآن لم تتم، قال: فقلنا لهم: ألم نقل لكم انزلوا فصلوا، فإن أردتم تسهيل حلها قوموا فصلوا، قال: فقاموا وتطهروا وصلوا، فاستوت القافلة حالا كما كانت، فمشينا بحمد الله. اهـ.

«**فائدة**» ترتيب سور القرآن وآياته توقيفي من النبي ﷺ، وأما أسماء سـوره فواحد منها توقيفـي، والبقية اصطلاحية؛ لأن بعض السـور له أسماء كثيرة، وأما ترتيب أحزابه وأجزائه ونقطه وشكله فهو اصطلاحي.

«**فائدة**» السورة لغة: مأخوذة من السـوار في اليد؛ لأنه مشتمل على اليد، وهي مشتملة على آيات كثيرة، أو مشتقة من السَّوْرة، وهي الشدة والقوة؛ لاشتداد آياتها على الكافرين، قال النابغة الذبياني:

أَلَـم تَـرَ أَنَّ اللهَ أَعطاكَ سَـوْرَةً ... تَـرى كُلَّ مَلكٍ دونَهـا يَتَذَبذَبُ

وفي الإصطلاح هي: الطائفة من الآيات القرآنية مسماة باسم خاص. اهـ تقرير.

«بيتان» فيما لا يفنى بعد النفخة الثانية في الصور:

ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي ونار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

«**فائدة**» قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] ففي هذه الآية إشكال، وهو أنه كيف وصف القرآن بالحدوث ومع ذلك إنه كلام الله القديم؟.

الجواب عن ذلك والله أعلم: إنه يحتمل معنى قوله ﴿مُّحْدَثٍ﴾ لأحد معنيين: إما أن تقول معنى ﴿مُّحْدَثٍ﴾ أي: إن نزوله محدث، أو تقول إن الذكر يشمل السنة المحمدية، وهي حادثة، قال صاحب البردة:

آياتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثَةٌ قَدِيمَةٌ صِفَةُ المَوصوفِ بالقِدَمِ

«بيت»: قال القائل:

وإذا كتاب الله جاءك مادحاً كان القصور قصارى كل مديح

«بيت في صدقه ﷺ»:

لَو لَم تَكُن فيهِ آياتٌ مُبَيَّنَةٌ كانَت بَداهَتُهُ تُنبيكَ بِالخَبَرِ

«**فائدة**» شرط الرسول أن يكون بينه وبين المرسل إليه علاقة جامعة بأن يكون بشراً مثلهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩].

وحسبك أن الله اصطفاه واجتباه، فقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج: ٧٥]، ولهذا كان الكفار إذا نظروا إلى رسول الله نظروا إلى بشريته فقط، فتكون تلك البشرية حاجبة مانعة، ولذا قال قائلهم: أيترك خالدٌ وفلان وفلان وفلان من عظماء المشركين من الوحي وينزل على يتيم أبا طالب، فهذا كان حاجباً، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٨] أي: لا يبصرون نور نبوته، ونور جلالته، وإذا كان الناظر لك حاسدا بغيظا تبدلت المحاسن مساوياً، قال القائل:

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا

ويبكي ويضحك على عادة البشر ولكنه اصطفاه الله، وأنزل عليه الوحي، وجعل على يديه المعجزات، ولتنظروا واسألوا أهل الكتابين من أهل العصور الأول هل كان الأنبياء والرسل مثله، إنه جوهرة الكون، وواسطة عقد الإنسانية، السفير بين الله وعباده، المبلغ لرسالته، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

«فائدة» قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا ﴾ [الأنبياء: ٨] فالجسد اسم يطلق على المفرد والجمع. اهـ.

«حكاية» قيل: إنه نزل ببلدة طاعون، فخرج رجل من البلد على حماره مسرعاً حتى وصل إلى بلد أخرى، فلما نزل عن حماره وأخبر القوم بنزول الطاعون بتلك البلد نزل به الطاعون حالا، وسمع هاتفا يقول له: لم تسبق الله على حمارك. اهـ تقرير.



«بيتان»: قال أبو العتاهية:

وَفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ واحِدُ
وَلِلَّهِ في كُلِّ تَحريكَةٍ عَلَينا وَتَسكينَةٍ شاهِدُ

«**فائدة**» اعلم أن الهواء طبقات متعددة، والطبقة العليا لا يمكن الوصول إليها أبداً، فإذا وصلها أي إنسان أو حيوان أرضي مات وسقط، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فقد بيَّن الله لنا في القرآن الكريم هذا، ومن العجيب ممن يصنعون شيئاً من المخترعات كالقمر الصناعي أو الطائرات ويريدون أن يتوصلوا بها إلى القمر الرباني، فهذه المخترعات وإن صعدت في السماء آلافاً من الأقدام فلها حد محدود، فإذا وصلته لم تستطع أن تجاوزه، وربما أنهم يستصحبون معهم شيئاً من أكسجين يشمون منه الهواء إذا وصلوا إلى ذلك الحد، قلنا إنه يفنى حالا، فإن قيل: إنه يبقى فما أسرع من فنائه في مدة يسيرة، ولا عجب من اصطناعاتهم هذه الآلات، فإن هذا ألهمه الله إياهم فتنة عليهم حتى يتحققوا بضعفهم وعجزهم، كما قال تعالى في الآية السابقة ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥] والرجس أي: الفتنة، وإذا كانوا يزعمون أنه قمر صناعي يشبه القمر الرباني فليضيء لنا في آخر الشهر، ولله دار القائل:

أحساب النجوم أتيتمونا بمعلوم أرق من الهباء
علوم الأرض لم تصلوا إليها فكيف بكم إلى علم السماء



وقد يقال لأصحاب علوم هذا العصر:

أأصحـــاب العلـــوم أتيتمونـــا بمعلـــوم أرق مـــن الهبـــاء
علـــوم الأرض لم تصلـــوا إليها فكيف بكـــم إلى علم الســـماء

«فائدة» طبقات الجو:

- الطبقة الأولى: وهي المحيطة بنا، وتبلغ ســبعة أميال، وتســمى (ترابوســفير)، وفيها الرياح والسحب والمطر، وغير ذلك، وفيها غازات مختلفة من الأكســجين وغيره، ويرتفــع في هذه الطبقة السحاب إلى بضع مئات من الأقدام إلى نحو ميل، وإلى خمسة أو ستة من الأميال، وإذا وصل إلى طبقة مرتفة باردة أمطر الثلج.
- الطبقة الثانيــة: وهي فوق الأولــى، وتبلغ أيضا ســبعة أميال، وتســمى (ستراتوســفير)، وهــي طبقة ســاكنة لا شــيء فيها، ولا يخرج إليها شيء من الغازات الموجودة في الطبقة الأولى.
- الطبقة الثالثة: وتســمى طبقة الأوزون، وهو نوع من الأكسجين، وهذه الطبقة توجد على ارتفاع خمســة وعشرين ميلاً، وفائدتها أن الأوزون الموجــود فيهــا يمنع عنا أشــعة الشــمس النارية المضرة كالأشــعة التي فوق البنفســجية التي تقتلنا وتقتل كل حيوان، فسبحان الخالق الحكيم، وأما الأشعة النافعة فإنها تصل إلينا من خلال تلك المادة.
- الطبقــة الرابعة: وهــي توجد على بعد خمســة وســتون ميلا، وفائدتهــا عكس الموجات الصوتية، ومعنــى هذا أن الأصوات



ترتفع في الفضاء، فإذا وصلت إلى تلك الطبقة ردتها إلينا فسمعناها، وبسبب ذلك نسمع الأصوات من الراديو من مكان بعيد، وهي تعكس الصوت إلينا بسرعة نسبتها مائة وستة وثمانين ألف ميل في الثانية.

- طبقات أخرى: وجد على بعد مائتين وخمسين ميلاً طبقة أخرى ثانية عاكسة للأصوات، وارتفاعها ثلاثة ملايين، وهكذا عرفوا ثالثة.

«**فائدة**» المحال هو ما يستحيل وجوده، والواجب هو ما يستحيل عدمه، والممكن الجائز هو ما يمكن وجوده وعدمه.

وينقسم المحال إلى قسمين: المحال لذاته، والمحال لغيره.

فالمحال لذاته هو الذي يستحيل وقوعه عقلاً.

والمحال لغيره هو ما يستحيل بالنسبة إلى غيره، فمثلاً عصمة الملائكة من المعاصي، فوقوع المعصية من الملائكة جائز عقلاً، لكن لما عصمهم الله عنها صارت المعصية مستحيلة منهم، لكن لا لذاتها، وإنما هي لغيرها، وهي العصمة الربانية. اهـ.

«**فائدة**» الملائكة هم أجسام نورانية، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

واختلف العلماء في تصور الملك بصورة الآدمي أين يروح الزائد الذي فيه؟.

فقيل: إنه يفنـــى، وهو ضعيف، وقيـــل: إنه ينفصل عنـــه، فإذا تمت المحادثة بينه وبين النبي رجع إليه ما انفصل منه، واســتبعد هذا شيخ الإسلام، وقيل: إن الله ﷻ يحجب الزائد عن الناظر فيراه بصورة الآدمي، وقيل: إن الزائد يلفه الملك فيرى بصورة الآدمي. اهـ. تقرير.

«بيت»: قال القائل:

شَــرِبْن بِماءِ البَحرِ ثُـــمَّ ترَفَّعَت متى لُجَـجٍ خُضْــرٍ لَهُــنَّ نَئيجُ

«بيتان» في العام الباقي على عمومه:

وعَـــــزَّ إلا قـــولَــــهُ واللهُ وهــو بِــكُل، أي: عليــمٌ ذا هو
وقولَــهُ خلقكُــم مِــنْ نفــسٍ واحــدةٍ فخــذه دونَ لبــسِ

«بيت»: قال القائل:

فقُــلْ للشــامتينَ بِنَــا أَفِيقُــوا سَــيَلْقَىٰ الشــامِتُون كمــا لِقْينا

«بيت»: قال القائل:

وَإِذا أَتَتــكَ مَذَمَّتي مِــن ناقِصٍ فَهِــيَ الشَــهادَةُ لي بِأَنِّــيَ كامِلُ

«**فائدة**» إن قيل: كيف خلق الله الإنسان من عجل بدليل قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] فكيــف ينهاه عنه وقد خلقه منه، وآية النهي هي قوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧]؟.

الجواب والله أعلم: يقال للتراب عَجَلَهْ، ومنه قول الشاعر:

والنَبْعُ في الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ منبعُهُ والنخلُ ينبتُ بين الماءِ والعَجَلِ

فمراده بالعجل هنا التراب. اهـ تقرير.

«**فائدة**» أسلوب الحكيم هو: أن يصرف المسؤول السائل عن سؤال صعب ليس مناسباً له إلى جواب مناسب، فمثل ذلك إذا سألك أحد من العوام عن سؤال صعب عويص ليس مناسباً، فتقول له في الجواب: فروض الوضوء كذا، أركان الصلاة كذا، ونحو ذلك، ونظير ذلك لما سأل أحد الصحابة النبي ﷺ عن سبب نقصان الهلال في آخر الشهر وانعدامه، وزيادته في أول الشهر، فبقي النبي ﷺ منتظراً الوحي، فنزل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾... الآية [البقرة: ١٨٩]، فإنه أجابهم في الآية بجواب ليس على موجب سؤالهم. اهـ. تقرير.

«**أبيات**»: قال قس بن ساعدة:

فـي الـذاهـبـيـنَ الأَوَّلـيـ ـنَ مِـنَ القُـرونِ لَنـا بَصائِرِ
لَـمّـا رَأَيـتُ مَـوارِداً لِلمَـوتِ لَيـسَ لَهـا مَصـادِرِ
وَرَأَيـتُ قَـومـي نَـحـوَهـا تَمضـي الأَصاغِـرُ وَالأَكابِـر
لا يَرجِـعُ الماضـي وَلا يَبقـى مِـنَ الباقيـنَ غابِـر
أَيـقَـنـتُ أَنّـي لا مَـحـا لَـةَ حَيـثُ صـارَ القَـومُ صائِر

«**فائدة**» قال الشاعر أمية بن أبي الصلت، وكان ذلك قبل الإسلام:

إِلَـهُ العالَميـنَ وَكُلِّ أَرضٍ وَرَبُّ الراسِـياتِ مِـنَ الجِبـالِ
بَناهـا وَابتَنـى سَـبعاً شِـداداً بَـلا عَمَـدٍ يُرَيـنَ وَلا رِجـالِ
وَسَـوّاهـا وَزَيَّـنَـهـا بِـنـورٍ مِنَ الشَـمسِ المُضيئَـةِ وَالهِلالِ
وَمِـن شُـهُبٍ تَلألأُ فـي دُجاها مَراميهـا أَشَـدُّ مِـنَ النِصـالِ



وَشَـــقَّ الأَرضَ فَانبَجَسَت عيوناً وَأَنهـــاراً مِـــنَ العَـــذبِ الـــزُلالِ
وَبـــارَكَ فـــي نَواحيهـــا وَزَكَّـــى بِها مـــا كانَ مِـــن حَـــرثٍ وَمالِ
فَـــكُلُّ مُعَمَّـــرٍ لا بُـــدَّ يَومـــاً وَذي دُنيـــا يصيـــرُ إِلـــى زَوالِ
وَيَفنـــى بَعـــدَ جِدَّتِـــهِ وَيبلـــى سِوى الباقي المُقَدَّسِ ذي الجَلالِ
وَســـيقَ المُجرِمـــونَ وَهُـــم عُراةٌ إِلـــى ذاتِ المَقامِـــعِ وَالنَـــكالِ
فَنـــادوا وَيلَنـــا وَيـــلاً طَويـــلاً وَعَجّـــوا فـــي سَلاسِـــلِها الطِوالِ
فَلَيســـوا مَيِّتيـــنَ فَيســـتَريحوا وَكُلُّهُـــم بِحَـــرِّ النـــارِ صالِـــي
وَحَـــلَّ المُتَّقـــونَ بِـــدارِ صِـــدقٍ وَعَيـــشٍ ناعِـــمٍ تَحـــتَ الظِـــلالِ
لَهُـــم مـــا يَشـــتَهونَ وَمـــا تَمَنّوا مِـــنَ الأَفـــراحِ فيهـــا وَالكَمـــالِ

«حكاية» قيل: إن هارون الرشـــيد رأى رؤيا، ففرح بها، وسارعند جميع العلماء إلى بيوتهم، وأعطاهم شيئاً من المال حتى تمهم، وكلهم يثنون عليه ويشـــكرونه، فقال للفضل بن الربيع: من بقي من العلماء لم نزره، قال: بقي رجل لا يؤبه له وهو الفضيل بن عياض، فقال له هارون الرشـــيد: نسير إلى عنده، فســـارا إلى عنده حتى وصلا إلى تحت الباب بالليـــل، فدقا الباب، فقال: الفضيل من على البـــاب، فقيل: أمير المؤمنين هارون الرشـــيد، فقال لهم: ليس لي بأمير المؤمنين حاجة، فقالـــوا له: إن أمير المؤمنين يأمرك أن تفتح الباب، فقال: ليس لي به حاجة، فقال الفضل بن الربيع قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النســـاء: ٥٩]، فقـــال الفضيل: نعم لبيك اللهم لبيك، فخرج وفتح الباب، وأخذ معه شمعة تضيء له حتى فتح الباب، فرحب بهم، ثم اســـتأذنوا منه في الدخول، فأذن لهم، فتقدم هو قبلهم، وأطفاء الشـــمعة، واختبأ في المنزل، فصار أمير المؤمنين

والفضل يبحثون عنه حتى وقعت يد هارون الرشيد عليه، فقال له: ما أنعمه من يد لــو أنها تنجو من عذاب الآخــرة، فبكى هارون الرشــيد، وقال له: عظنــي، فوعظه، ثم قال هارون الرشــيد له: لي إليك حاجــة، فقال له: وما هي؟، فقال له: تفضل بقبول هذه الصرة، فقال له الفضيل: لا حاجة لي بها، ضعها في بيت المال، فقال له: هي مني لك، فقال له الفضيل: قسّــمها على مستحقيها إن لم تأخذها على أحد ظلما فرُدَّها عليه، فخرج هارون الرشيد من عنده باكياً، وقال للفضل ما رأيت حالاً أعجب من حال هذا الرجل. اهـ.

«بيت»: قال القائل:

عَجِلْتَ فِيْ الأمرِ لَمْ تَظْفَرْ بِهِ أَبَدَا   وإِنَّمَا خُلِقَ الإنســانُ مِــنْ عَجَلِ

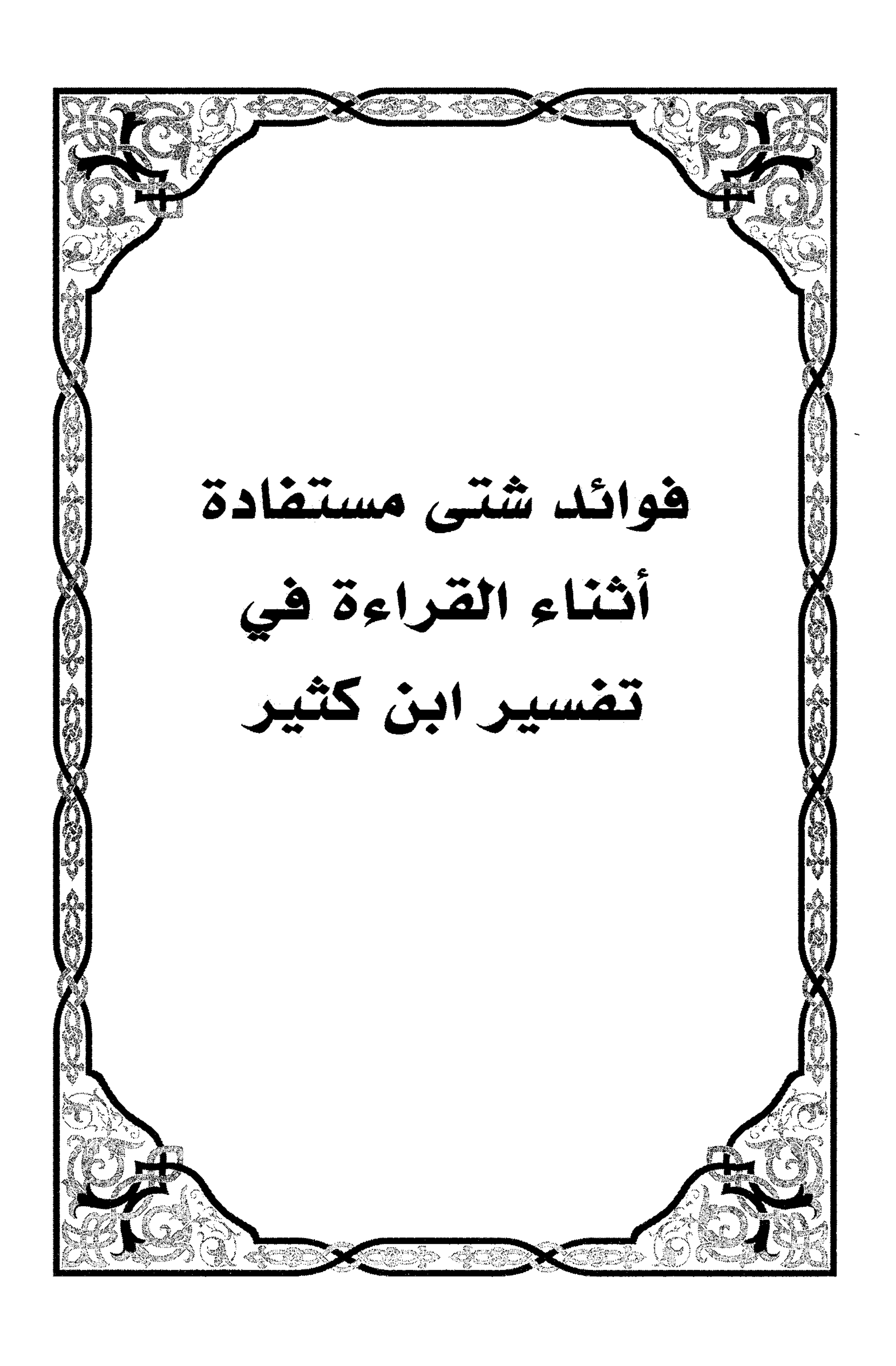
«فائدة» قيل: إن المشــركين كانوا إذا رأوا النبي ﷺ يســتهزؤون به، وإذا ذكــر لهم الرحمن جل جلالــه قالوا ما نعــرف إلا رحمن اليمامة ـ وهو مســيلمة الكذاب ـ ومدحه بعض المشــركين، فرد عليهم سيدنا حسان بن ثابت ﵁ بقوله:

خُصِصْتَ بالمَقْتِ يا ابن الأَخْسَسَيْنَ أباً   فأَنْــتَ بالذَّمِ لا بالمَدْحِ شَــيْطَانَا

«فائدة» قال الشاعر: في مدح علم الكلام، وهو علم التوحيد، ولكن لما كانت كلمة التوحيد هي أشهر الكلمات نسب إليها، وهي لا إله إلا الله، فقال:

أيهــا المُقْتَــدِي لتَطْلُــب علمًــا   كلُّ عِلْــمٍ عَبْــدٌ لعِلْــم الــكَلام
تَطْلُبُ الفِقْهَ كــي تُصَحِّحَ حُكْمًا   ثُــمَّ أَغْفَلَــتَ مُنْــزِلَ الأَحْــكَامِ

انتهت الفوائد المستفادة أثناء القراءة في تفسير الجلالين



فوائد شتى مستفادة أثناء القراءة في تفسير ابن كثير

هذه فوائد شتى مستفادة أثناء القراءة
في تفسير ابن كثير بالمسجد الحرام ابتداءً
من تاريخ ١٩/ ٤/ ١٣٧٨هـ

«**فائدة**» سُمي سيدنا عيسى عليه السلام المسـيح، قال بعض السلف: لكثرة سـياحته، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما، وقيل: لأنه إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالى. اهـ. تفسير ابن كثير الجزء الأول صفحة ٣٦٣.

«**فائدة**» لم تركب مريم بنت عمران بعيراً قط. اهـ تفسـير ابن كثير الجزء الأول ص٣٦٢.

«**فائدة**» اختلف في معنى الحصور، فقيل: هو الذي لا يأتي النسـاء، وقيل: الذي لا يولد له ولد ولا ماء له، وقيل: الذي لا ينزل الماء، وقيل: الذي ذكره كهدبة الثوب. اهـ تفسـير ابن كثير الجـزء الأول ص٣٦١ بتصرف واختصار.

«**فائدة**» اختلف في معنى السـيد، فقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة وسـعيد بن جبير: هـو الحليم، وقال قتادة: هو السـيد في العلم والعبادة، وقال ابن عباس والثوري والضحـاك: هو الحليم التقي، وقال سعيد بن المسيب: هو الفقيه العالم، وقال عطية: السيد في خلقه ودينه، وقال عكرمة: هـو الذي لا يغلبه الغضب، وقال ابن زيد: هو الشـريف،



وقال مجاهد: هو الكريم على الله ﷻ. اهـ. تفسير ابن كثير الجزء الأول ص٣٦١ باختصار.

«**فائدة**» الأسباط هم بطون بني إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل ـ وهو يعقوب ـ الإثني عشر. اهـ تفسير ابن كثير الجزء الأول ص٣٧٩.

«**فائدة**» اختلف في المراد بمعنى مقام إبراهيم المذكور في قوله تعالى: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، فقيل: هو الحجر الذي لما ارتفع البناء استعان به على رفع القواعد منه والجدران حيث كان يقف عليه ويناوله ولده إسماعيل، وقيل وهو لابن عباس: هو الحرم كله، وقيل: الحجر، وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: الحج مقام إبراهيم. اهـ. تفسير ابن كثير الجزء الأول ص٣٨٣ بتصرف واختصار.

«**فائدة**» من أسماء مكة أنه يقال لها بكة سميت بذلك؛ لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة، بمعنى أنهم يذلون ويخضعون عندها، وقيل: لأن الناس يتباكون فيها، أي يزدحمون، وعن ابن عباس: مكة من الفج إلى التنعيم، وبكة من البيت إلى البطحاء، وقيل: بكة البيت والمسجد، وعن مهران: البيت وما حوله بكة، وما وراء ذلك مكة، وعن ابن حيان: بكة موضع البيت، وما سوى ذلك مكة. اهـ تفسير ابن كثير الجزء الأول ص٣٨٣ باختصار.

«**فائدة**» الشيطان في لغة العرب مشتق من شطن إذا بَعُدَ، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، وقيل: مشتق من شاط؛ لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في



المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يـــدل كلام العرب، قال أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه السلام:

أَيُّمــا شــاطِنٌ عَصــاهُ عَــكاهُ   ثُمَّ يُلقى في السِجنِ وَالأَغلالِ

فقال: (أَيُّما شاطِنٌ) ولم يقل: (أيما شائط).

وقال النابغة الذبياني، وهو زياد بــن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع بن مرة بن سعد بن ذُبيَان:

نَأَت بِسُــعادَ عَنكَ نَوىً شَــطونُ   فَبانَــت وَالفُــؤادُ بِهــا رَهيــنُ

يقول: بعدت بها طريق بعيدة.

وقال: سيبويه: العرب تقول: (تشــيطن فلان) إذا فعل فعل الشياطين، ولو كان من شــاط لقالوا تشــيط، فالشــيطان من البعد على الصحيح، ولهذا يسمون كل من تمرد من جني وإنسي وحيوان شيطانا. اهـ تفسير ابن كثير ص١٥.

«بيت»: قال القائل:

وَداعٍ دعا هَل مَن يُجيبُ إِلى النّدَى   فَلَم يَســتَجِبهُ عِنــدَ ذاكَ مُجيبُ

«**فائدة**» كان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العِشــرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوســعهم نفقة، ويضاحك نســاءه، حتى أنه كان يســابق عائشــة أم المؤمنين رضي الله عنها يتــودد إليهــا بذلك، قالت: ســابقني رســول الله ﷺ فســبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فســبقني، وقال: «هذه بتلك»، ويجمع نساءه كل ليلة في



بيت التـــي يبيت عندها رســـول الله ﷺ فيأكل معهن العشـــاء في بعض الأحيان، ثـــم تنصرف كل واحدة إلى منزلهـــا، وكان ينام مع المرأة من نســـائه في فراش واحد، يضع عن كتفيـــه الرداء، وينام بـــالإزار، وكان إذا صلى العِشـــاء يدخل يســـمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام؛ يؤانســـهم بذلك ﷺ. اهـ تفسير ابن كثير أول ص ٤٦٦.

«**فائدة**» معنى الأخـــدان يعني الأخلاء، وقيل: هـــو الصديق. اهـ منه ٤٧٥.

انتهت الفوائد المستفادة أثناء القراءة في تفسير ابن كثير



رسالة
في أصول التفسير

رسالة في أصول التفسير

(لم يكملها جامعها)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذه فوائد في أصول التفسير، جمعتها لي ولأمثالي القاصرين على هيئة سؤال وجواب، أسأل الله أن ينفع بها، إنه سميع مجيب، وهذا أوان الشروع في المقصود.

«س» ما هي مبادي علم أصول التفسير؟.

«ج» عشرة، وهي المنظومة في قول بعضهم:

إن مبادي كُلِّ فَنٍّ عَشَرَةْ ... الحَدُّ والمَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَةْ

وفَضْلُهُ ونِسْبَةٌ والواضِعْ ... والاسمُ الاسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشارعْ

مَسَائِلُ والبَعْضُ بالبعْضِ اكتَفَى ... ومَنْ دَرَى الجَمِيْعَ حازَ الشَّرَفَا

«س» ما حده؟.

«ج» أما حد هذا العلم فهو في اللغة مأخوذ من قولهم: فسرت الشيء إذا أبنته، واصطلاحا هو: علم يبحث فيه عن أحوال القرآن من



جهة الإنزال ونحوه كأدائه وسنده، بخلاف علم التفسير فهو علم يعرف به معاني كلام الله على قدر الطاقة البشرية.

«س» ما موضوعه؟.

«ج» كلام الله ﷻ، وينحصر في خمسة وخمسين نوعا.

«س» ما فضله؟.

«ج» فضله معروف فهو كالمفتاح للمفسرين.

«س» ما نسبته؟.

«ج» أنه من العلوم الشرعية.

«س» من واضعه؟.

«ج» واضعه الإمام الكافيجي، وممن تبحر فيه الإمام السيوطي، وأول عهد ظهر فيه هذا العلم هو القرن السابع، حيث ألف ابن الجوزي، وعلم الدين السخاوي، وغيرهما.

«س» ما اسمه؟.

«ج» اسمه علم أصول التفسير.

«س» من أين استمداده؟.

«ج» من الكتاب والسنة.

مقدمة

«س» ما هو القرآن لغة واصطلاحا؟.

«ج» القرآن مأخوذ من القرء، وهو الجمع، واصطلاحا هو المنزل على سيدنا محمد ﷺ للإعجاز، المتعبد بتلاوته.

«س» بَيِّن محترزات القيود؟.

«ج» قوله «المنزل على سيدنا محمد» خرج المنزل على غيره من الأنبياء.

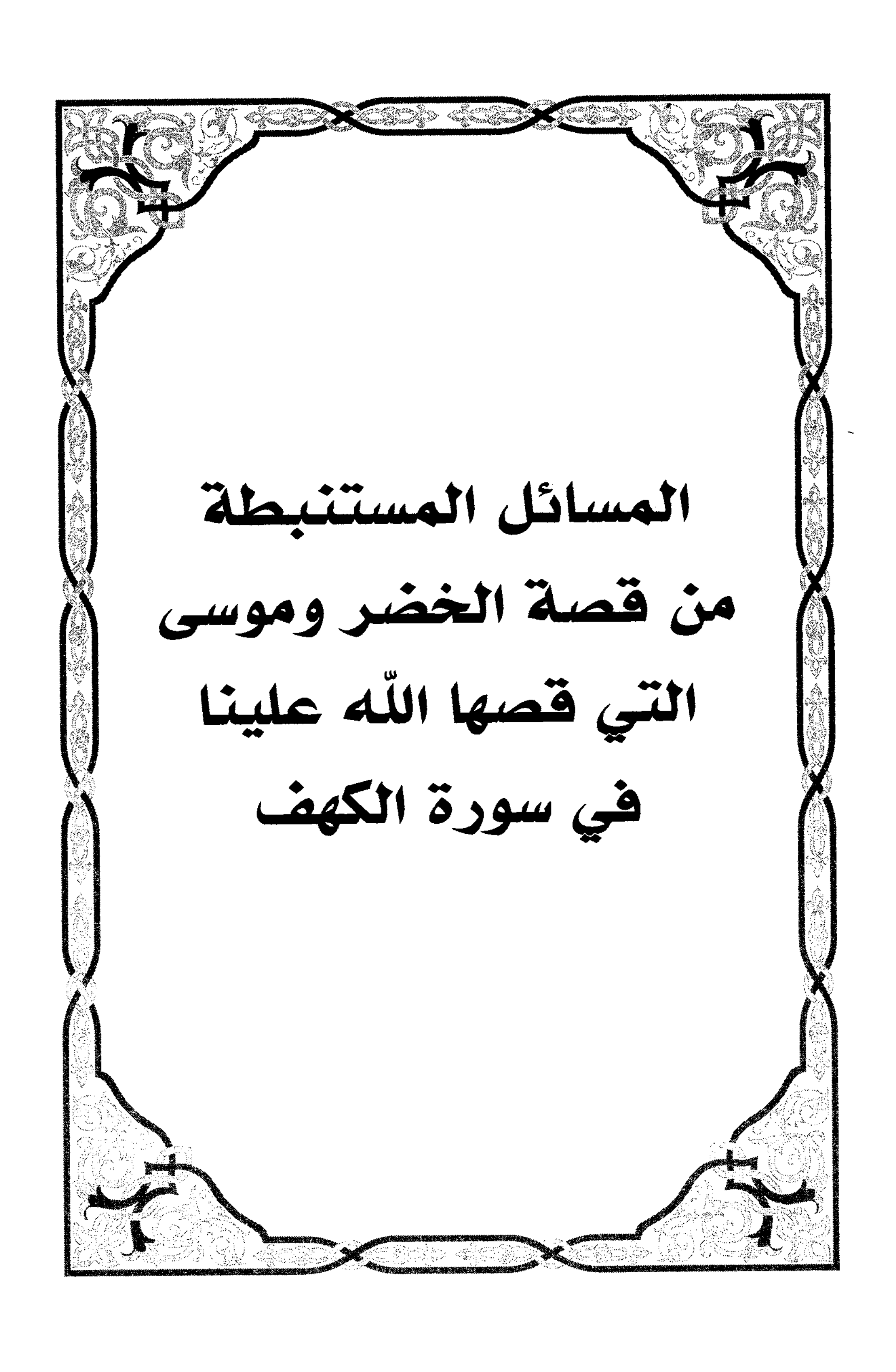
وقوله «للإعجاز» خرجت به الأحاديث الربانية القدسية.

وقوله «المتعبد بتلاوته» خرج به منسوخ التلاوة.

«س» ما تعريف السورة؟.

«ج» السورة تطلق في اللغة على المنزلة، واصطلاحاً هي: الطائفة من آي القرآن، مسماة باسم خاص، لها أول وآخر، وأقلها ثلاث آيات إن جرينا على أن البسملة ليست آية من القرآن في كل سورة، وأما إذا جرينا على أن البسملة آية من كل سورة فيكون أقل السورة أربع آيات.

انتهت الرسالة



المسائل المستنبطة من قصة الخضر وموسى التي قصها الله علينا في سورة الكهف

المسائل المستنبطة من قصة الخضر وموسى التي قصها الله علينا في سورة الكهف أربعمائة مسألة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد قدر الله ﷻ أن نقرأ تفسير الشيخ البغوي في مسجد العسقلاني بعدن عند الشيخ محمد بن سالم البيحاني أحد تلاميذ الوالد عبدالله بن عمر الشاطري في رباط تريم، واستمرت القراءة قرابة أحد عشر عاما، ووصلنا فيه إلى قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ [الإنسان: ١٥]، وبينما كنا في تفسير سورة الكهف قال لي بعض العامة الملازمين للحلقة ما هو درس الليلة؟، فقلت له: قصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام، فضحك، وقال: رجلان تصاحبا ولم تتم بينهما الصحبة، وحملني قوله على التفكير في الأحكام المستفادة من هذه القصة العظيمة، ووجدتها كثيرة، ولا تقل عن مئات الأحكام، وها أنا ذا أجمع ما تيسر، وهي مائة وواحد وستون مسألة من أربعمائة مسألة، فأقول:

١ ـ عتاب الله جل وعلا لنبيه موسى عليه السلام حين قال له: هل في الأرض أحد أعلم منك؟، فقال: لا، وكان ينبغي أن يرد العلم إلى الله،



وفي حديث ابن مسعود ﷺ: «من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل لا أدري، فما أحد بأعلم من رسول الله ﷺ، وهو الذي قال له ربه ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]».

٢ ـ نعلم من حديث أبي بن كعب أن هذا السؤال وُجِّه إلى موسى وهو يخطب أو بعد الفراغ من خطبته، والكل جائز، وقد كان سيدنا محمد ﷺ يُسأل في الخطبة، كقول الأعرابي له: يا رسول الله وهل يأتي الخير بالشر... إلخ بطوله في البخاري، وكان يُسأل بعد الخطبة، والقصص في ذلك كثيرة.

٣ ـ الرحلة في طلب العلم مأمور بها، وفي القصة أَمَرَ الله موسى بالذهاب إلى الخضر، وبهذه المناسبة نذكر رحلة خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس، ثم إلى ما فوق سبع سماوات في طلب العلم، وليزداد بعين اليقين بعد علم اليقين.

٤ ـ قول موسى لفتاه يوشع بن نون، وهل هو عبد مملوك له أو خادم ملازم، فإن كان الأول فإنه أدب بقوله «لفتاه» ولم يقل «لعبده» إذ لا عبودية إلا لله، وفي الحديث: «لا يقل أحدكم عبدي، ولا أمتي، ولكن ليقل: فتاي أو فتاتي»، وفي القرآن ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]، وإن كان الثاني ففيه جواز استخدام الكبير للصغير، والإستاذ للتلميذ، وقد ذكرت السير «١٧٠» خادما وخادمة للنبي ﷺ، ومن أشهرهم أنس بن مالك الذي خدمه عشر سنوات منذ قدومه المدينة إلى أن لحق بربه ﷻ، ورجح النووي الثاني وأبطل الأول.

٥ ـ قطع الإنسان وعداً على نفسه بعمل الشيء أو يهلك دونه كما في الآية ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ [الكهف: ٦٠]، فالوعد بالسير، والموعود به وصول مجمع البحرين، والتعليق على قوله ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ وهو مستحيل.

٦ ـ بيان الجهة المقصودة من المتبوع حتى يستعد لها التابع، ويجوز إخفاء ذلك للحاجة، وكان رسول الله ﷺ إذا غزا جهة كتم الأمر حتى لا يستعد له العدو إلا في غزوة تبوك فإنه بَيَّنها للناس؛ لبعد الشقة واتخاذ ما يلزم للسفر الطويل.

٧ ـ في القصة أنه بَيَّن الأمر لفتاه حتى يخيره بين المصاحبة وتحمل المشقة أو يتخلف عنه وهو في حل من الأمر، إذ التكليف بما لا يطاق ممنوع من المخلوق مطلقا، ومن الخالق تعالى جائز وغير واقع عند الأشاعرة، وعند المعتزلة مطلقا.

٨ ـ إن موسى لم يطلب من الله سبحانه بيان المكان الذي سيجد فيه الخضر أقريب أم بعيد، وإنما طلب علامة يعرف بها المكان المقصود؛ خشية أن يوهم ذلك المعصية أو ضعف الهمة.

٩ ـ لم يلتزم موسى بتحقيق الأمنية، وإنما التزم الامتثال وبذل المجهود في تحصيل المقصود.

١٠ ـ سمى الله موسى؛ لأنه المَعْنِي بالأمر، ولم يسم فتاه؛ لأنه تابع وغير مسؤول، ولأن في ذلك تعليم لأدب الصغير مع الكبير، أو الأمة مع نبيها، وفيه إشارة إلى أن يوشع ما زال في سن الفتوة، وهو الوقت

الصالح للخدمة، وليس بالكبير العاجز ولا بالصغير الغير مكلف، والفتوة كما يقال من الثالثة والعشرين في العمر إلى الثالثة والثلاثين، وبعدها الكهولة إلى الأربعين، وبعدها الشيخوخة، ثم الهرم، وقبلها الطفولة إلى قبيل البلوغ، ثم سن الغلام إلى الفتوة.

١١ ـ في كلام موسى ما يدل على كبر نفسه واجتهاده في الطلب، وذلك شأن المخلصين في طلب العلم وتحصيله، والشاعر يقول:

وَمَنْ رامَ العُلُوْمَ بَغَيْرِ كَدٍّ   أَضَاعَ العُمْرَ في طَلِبِ المُحَالِ

١٢ ـ طلب موسى من ربه أن يجعل له علامة يعرف بها مكان الخضر، فأمره باتخاذ حوت مشوي في مكتل، وحيث يحيا الحوت ويذهب من المكتل فهناك سيلقى الخضر، وفيه دليل على طلب العلامة التي يستعان بها على المأمور بفعله وتحصيله، وقد سأل جبريل سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام عن الساعة، فقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكنى سأخبرك بعلاماتها... الحديث، وقال أعرابي للنبي ﷺ متى الساعة؟، فقال: «إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»، وهذه علامات زمنية، وفي العلامات المكانية يخبر جبريل محمداً عليهما الصلاة والسلام بموضع هجرته، وأنه بقرية ذات نخل، وذكر من علاماتها، وظن النبي أنها ستكون هجرا فإذا هي المدينة.

١٣ ـ في نسيان موسى وفتاه للحوت بعد الوصول إلى المكان المعين دليل على الاهتمام بالسير والجد الذي جعلهما ينسيان طعامهما، والأمثلة على ذلك كثير، وهو في هذه الأمة أكثر منه في غيرها كنسيان

عائشة لقيمة اللحم وهي صائمة يوم تصدقت باثني عشر ألف درهم، ونسيان ابن المقري الزبيدي لألف دينار أهديت إليه، ووضعها تحت الفراش، ثم اشتغل بالعلم، وقام عنها، وهو لا يملك في بيته درهما واحدا.

١٤ ـ أضيف الحوت إلى المسافرَين؛ لأنه رزقهما، ويشتركان فيه، ولئلا تكون لأحد الاثنين مِنَّة على الآخر في رزقه.

١٥ ـ قدرة الله على إحياء الموتى، وكيف اتخذ الحوت سبيله في البحر سربا، وقد كانا يأكلان منه، وإما أن يكون قد أصابه ماء الحياة كما يقول المفسرون، أو إن الله أحياه بغير سبب مباشر، وهذا أبلغ في المعجزة لموسى، وأبلغ في بيان قدرة الرب ﷻ، كما فعل بالطيور الأربعة التي قطّعهن إبراهيم، ووضع على كل جبل منهن جزءاً، ثم دعاهن فأتينه يسعين، وفي ذلك تقوية لإيمانه وإيمان صاحبه أكثر من جعل العصا حية تسعى؛ لأن تلك جماد وخلقت الروح فيها، وهذا كان حياً ثم مات ثم أحيي.

١٦ ـ أدب موسى فيما يروي الله عنه حيث قال: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢] ولم يقل «إئتي بغدائي»، وذلك يدل على أنهما كانا يشتركان في الطعام، وهو المسنون في قول النبي ﷺ: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين، فإنه ولي علاجه»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العتق باب إذا أتاه خادمه بطعامه برقم ٢٥٥٧.



١٧ ـ تسمية الوجبات بأسمائها، فما يتناول قبيل الظهر غداء، وما يتناول بعيد المغرب عشاء، ويقال: لشرب اللبن في الصبح صبوح، وفي المساء غبوق، وفي الحديث النبوي أنه كان ﷺ يسأل في بيته عن الغداء، فإن وجد شيئا أكل، وإن لم يجد شيئا قال: «إني صائم»، وفي حديث آخر: «إذا حضر العَشاء، وأقيمت الصلاة، فابدؤوا بالعَشاء» العشاء «بفتح العين».

١٨ ـ لم يقل الله تعالى «أمر فتاه» ولكنه قال ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٢]، وهكذا يكون أدب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرهم مطاع، والقول هنا بمعنى الأمر والله أعلم.

١٩ ـ لم يَشْعرا بالنَّصَب حتى جاوزا مكان الموعد؛ إيذانا بمجاوزته، وقبل الوصول إليه لم يتعبا، وقد أشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢] ولم يقل: «من السفر» ولا قال: «في سفرنا».

٢٠ ـ جواز الشكوى من الواقع إذا كانت للترحم أو الاستعطاف، ولا تجوز إذا كانت تسخطاً لما قدر الله.

٢١ ـ عبر بالنَّصَبِ، ولم يعبر بالتعب، إذ الأول لما تكون نتيجته طيبة، ولا يلزم في التعب أن تكون نتيجته طيبة أو سيئة، وفي القواعد: «الأجر على قدر النصب».

٢٢ ـ اعتذار الخادم إلى مخدومه، وفي الآية ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ [الكهف: ٦٣] الاعتذار بالنسيان، وفيها أنه ينبغي للمسافر أن يبيت إلى جانب شيء من صخرة أو شجرة أو نحوها؛ للدفء، ولحماية الظهر، وللجوء إلى ذلك عند حصول المكروه.

٢٣ ـ لم يقل يوشع «فإني نسيت الغداء»، وإنما قال ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الكهف: ٦٣] ليُضَمِّنَ الاعتذار بالبشارة، وهي آية اللقاء بين موسى والخضر.

٢٤ ـ الفرق بين نسي وأنسي، والذي حصل من يوشع هو النسيان، والذي وقع من الشيطان هو الإنساء؛ لاستغراقه في النوم أو لغفلة عن ذكر الله، وفي ذلك تنفيذ لمراد الله تعالى.

٢٥ ـ كان أمر الحوت عجباً لموسى وصاحبه، وسيره في البحر مع جرية الماء سربا بيان لقدرة الله عَزَّوَجَلَّ.

٢٦ ـ إخبار موسى صاحبه بإدراك الغاية، وأنه لا عتب عليه في ذهاب الحوت، بل إن ذلك مقصده ومبتغاه.

٢٧ ـ قص الأثر ومعرفة مواطن الأقدام إما لمعرفة الطريق، وإما لمعرفة الماشي، ولا شيء في الأول، وفي الثاني ضرب من القيافة، وبعضها يجوزه الدين، ولا يحكم به كشاهد أو بينة، وقد سُرَّ النبي ﷺ حين كان يتهم أسامة بن زيد في نسبه، وتغطى هو وأبوه زيد بن حارثة تحت قطيفة، ودخل عليهما مُجَزِّر المدلجي، وهو لا يعرفهما، ولما رأى أقدمهما قال: إن هذه الأقدام يشبه بعضها بعضاً.

٢٨ ـ في قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ﴾ [الكهف: ٦٥] إشارة إلى سعة فضل الله، وأن له عباداً كثيرين، وقد يكون عند بعضهم مثل ما عند الخضر في زمان قبله أو بعده، وربما أراد الله سبحانه إبهام الأمر على موسى حيث لم يقل له: «نبياً من أنبيائنا، أو ولياً من أوليائنا».

٢٩ ـ يقال إن اسم الخضر «بليا بن ملكان»، وإنما قيل له: الخضر لخضرة الربوة التي كان نائما عليها، أو أنه إذا جلس على مكان جاف من الأرض انتعش واخضر من تحته.

وقد أختلف فيه هل هو نبي أو رسول أو ولي؟، والأظهر أنه نبي، وكذلك ذو القرنين ولقمان عليهم السلام.

٣٠ ـ أختلف في الخضر هل هو حي إلى الآن أم أنه قد مات؟، والجمهور من المحققين أنه قد مات مستدلين بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وبقوله ﷺ: «أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد» رواه مسلم من حديث ابن عمر[١]، وقال قوم: بحياته؛ لآثار وأخبار تروى في ذلك، وهي ما بين ضعيف أو موضوع، وللحافظ ابن حجر رسالة سماها «روض النضر فيما قيل في الخضر».

٣١ ـ قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف: ٦٥] ولم يقل «أعطيناه» إذا العطاء يكون مسبوقا بالسؤال، والإيتاء بغير سؤال، وقد يكونان بمعنى واحد، والأول في المقام أنسب.

٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ فيه زيادة امتنان، وأنه لم يأخذه الخضر من اللوح المحفوظ مثلا، أو من إستاذ قبله، وإنما كانت رحمة الله واصلة منه تعالى إلى الخضر مباشرة، وقد يكون في معنى العندية

---

(١) في كتاب فضائل الصحابة ﷺ باب قوله ﷺ: «لا تأتي مائة سنة، وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم».

الاتصال القوي كما في قول امرأة فرعون ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، والعرب يقولون: «التمس الجار قبل الدار»، وكذلك طلبت آسية من ربها تعالى.

٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥] فيه معنى الوحي أو الإلهام، والأول ما يكون بواسطة الملك، والثاني ما يشعر به الإنسان من تلقاء نفسه، ويقولون: إن العلم نور يقذفه الله في قلوب من يشاء من عباده، وأنه يزيد ويقوى بالطاعة، قال الشافعي:

شَكَوتُ إِلى وَكيعٍ سوءَ حِفظي ... فَأَرشَدَني إِلى تَركِ المَعاصي
وَأَخبَرَني بِأَنَّ العِلمَ نورٌ ... وَنورُ اللهِ لا يُهدى لِعاصي

وفي الآية دليل على أن علم الخضر لم يكن دفعة واحدة، وإنما كان تدريجيا؛ لأن في صيغة علم مبالغة، وهو خير له من حيث أنه دائماً ينتظر المزيد من الله، وقد قال تعالى لسيدنا محمد ﷺ ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤].

٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥] بصيغة التنكير المؤذنة بالعموم، ولو عَرَّف العلم لتوهم موسى أنه من جنس ما يعلم، ولكانت لام التعريف للجنس أو للعهد أو للاستغراق، وكل ذلك غير مراد.

٣٥ ـ يذكر أن الخضر قال لموسى عليه السلام حين رأى الطائر يأخذ بمنقاره من البحر وهما على السفينة: يا موسى ما مَثَل علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ الطائر بمنقاره من هذا البحر، مع أن علم موسى بشريعته مباين لعلم الخضر بما خصه الله به.



٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف: ٦٦] فيه ذكر موسى، وقد اختلف فيه هل هو موسى بني إسرائيل أو غيره، فقال نوفل البكاي إنه غير الكليم ابن عمران، وقال ابن عباس رضي الله عنه: بل هو هو، وسأل أبي بن كعب فوافقه على ذلك، وذكر الحديث النبوي الذي فيه «بينا موسى يخطب في قومه إذ قال له رجل هل على الأرض أعلم منك...» الحديث.

٣٧ ـ يقال: إن اسم موسى معناه بالعبرانية ماء وشجر، الأولى: مِيْء، والثانية: شا، ويركب في العبرانية ميشى، وهو بالعربية موسى، وسمي كذلك لأن أصحاب اليم وجدوا تابوته الذي كان فيه بين شجر وماء من بعض شواطيء النيل فسمي كذلك.

٣٨ ـ موسى عليه السلام هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب «إسرائيل» عليه السلام، وهو معاصر لفرعون الثامن عشر من الأسر الفرعونية الاثنتين والثلاثين، ويقال: إنه كان معاصراً لعدنان، الأب الحادي والعشرين للنبي ﷺ.

٣٩ ـ يقال: إن موسى ابتدأ الخضر بالسلام، وعجب منه قائلاً له: وأنا بأرضك السلام، قال: أنا موسى، فرد عليه، وفيه دليل على أن التسليم من الشرائع القديمة كما حكي عن ضيف إبراهيم ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ [هود: ٦٩] وهذا لا يتنافى مع قول النبي ﷺ: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدوكم على السلام والتأمين» إذ المقصود والله أعلم الكيفية المعروفة في الإبتداء والرد.



٤٠ ـ الاستئذان في الصحبة، حيث طلب موسى الإذن بالمصاحبة والمتابعة شريطة أن يتعلم منه بعض ما علمه الله، وفي الإسلام هل السلام هو الاستئذان أو أنه قبله؟ والثاني هو الصحيح لقوله ﷺ لأعرابي دخل عليه بغير إذنه: «ارجع فقل السلام عليكم، أأدخل» وفي هذا بيان أن السلام قبل الاستئذان.

٤١ ـ بيّن موسى حاجته من الصحبة، وهي التعلم، وفي ذلك بيان ما يجب ويندب للطالب مع شيخه وإستاذه.

٤٢ ـ حسن التعبير في قول موسى ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ [الكهف: ٦٦] إذ لم يطلب منه جميع ما لديه فإنه لا يخلو من أمرين: إما أن يكون مستحيلا، وإما أن يكون شيئاً لم يأذن الله للخضر في إفشائه والإخبار به.

٤٣ ـ قريء ﴿رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] و﴿رَشَدا﴾ والمعنى واحد، والمراد بالرشد من جهة موسى في التعلم والطلب، لا من جهة الخضر في اشتراط الرشد في علمه وتعليمه.

٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧ ـ ٦٨] نفي الصبر حكم بغير مستند صحيح ولكنه بوحي من الله للخضر، وفيه أن الحاكم لا يحكم بعلمه إلا إذا كان علمه بالشيء قطعي كما في الآية، ومثال الحكم بالعلم غير القطعي أنك لو رأيت زيداً يسرق فلا تحكم بقطع يده إلا أن تقوم على ذلك بينة؛ لاحتمال أن يكون المرئي غير زيد.

٤٥ ـ تأكيد النفي بأنَّ وبالجملة الأسمية وبحرف لن، وهي للتأكيد



أو للتأبيد على خلاف لغوي، والمقصود أن الخضر أكد نفي الصبر عن موسى عليه السلام، وأنه لا يسكت على المنكر إذا رآه بحكم شريعته، وهذا في معنى البينة أو الوحي الإلهي.

٤٦ ـ لم ينف الخضر صبر موسى إلا في معيته؛ لأنه يعلم من نفسه أن ما سيأتيه من الأمور أمر لا يطاق الصبر عليه، وفي تقديم المعية على الصبر شيء من الحصر، وهو المراد هنا، لا نفي الصبر المطلق في كل شيء وعلى كل شيء.

٤٧ ـ اعتذار الخضر ببيان العلة في عدم الصبر، وذلك بقوله ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨]، وفيه مع الاعتذار بيان قوة موسى على الصراحة في الحق.

٤٨ ـ الاستفهام في الآية بكيف للتقرير لا للعلم ولا للإنكار ولا للتوبيخ، والمعنى إنني أقرك على المعارضة، ولا ألومك في شيء تنتقده عليّ؛ لأنك مصيب في الانتقاد كما أني مصيب فيما تراه من المخالفة.

٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩] علق الصبر بالمشيئة؛ لأنه ليس في مقدوره إلا بمشيئة الله، ولم يعلق المعصية بالمشيئة؛ لأن الله لا يشاء المعصية منه للخضر.

٥٠ ـ أدب موسى عليه السلام في إقامة الحجة على ما يدعيه بقوله ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ ولم يقل «أنا صابر إن شاء الله» فيزكي بذلك نفسه، ولكنه علق ذلك بمشاهدة الخضر لما يرى من حسن صحبته واحتماله

للمشقة، وهذا مثل قول شعيب ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧] فكما قيل له قال كذلك.

٥١ ـ أكد الخضر النفي بلن لعلمه بالواقع الحقيقي، ونفى موسى عصيان الخضر بكلمة لا، وليست للتأكيد، وإنما هي للنفي، وذلك بِحَسَبِ ما يعتقده من طاعته.

٥٢ ـ في كلام موسى ما يدل على عصمته من الكذب حيث لم يحلف، ولا أكد طاعته لأمر الخضر إلا بحسب ما عنده حين عقد الاتفاقية.

٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠] فيه صيغة الاتفاقية، وهي بالإيجاب من الخضر، وبالسكوت الذي هو في معنى القبول من موسى، ونظائر هذا في الإسلام كثيرة كسكوت البكر البالغة إذا استؤذنت في نكاحها، وسكوت المدعى عليه بعد سماعه الدعوى وعجزه عن المعارضة.

ومن القواعد عند الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه لا ينسب لساكت قول إلا في ثمان مسائل، وقد جمعها العلامة الفقيه برهان الدين إبراهيم بن عمر السوبيني الحموي (ت٨٥٨) وأضاف إليها مسائل أخرى في رسالة مستقلة سماها (مسألة الساكت).

٥٤ ـ ترك له الخيار حيث علق الجواب بالشرط، ولم يلزمه بالمتابعة أو الاتباع، وإنما ألزمه عدم السؤال عما يفعله مما يراه موسى مخالفاً لشريعته حتى يخبره بسر ما فعله ولأي شيء فعل.



٥٥ ـ الإلزام بعدم الاعتراض مطلقا، وكلمة شيء نكرة، بل هي أنكر النكرات واقعة في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تؤذن بالعموم.

٥٦ ـ لم يطلب الخضر التسليم المطلق، وإنما طلب الانتظار حتى يكون هو المخبر، وذلك بعد أن يأذن الله، أو بعد أن يظهر صبر موسى، أو بعد أن يدرك السر بنفسه، أو بعد أن يعترف بالفرق البعيد بين معلوماته ومعلومات الخضر.

٥٧ ـ في الآية دليل على جواز الشرط من الشيخ على تلميذه ومريده، وخاصة فيما ليس بواجب تعليمه، أما ما يجب ذكره للناس فلا حق للشيخ أن يأخذ عليه شرطا إلا أن يكون مستلزماً لنفع الطالب أو باعثاً له على الهمة والنشاط.

٥٨ ـ جواز الشروط وسن الأنظمة المتبعة المرعية في المدارس والجامعات والحلقات.

٥٩ ـ لم يذكر الخضر أجرة مادية على التعليم، وهل هي جائزة؟، أما في نوافل العلم وفروض الكفاية منه فهي جائزة، وفي الواجب العيني لا يجوز أخذ الأجرة على التعليم، وقد أختلف في أجرة معلم القرآن، والصحيح أنها جائزة لعموم الحديث الشريف «خير ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله»، وكان أُبَيْ بن كعب وجماعة من الصحابة لا يجوزون أخذ الأجرة على التعليم لا قليلا ولا كثيراً.

٦٠ ـ لم يتفق الرجلان على غاية لمدة المصاحبة، وإنما اتفقا على قبول الشرط؛ وذلك لأسباب:

أولاً: إن العلم لا غاية له فكيف تحدد له مدة.

ثانياً: إن الفهم يختلف باختلاف النـاس فكيف تحدد المدة للفهم، وهو أمر موكول إلى الله تعالى.

ثالثـاً: يجوز في الإجارة ذكـر المدة أو تحديد العمـل، والذي في الشرط إنما هو تحديد عمل الصحبة، ولا يدري متى ينتهي، وليس هنا إجارة، وإنما هو إلتزام من قبل موسى، وتبرع من قبل الخضر.

٦١ ـ قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ [الكهف: ٧١] فيه دليل على الأخذ بالأسباب، وأنهما لم يمشيا على البحر، وإنما ركبا في السـفينة كما يركب غيرهما إذا أراد إجتياز البحر، وبما أن المعجزة لا تكون إلا تحديـاً فإنه ليس هنا مـن يعارض رسـالة أو نبوة فتظهر المعجزة لذلك.

٦٢ ـ في الآية دليل على أن المصاحب للخضر كان موسى وحده، وأنه لم يأخذ معه فتاه يوشع بن نون؛ إما لأنه استغنى عن خدمته، وإما أنه لا ينبغي وجود خادم للطالب بين يدي الاسـتاذ، وإما لأن يوشع لم يؤمر بمتابعة الخضر، ولا يستطيع التزامَ مثل الشرط الذي قبله موسى.

٦٣ ـ كان الخـرق بعد الركوب وقبل النـزول، والجميع في حاجة إلى السـلامة، وإتلاف الأرواح لغرض غير معلوم مما يثير الاستنكار، ويبعث على السؤال.



٦٤ ـ يذكر أن موسى لم يعترض إلا بقوله: «قوم حملونا بلا نول تَعْمِد إلى سفينتهم فتخرقها»، وفيه نكران الجميل، وأن الذي ينبغي لمن أحسنت إليه أن يقابلك بالشكر والتقدير.

٦٥ ـ يذكر أن أصحاب السفينة عرفوا الخضر فأركبوه مجاناً؛ رجاء خيره وبركته، وكذلك فعلوا مع صاحبه، وللتابع حكم المتبوع على تفصيل في عموم القاعدة وما يستثنى منها.

٦٦ ـ كان المكان الذي خصص للرجلين في وسط السفينة، ولم يكن على سطحها أو على أطرافها؛ لئلا يتأذيان بماء البحر، وهو مبالغة في الإكرام، وتفهّم هذه الدقيقة من التعبير بكلمة «في» بدل من كلمة «على» وأنت تقول ركبت على السفينة وعلى الطائرة وعلى الفرس.

٦٧ ـ يجوز للإنسان أن يأخذ معه صاحبه في النزهة والضيافة إذا علم كرم المضيف، وإلا فلا بد من الإذن كما فعل النبي ﷺ بالرجل حين دعاه أبو شعيب وقام يتبعهم رجل غير مأذون له.

٦٨ ـ يجوز للعظيم أن يقبل الكرامة إذا عرضت عليه بل يسن له، فإن أهل السفينة قد أكرموا الرجلين بالركوب بدون نول، ولا ينبغي أن ترد الكرامة إلا إذا خيفت المنة التي لا تحتمل، ونظائر هذا في الإسلام كثيرة: كإرداف النبي ﷺ للفضل بن العباس ولأسامة بن زيد ﵄ ليلة النفر من عرفة، وكإردافه لمعاذ على الحمار، وكهبته لجابر بعيره بعد الشراء ودفع الثمن، وكإجلاس ابن عباس لأبي جمرة الضبعي على سريره وبجانبه، أما إذا خيفت المنة فلا يجب بل لا ينبغّي قبول الهدية



والهبة وما في معناها لقول النبي ﷺ حين مَنَّ عليه أَعرابي بهديته: «لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي أو أنصاري».

٦٩ ـ لم يكن خرق السفينة بمفضي إلى الغرق، وإنما هو عيب يجعلها غير صالحة للبيع، ولا مرغوبا في غصبها، وإن توهم موسى الغرق فإنما هو إعتماد على المقدمات، فالخضر مشكور في الغاية، وموسى معذور في البداية.

٧٠ ـ ركوب البحر جائز إذا غلبت السلامة كما فعل نوح عليه السلام بأصحاب السفينة، وكما فعل الخضر وموسى في هذه السفينة، ومثلها الطائرة بل والصواريخ، فإن غلب الخوف لشدة الطوفان أو فساد الأجواء فلا يجوز الركوب، وقد سئل النبي ﷺ عن ماء البحر حين قيل له إنا نركب البحر وليس معنا من الماء إلا ما يكفينا للشرب، أفنتوضأ بماء البحر؟، فأجاب قائلاً: «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته»، ولم يتعرض للركوب، وقد ركب البحر جماعة من المسلمين في الغزوات والفتوح الأولى، وفي الحديث عنه ﷺ قال لأم حرام بنت ملحان: «عرض عليّ أقوام من أمتي يركبون البحر كأنهم الملوك على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة»، قالت: ادعو الله لي أن أكون منهم، قال: «أنت منهم»، وحديث أبي موسى وأسماء بنت عميس معروف، وهي من أصحاب السفينة التي حملت المهاجرن من الحبشة إلى الحجاز وبالعكس.

٧١ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١] الإستفهام للإنكار، واللام للعاقبة، وليست للتعليل، والمعنى

سيكون خرقك للسفينة مفضياً بالناس إلى الغرق، وهذا أمر يستحق اللوم عليه، ولو كانت اللام للتعليل لاستحق الخضر العقاب على ما صنع، لكن لام العاقبة قد تصح ولا تصح، ولام التعليل نتيجتها صحيحة، ولذلك قال موسى في الإنكار الأول ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١] أي: عظيماً، وفي الحديث: «لقد أَمَر أَمْر ابن أبي كبشه» أي: عظم، وفي الثاني ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤].

٧٢ ـ التصرف في ملك الغير لمصلحته لا يجوز إلا بإذنه، ولذلك وقع الاعتراض من موسى، وإن كان فيه خير ومنفعة لأصحاب السفينة، ولعل الخضر علم ذلك من حالهم، أو علم أصحاب السفينة بحسن تصرفات العبد الصالح.

٧٣ ـ لا يجوز بيع الفضولي ولا إيجاره لملك غيره على الصحيح في المذهب، ومقابله الجواز إذا أقره المالك، سواء بالمصلحة أو عدمها.

٧٤ ـ يختلف العلماء في العلم بالرضا، فمنهم من جوز العمل به ولو بدون نطق كما في شأن الكبيرة التي تسكت حين تستأمر في نكاحها، ومنهم من لا يجوز العمل به مطلقاً حتى يحصل الإذن الصريح بالنطق من السليم أو بالإشارة المفهمة من الأخرس.

٧٥ ـ قال موسى ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧١] ولامه على ذلك، ولم يقل: «لتغرقها أو لتغرق حمولتها»؛ لاحتمال أن يسبح الركاب إذا قدروا، وهو لا يعلم قدرتهم على السباحة، ولأن السفينة قد تكون مغصوبة أو من كسب حرام فتستحق الإتلاف، وكذلك الأموال التي عليها.

وهنا مسألة علمية: إذا خيف الغرق فإنه يجب طرح الأموال لسلامة الأرواح، ولو خيف على الجماعة من الغرق جاز عند أبي حنيفة إهلاك الثلث لسلامة الثلثين، ولا يكون هذا إلا بالمساهمة كما في قضية يونس بن متى عليه السلام ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١]، ولا يجوز عند الشافعية لما فيه من إيثار النفس بالحياة وإتلاف المحترم.

٧٦ ـ كان اعتراض موسى في الأولى عتابا ولوما، وفي الثانية إنكاراً بشدة، وفي الثالثة مراجعة وتخيير.

٧٧ ـ يقال إن الله جل وعلا قد امتحن موسى مع الخضر بمثل ما جرى له في ماضي حياته، وكأنه يقول له: الذي حفظك في التابوت وأنت في اليم هو الذي يحفظ أهل السفينة بعد خرقها، كما أنك قد قتلت نفساً حين استغاثك الذي من شيعتك على الذي من عدوك، فكذلك يقتل الخضر الغلام بأمر من الله، وأنت يوم سقيت لبنات شعيب لم تطلب أجراً بل قلت ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، كذلك الخضر حين رفع جدار الغلامين لم يطلب على ذلك أجراً.

٧٨ ـ كان جواب الخضر لطيفاً في المرة الأولى حيث لم يرد إلا بتذكير موسى الشرط المتفق عليه ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢]، ولم يؤكد العتب عليه كما صنع في الثانية ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٥].

٧٩ ـ شهادة المرء لنفسه بما يعلم من صفاتها، فإن الخضر يزكي نفسه بالمطابقة لمقتضى الحال في الحكم على موسى بعدم الصبر،

ولا ينبغي للمرء دائماً أن يقول قد أخبرتكم أو قلت لكم بأنه سيكون كذا أو يحصل كذا إلا إن كان ذلك لتصحيح التجربة، وليأخذ الناس بواطن الأمور من ظواهرها، ونتائج القضايا من مقدماته.

٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣] فيه دليل على جواز النسيان في الأنبياء، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، وقول النبي ﷺ: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني».

٨١ ـ لا ذنب مع النسيان في حق هذه الأمة لقوله ﷺ: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»، وفي القرآن الكريم ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾... الآية [البقرة: ٢٨٦]، ولما قرأها المسلمون نزل الوحي على النبي ﷺ بأن الله قد فعل ذلك، ولهذا تصير هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقد يؤاخذ السابقون على النسيان كما فعل الله مع آدم حين أكل الشجرة ناسياً.

٨٢ ـ طلب موسى مسامحة الخضر لنسيانه، ولم يحتج عليه بذلك، وقال: ﴿بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣]، والباء بسببه، ولم يقل: «لنسياني» فتكون للعذر.

٨٣ ـ الفرق بين الغفلة والذهول والنسيان والسهو، فالأول بمعنى الأخير وهو بقاء الشيء في الذهن مع صارف، والثاني قريب من الأول على خلاف عند الأصوليين، والثالث زوال الشيء من الذاكرة بحيث لو عاوده لرجع إليه.

٨٤ ـ لا عقوبة في النسيان إلا نسيان القرآن الذي سببه الإعراض عنه وعدم التعهد، وفي الحديث الشريف: «تعهدوا القرآن، فَوَالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من صدور الرجال من الإبل في عقلها»، وقد تكون المؤاخذة على نسيان القرآن إذا كان المراد منه عدم العمل بما فيه والانصياع لأحكامه ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٥ ـ ١٢٦].

٨٥ ـ النسيان في حق الله غيره في حق الآدميين، فإنك لو نسيت في الصلاة بزيادة أو نقصان مثلاً فما عليك إلا سجود السهو، ولو أتلفت كتاب إنسان أو ثوبه ناسيا فإن عليك الضمان، وكذلك لو قتلت صيد الحرم أو حلقت أو قلمت وأنت محرما، وكذلك لو طلق الرجل زوجته ناسياً أنه قد عقد النكاح عليها.

٨٦ ـ يذكر الله النسيان ويسنده الله إلى نفسه للمقابلة كما يقول تعالى: ﴿ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾ [السجدة: ١٤] وليس المراد أنه تعالى ينسى ولكنها جاءت للمقابلة أو بمعنى أنكم أخرتم أوامر الله فأخركم عن رحمته، ولم يحسب لكم حسابا.

٨٧ ـ الإرهاق بمعنى الإتعاب والمشقة، والمراد هنا لا تكلفني ولا تشق عليّ بالعسر في معاملتي، فإن الحال يستدعي الرحمة وعدم المؤاخذة.

٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ [الكهف: ٧٤] فيه دليل على قبول العذر



واستمرار الصحبة، وهكذا ينبغي للمؤمن أن يكون سهلا سمح لا يحاسب على كل شيء، ولا يعاقب في كل شيء، ورحم الله القائل:

اقبل من الناس ما تيسر ودع من الناس ما تعسر
فإنما الناس من زجاج إن لم تَرفق به تكسر

وللعرب في المعنى أبيات وأمثال كثيرة تدل على ما جبلوا عليه من التسامح، ومقدار ما تأثروا به من تعاليم الإسلام، وكأني بالخضر يستشهد بقول الشاعر قبل أن يخلق:

إذا كُنْتَ في كُلِّ الأمور معاتبا صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تعاتبُهْ
وإن أنت لم تَشْرَبْ مراراً على القذا ضَمِئْتَ ومن في الناس تصفو مَشَارِبُه

٨٩ ـ كان الالتقاء بالغلام للصاحبين دفعة واحدة، ولو أن الخضر لقيه أولاً لتصور موسى ذنباً من الغلام لم يشاهده واستحق عليه القتل ولكنهما لقياه معاً، فلم تكن إلا البراءة الأصلية التي لا حق معها في الظاهر أن يقتل الخضر ذلك الغلام.

٩٠ ـ النفس الزكية هي الطاهرة أو البرية، والغلام قبل البلوغ لم يفعل ذنبا يستحق به القتل، بل ولا أية مؤاخذة، ولئن كان قد أذنب وهو مستحق في شريعة الخضر للقتل فإن موسى لا يعلم ذلك، فيكون سؤاله إنكاراً بحسب شريعته أو استفساراً منه لما في شريعة صاحبه.

٩١ ـ يظهر من الآية أن القتل لا يكون إلا قصاصا، ولذلك قال موسى ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾، وفي القرآن ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ ﴾ يعني التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ الآية [المائدة: ٤٥]، وفي شريعتنا لا يحل دم امرئ مسلم

إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة، والغلام لا يتصور منه وقوع شيء من هذه الثلاث.

٩٢ ـ علم الخضر من حال الغلام بوحي من الله أنه كافر، وربما حمل والديه على الكفر فعاجله بالموت؛ لاستئصال شأفة الشر أي: أصل الشر، وذلك تنفيذ للعقوبة على المجرم المتحقق منه حصولها ولو قبل أن يباشرها، ونظير هذا في الإسلام أن الصائل يقتل إذا تحققنا عزمه على القتل ولا وسيلة لدفعه إلا بذلك.

٩٣ ـ قال موسى ﴿لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٤] إذ لا جريمة أكبر عند الله بعد الكفر من القتل، ونسي أنه قد قتل نفساً من آل فرعون قبل صدور الجريمة، فذكره الله بفعل الخضر ما كان منه ليستغفر ويتوب، وقد تاب صلوات الله وسلامه عليه، ومعنى نكراً أي: منكراً.

٩٤ ـ أكد فعل الخضر بكلمة «قد» لتحقق الوقوع، وما صدر الإنكار إلا بعد الموت النهائي، ويقال: إن الخضر قطف رأس الغلام كما تقطف العنبة من العنقود، وربما كان يلتمس العذر للخضر لو أنه ضربه بعصا أو لطمه بيده تأديباً على إساءة أدب أو لتنبيهه من غفلة كان فيها.

٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٥] تقدم أن الرد في المرة الأولى كان بقوله ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ﴾، وأنه في الثانية ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ﴾، وفيه إشارة إلى المعتاد من جميع الناس إذا رأوا ما ينكرون، وإن هذه الكلمة قليت لموسى بعد أن قال ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا﴾ [الكهف: ٦٩]، وهذه هي المرة الثالثة يقولها

الخضر لموسى، فالأولى لنفي الصبر المعتاد، والثانية بعد التزكية، والثالثة للعتاب الصريح.

٩٦ ـ قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ [الكهف: ٧٦] جاء في الحديث الشريف ما معناه: «رحم الله موسى ليته صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما ما شاء»، وفيه الاعتراف بمخالفة الشرط، وفرض العقوبة على النفس بما يرضي صاحب الحق إذا لم يكن فيه مخالفة لحكم الله.

٩٧ ـ احترام الخضر من تلميذه حيث احتمل له الغلطتين، ولم يؤاخذه على الأولى والثانية، وكذلك ينبغي للكريم أن لا يعاقب على كل شيء، وأن يغض النظر عن بعض الهفوات الصادرة من تابعه ولداً أو زوجةً أو عبداً أو تلميذاً أو صاحباً.

٩٨ ـ قال: ﴿مِن لَّدُنِّي ﴾ [الكهف: ٧٦] ولم يقل: «مني» إذ المراد والله أعلم أنك معذور في قطع المصاحبة لمخالفتي، لا لأني أعذرك في إساءتك إليّ.

٩٩ ـ قال: ﴿بَعْدَهَا ﴾ [الكهف: ٧٦] ولم يقل: «بعدهما» استحياءً من ذكر المخالفتين، واكتفى بالإشارة إلى آخر شيء وقع منه، ولعله كان في الإنكار على قتل الغلام أشد مما في الإنكار على خرق السفينة؛ إذ الأولى تحتمل السلامة، والثانية لا شيء لها إلا الإنكار الصريح.

١٠٠ ـ قال: ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف: ٧٦] بصيغة المفاعلة، أي: لا تعاشرني معاشرة المساواة، ولم يقل: «فلا تصحبني» إذ هي بمعنى

تحفظني، وموسى لا يريد قطع الجميل، ولا أن لا يحسن إليه الخضر، وإنما اكتفى بعدم المعاشرة، وقد يدوم الخير بعد قطعها.

١٠١ ـ قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧] فيه جواز طلب الضيافة؛ لأنها حق للطارق، وليس فيها ما يمس كرامة النبوة؛ إذ المطالبة بالحق لا عيب فيها.

١٠٢ ـ الضيافة فرض كفاية، ولهذا قال: ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ ولو حصلت من واحد سقط الحرج عن الباقين، وأهل القرية يعتبرون كالشخص الواحد في كثير من المسائل كما في حديث: «ما من بلد أو قرية فيها ثلاثة لا تقام فيها الجماعة إلا استحوذ عليهم الشيطان»، وفي دعوى الدم على القبيلة الواحدة أو القرية الواحدة تتوزع الأيمان بينهم.

١٠٣ ـ لم تطلب الضيافة إلا بعد الاختلاط بالناس، ولو وقف الضيف بطرف القرية ولم يلق أحداً من أهلها لم يأثموا بعدم الضيافة.

١٠٤ ـ قال هنا ﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ إذ الظاهر منهم الفقر والمسكنة، وقال في آخر القصة ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ٨٢] لمناسبة ذكر الكنز، والكنوز لا تكون غالبا إلا في المدن.

١٠٥ ـ أبهم الله تعيين القرية؛ لئلا يسجل العتاب عليهم إلى الأبد، ولئلا ينسبوا إلى البخل أولهم وآخرهم.

١٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧] فيه أن الضيافة كانت معروفة عندهم، وهي من شريعة إبراهيم عليه السلام، ولعلها عندهم واجبة، ولذلك غضب موسى من تقصيرهم في الواجب، أما حكم



الضيافة في الإسلام فكانت أولاً واجبة إلى ثلاثة أيام ولياليها، ثم رفعت بيوم وليلة، ولما كثر المسلمون رفع الواجب مطلقا وبقي الندب.

١٠٧ ـ كان العرب يفاخرون بكرامة أو إكرام الضيف؛ لكونه من صفاتهم التي فطروا عليها، ولأنها من شريعة أبيهم إبراهيم عليه السلام. ولا يوصف من العرب أحد بمثل ما يوصف به من كرم الضيافة. وأقرهم الإسلام على ذلك ورغب فيها بثواب الآخرة.

١٠٨ ـ يجوز للضيف إذا لم يجد مبيتاً ولا طعاماً أن يأخذ من أهل البلد ما يكفيه، وأن يبيت في بعض بيوتهم التي تتسع له، وهل عليه ضمان ما أخذ أم لا؟، خلاف بين العلماء.

١٠٩ ـ في المدن الكبيرة وحيث توجد الفنادق لا تجب الضيافة، ولا يجوز للطارق أن يزاحم أهلها، وخاصة إن كان قادراً على ما يلزم دفعه لصاحب الفندق أو المقهايه أو المكان الذي يأوي إليه الغرباء.

١١٠ ـ ليس في الإسلام ما يدل على وجوب اتخاذ دورٍ للضيافة لا على الحكومات ولا على الرعية ولكنه يحسن ذلك للتخفيف على المضيف، ولاستكمال راحة الضيف، ولبيت المال أن ينفق على دور الضيافة، وأن يهيءَ لها ما يلزم من الفرش والأثاث والآنية.

١١١ ـ قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧] الجدار الجانب من البناء، وجمعه جدر وجدران، والإرادة مجازية علاقتها المشابهة بمن يريد السقوط، وشبه الجدار بذلك استعارة، ولما فيه من المجاز العقلي.

١١٢ ـ فيه إثبات المعجـزة للخضر ﷺ إن كان نبياً، أو الكرامة إن كان ولياً، حيث ورد أنه مســح بيديه على الجدار فاستقام، وأهل السنة يثبتون الكرامة للأولياء، وهي خرق العادة بكرامة من الله لزيادة الثبوت في العبــادة، ولا تكون لأحد من الناس عل سـبيل التحدي، وقد ثبت حصول الكرامة في القرآن من هذه الآيــة، ومن قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وفي مكان آخر ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

١١٣ـ القريــة التي يكون فيها جماعة من النــاس قلوا أو كثروا لها أحكام المدينة إلا في مسائل معروفة من كتب الفقه، والمدينة هي التي يكون فيها حاكم شــرعي بالفعل أو بالقوة وسوق للتجارة، وفي المصر نهر جارٍ أو مستقى عام فيها للماء.

١١٤ ـ قوله تعالــى: ﴿فِيهَا جِدَارًا﴾ للدلالة على أنه من بيت منفصل، ولو كان من بيوت متصلة بعضها ببعض لقال منها، والظاهر والله أعلم أنه لــو كان متصلاً ببيوت أخرى لأصلحه أهلها خوفــا من ضرره ولكنه كان منفصلا حتى لا يتحمل مسئوليته إلا أهله فساعدهم الخضر على ذلك.

١١٥ ـ لم يطلب الرجــلان إلا حقاً واجباً لهما علــى أهل القرية، وليس في ذلــك دليل على جواز المســألة، بل هي أمــر لا يليق بغير الأنبياء فضلاً عنهم، وقد ورد في ذم المســألة أحاديث كثيرة كقوله ﷺ: «ما تزال المســألة بأحدكم حتى يأتي يوم القيامــة وما في وجهه مزعة لحم» وغير هذا كثير.

١١٦ ـ اختلف في الأجر الذي كان يريده موسى، فقيل الضيافة فقط، وقيل أجرة المثل لمن يقوم بالعمل المطلوب.

١١٧ ـ الإجارة من الشرائع القديمة، وقد ذكرت في القرآن عن يوسف مع عزيز مصر، وعن موسى مع صاحب مدين، وهي والجعالة بمعنى واحد غير أن الإجارة تكون على مدة أو عمل معروفين، والجعالة عكس ذلك، وكل عمل يقوم به الأجير مع فساد شرط من شروط الإجارة يستحق عليه أجرة المثل.

١١٨ ـ قرئ ﴿لَتَخَذْتَ﴾ [الكهف: ٧٧] و«لاتخذت»، والمعنى واحد، والمراد أن لو شئت لأخذت من أهل الجدار الذي رفعته شيئاً ننتفع به ونستعين به على نفقات السفر.

١١٩ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨] في الآية إضافة المصدر إلى ظرف المكان توسعاً، وكررت لفظ «بين» للتأكيد، والمعنى والله أعلم هذا زمان الفرقة بين الشيخ وتلميذه إما لما حصل من تعليم موسى وهو قدر فيه الكفاية، وإما للشرط الذي قطعه على نفسه حين قال ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦].

١٢٠ ـ أفاد الخضر صاحبه موسى بالأسباب التي حملته على ما كان منه مما هو ظاهر في المخالفة ولكنه بإذن من الله وأمر كلف الخضر بتنفيذه، وفي الحديث الشريف عنه ﷺ قال: «رحم الله موسى ليته صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما» أو كما قال.

١٢١ ـ التأويل هو التفسير، أو رد الشيء إلى أصله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وفي آية أخرى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣] والمراد تفسيره أو رجوع الحق إلى الله.

١٢٢ ـ النبأ هو الخبر كما يقول تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١ ـ ٢] وهو فعل ينصب مفعولين أو ثلاثة مفاعيل، وفي الآية مفعول واحد وهو الكاف، والظاهر والله أعلم أن الباء زائدة، وكلمة ﴿تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢] هي المفعول الثاني.

١٢٣ ـ ليس في الآية حط من قدر موسى بل العكس حيث لم يصبر على ما يراه مخالفا للحق في خرق السفينة وقتل الغلام والإنكار على مانع الضيافة الواجبة، لا على تطوع الخضر بإقامة الجدار والله أعلم.

١٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٩] المساكين جمع مسكين، وهو من له مال أو كسب ولا يقع موقعا من كفايته، كمن يحتاج يوميا إلى عشرة دراهم، ويتحصل على تسعة فما دونها، وهو أحسن حالاً من الفقير الذي لا مال ولا كسب له أو يكون له كسب وهو النصف أو أقل مما يحتاج إليه يومياً.

١٢٥ ـ كان النبي ﷺ يكره الفقر ويستعيذ منه، وكثيراً ما يقول: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكينا»؛ لأن الفقر قد يفضي بصاحبه إلى المسألة أو الكسب المحرم، والمسكنة تجعل الإنسان دائماً متعلقاً بربه مستغنياً عن الناس، ولكل من الفقير والمسكين نصيب مفروض من الزكاة.

١٢٦ ـ قرئ بتشديد السين في «مساكين»، والمسَّاك هو العامل في السفينة، ولا يلزم منه وصفٌ بالغنى ولا بالفقر إلا أنه غالباً ما يكون العامل ذا حاجة ومسكنه.

١٢٧ ـ الظاهر من قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ أنه لا عمل لهم غير ذلك، والعمل في البحر بنقل المسافرين من إحدى الضفتين إلى الأخرى، والإصطياد في البحر، وقد يكون عملهم في سفينتهم وحدها، أو في سفن أخرى ببنائها وطلائها وما تحتاج إليه من الحبال والأدقال والشرعان وغيرها، والكل جائز بل هو كسب حلال، والعمال في البحر أقوياء أصحاء، ولحاجاتهم سخرهم الله في حاجات الناس، ومكنهم من العمل بالصبر والصحة والرضا بالمقسوم.

١٢٨ ـ ما أراد الخضر إتلاف السفينة، وإنما أراد أن تكون معيبة لا يرغب أعوان الملك الظالم في تسخيرها كما يسخرون غيرها من السفن السليمة، والذي كان إنما هو قلع لوح من ألواحها، ومن السهل إصلاحه ورده إلى موضعه ريثما تنجو السفينة وأهلها من الظلمة، ولم يقل موسى: «لتتلفها» بل قال: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧١] ظنا منه أن يغرق الناس قبل التمكن من إصلاح السفينة.

١٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] قرئ في الآية «أمامهم» بدلاً من ﴿وَرَآءَهُم﴾، كما قرئ أيضاً بزيادة «صالحة»، والظاهر أن هذه القراءة كانت ألفاظاً من التفسير وليست من التنزيل؛ إذ المراد بالوراء في الآية الأمام والقدام، وبكلمة «صالحة» بيان المطلوب من السفن، فالقراءتان مفسرتان للمعنى.

١٣٠ ـ في الآية بيان لظلم ذلك الملك الذي يأخذ أموال رعيته بغير حق، أو يسخر ممتلكاتهم في مصالحه الخاصة، وطاعة الملوك من هذا النوع ليست بواجبة ولا داخله في قول الرسول ﷺ: «من أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني»؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية، ولو كان عمل الملك جائزاً لأمر الخضر بطاعته أو لأعرض عن الموضوع بتاتاً؛ لأنه غير مكلف بالتبليغ.

١٣١ ـ نصرة المظلوم واجبة قدر المستطاع، وذلك بالأخذ على يد الظالم، أو بالوقوف إلى جانب المظلوم، وهو من الحقوق الستة الواجبة للمسلم على المسلم، وأنواع النصرة كثيرة، ومنها: إيواؤه، والستر عليه، والهرب به، والدفاع عنه، وإيصاله إلى مأمنه، ولكل موقف ما يستحقه.

١٣٢ ـ لا يجوز السكوت على عمل الظالم ولا مناصرته لما ورد من قول النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، وفسر نصرة الظالم بالأخذ على يده، وفي حديث آخر: «إذا هابت أمتي أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم»، ومن كبائر الذنوب الحيلولة بين الظالم ومعاقبته للحديث الصحيح عنه ﷺ: «لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من غَيَّر منار الأرض، ولعن الله من آوى محدثاً» ويريد من نصر ظالماً أو أخفاه عمن يريد معاقبته أو أخذ المظلمة من يده.

١٣٣ ـ لا بأس بإظهار الشيء على خلاف حقيقته إذا كان فيه فعل خير أو تجنب شر كما خرق الخضر السفينة لتجنب شر الملك وأعوانه الظلمة، وكما يجوز أن يلبس الرجل ملابس المرأة أو العكس إذا دعت الحاجة لذلك، وكما قال واصل بن عطاء للخوارج حين سألوه ما أنتم،

فقال: قوم مشــركون، فأوصلوهم إلى طرف المدينة، وقيل له: كيف تقر بالكفر، والإقرار به كفر، قال: طلباً للســلامة واحتجاجاً عليهم بقول الله تعالــى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦] ولو قلت لهم إننا مسلمون لأخذونا وربما قتلونا.

١٣٤ ـ هل يجوز لك أن تفعل الأصلح لغيرك بغير إذنه؟.

تفصيل في المســألة: إن كان لا يترتب على ذلــك ضرر فهو جائز، كبيع الفضولي على الخلاف عند الشافعية، وكرد الأعمى عن قصده بلا خلاف إن كان بين يديه ما يضره، أما إذا كان في الشيء نوع إتلاف فلا يجوز إتلافه إلا بإذن صاحبه كطلاق الزوجــة المضارة، وعتق العبد إذا أراد القتل لئلا يوقع سيده في الضمان.

١٣٥ ـ من كانت له ولاية أو وصاية على امرأة أو صبي أو مجنون فإنه يزوجها بغير إذنها مع مراعاة شروط الإجبار، ويتصرف للصبي بما يعود عليه من المصلحة في ماله كمــا يجب عليه إخراج زكاته ونفقات تعليمه ما لابد له من معرفته.

١٣٦ ـ من وثق الناس بصدقه وأمانته فليس له أن يفعل إلا الأصلح، فإن تعمد الخطــأ لم يصح تصرفه، وإن أخطأ بــلا عمد ولا تقصير فلا ضمان عليه.

قال العلماء: ويجب على الإمام أن يفعل الأصلح لرعيته، والمسألة ذات تفصيل في قواعد الفقه الكلية.

١٣٧ ـ ليس للرجل ولاية على زوجته صغيرة أو كبيرة، سفيهة أو رشيدة إلا بنصب عليها من الحاكم أو بوصية من الولي الشرعي، ومطلقة التصرف لا ولاية للزوج عليها مطلقاً إلا فيما هو من حقه عليها.

١٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٠] قرئ في الشواذ «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين»، وفيه مجاز مرسل علاقته ما يكون وإلا فإن الصغير يتبع أبويه في الدين، وإذا اختلف الأبوان فهو تابع لأشرفهما دينا، ويكون رقيقا في السبي بمجرد أخذه.

١٣٩ ـ حسم المادة وسد الذريعة لخوف الخطر مطلوبة قبل وقوعه، وكذلك فعل الخضر حين خاف من الغلام أن يحمل أبويه المحبَّين له أو أحدهما على الكفر، ومن ذلك حبس اللص الذي يخاف من جريمته حتى تظهر توبته أو يتبين عجزه عن ملابستها، وقد نفى عمر بن الخطاب ﷺ نصر بن حجاج من بلاد إلى بلاد خوفاً على النساء من جماله.

١٤٠ ـ الطغيان غير الكفر، فالأول مجاوزة الحد مطلقاً، والكفر ترك الإسلام، وكان الخضر يخاف على الأبوين أن يجاوزا حدود الله في متابعة الغلام، فيطيعاه في معصية أو يحملهما على الكفر الصُّراح، والخشية معناها الخوف، وليس كما يظن بعض الناس أنها مجرد التفكير في المخاوف، ولو كانت خشية الخضر محمولة على الشك في مستقبل الصبي لما قتله، والحال أنه قد تيقن ذلك كما يفهم من قول الله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢].



١٤١ ـ يظهر أن الخضر كان معروفاً بالخير في زمانه ومكانه. ولا يعترض عليه أحد في تصرفاته؛ ولذلك لا نجد أن الأبوين فعلا معه شيئاً بعد قتل الغلام، وليس في هذا حجة لأدعياء التصوف الذي يخالفون الشرع، ولاينكر عليهم أصحابهم من التلاميذ والمريدين حتى ولو رأوهم يتركون الواجب أو يرتكبون الحرام، ونعوذ بالله من مخالفة أمر الله.

١٤٢ ـ جاء في الحديث الشريف إن هذا الغلام طبع على الكفر، فهل يكون هذا مخالفا لقول الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] أو لما جاء في الصحيح «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، ولا معارضة بين الدليلين إذ المراد بطبعه على الكفر هو ما في علم الله الذي لم يُطْلع عليه إلا أمثال الخضر، أما كونه مولوداً على الفطرة فهو باعتبار ما يظهر للناس من أحوال المواليد.

١٤٣ ـ حكم أولاد المشركين الميتين قبل البلوغ مختلف فيه على ثمانية أقوال يذكرها المفسرون عند قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، والأحاديث متعارضة، وأقواها وأرجحها تفويض الأمر إليه تعالى كما ثبت في النص حين سألوه ﷺ فقال: «الله أعلم بما كانوا صانعين»، ويقال: إنهم في الجنة، ويكفلهم إبراهيم وساره، وأنهم يكونون خدماً لأهل الجنة كما قيل في تفسير الآية ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩] إلا الذين علم الله منهم الكفر، وأنهم لو عاشوا لما آمنوا بكتاب ولا رسول فأولئك من جنس هذا الغلام، وربما دخلوا النار أو أوقفهم الله بين الجنة والنار.

١٤٤ ـ لم تكن إرادة الخضر إلا موافقة لما أعلمه الله من إرادته إبدال الوالدين وتعويضهما خير منه زكاة وطهارة، ويكون أبر بهما، ويكونان أرحم به من أخيه المقتول، وقد فعل، وقيل: إن الله أبدلهما بجارية صالحة، وقيل إن أمه كانت حاملا بغلام آخر وكان كما بشر به الخضر.

١٤٥ ـ ليس التفضيل على بابه في قوله تعالى: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١] إذ لا خير مطلقا في الغلام المقتول، وقد أكرم الله أبويه كما قلنا إما بغلام مؤمن أو بجارية وصارت أما لنبي من أنبياء الله، وهذا مستعمل في العربية شعراً ونثراً، قال حسان بن ثابت لأبي سفيان بن الحارث من قصيدة طويلة يدافع بها عن النبي ﷺ:

فشركما لخيركما فداء

ومعلوم أنه لا شر في رسول الله، ولا خير في أبي سفيان يوم هجاه حسان، والنصب في ﴿زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ على التمييز وهو المفسر للمبهم من الذوات، وذات الغلام الثاني هي أزكى من الأول في الطهارة والمحبة، ولا نظر إلى الصفات التي ربما كانت في الأول ولا ينتفع بها كجمال المنظر وحسن الصوت وأناقة الثياب.

١٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] إلى آخر الآية فيستفاد منها أن العامل يستحق المشروط في الإجارة أو أجرة المثل سواء تعب في العمل أو لم يتعب، إذ العبرة بالكفاءة لا بكثرة الكد والتعب، ولذلك أشار موسى بأخذ



الأجرة لاسيما وهما محتاجان لها، وتنازل الخضر عن حقه ليس إلا رحمة باليتيمين وتنفيذاً لما أراده الله.

١٤٧ ـ كان الحق في الجدار للغلامين متساوياً؛ لأنه واصل إليهم بالوراثة، وهي بينهما على السواء، والمعروف من قولك هذا لزيد ولعمرو مثلا مطلق الاشتراك ولو بالعشر مع تسعة أعشار، إلا إذا دلت القرينة على المساواة، وفي المسألة كلام مبسوط في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، وقولك تصدقت على فلان وفلان لا يلزم منه لكل واحد درهم أو دينار بل قد يكون هذا. وقد يكون لواحد درهم وللآخر دينار.

١٤٨ ـ يظهر من الآية أنه لم يكن لليتيمين وصي ولا ولي يقوم بشؤنهما، فتبرع الخضر بصنيعه معهما، وقد يكون لهما وصي. وللمتطوع أن يفعل الخير مع الأيتام، وما فيه المصلحة لهما ولو بغير إذن من حاكم ولا وصي شريطة أن لا يكون تصرف في الأموال ببيع ولا شراء ولكن في نحو إطعامهم وتعليمهم وخياطة ثيابهم وحلق رؤوسهم ونحو ذلك.

١٤٩ ـ كفالة الأيتام من أموالهم، فإن لم يكن لهم مال فهي على بيت مال المسلمين، فإن لم يكن بيت مال فهي على مياسير المسلمين، وتعتبر ديناً عليهم إذا كان بإذن من الحاكم وشهادة على الإنفاق، ومن كان عنده يتيم وله مال فلا يأكل منه إلا بمقدار ما يستحق من الأجرة ﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [النساء: ٦].

١٥٠ ـ تجب الزكاة في أموال اليتامى إذا تمت شروط الوجوب، وهي عند الحنفية غير واجبة حتى يبلغوا سن التكليف.

١٥١ ـ قوله تعالى: ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ٨٢] وفي الآية السابقة سماها قرية؛ وذلك كما قيل ـ والله أعلم ـ أنه لما ذكر امتناعهم عن الضيافة سماها قرية، ولما ذكر الكنز سماها مدينة، واللائق بأصحاب الكنوز أنهم يسكنون المدن، ولعلها كانت مدينة حين وضع الكنز تحت الجدار، ثم ضعف أمرها وتفرق أهلها حتى أصبحت قرية، وقد يقال للمدينة الكبيرة قرية ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

١٥٢ ـ الكنز هو المال المدفون بوعاء أو بلا وعاء، ولا يحرم في أي شيء إلا في الذهب والفضة إذا لم تود زكاتهما، فإن أديت فلا بأس به، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، ويقول أبو ذر رضي الله عنه: بحرمة الإدخار إلا نفقة اليوم والليلة، وما زاد على ذلك فهو كنز، ورد عليه ابن عمر رضي الله عنهما في أن ما أديت زكاته فليس بكنز قَلَّ أو كثر، وهو ما عليه المسلمون كافة، وقد حَمَّل الناسَ أبو ذر في هذه المسألة فوق طاقتهم.

١٥٣ ـ مقدار ذلك الكنز غير معروف، والظاهر أنه مال كثير، ولم يجد له صاحبه من يحفظه من حاكم ولا وصي ولا وديع، فجعله تحت الجدار، واستودعه الله، ولابد أن يكون قد أعلم به موثوقا به؛ لئلا يضيع أو يجده ظالم فيجحده.

١٥٤ ـ وصف الله صاحب الكنز بأنه كان رجلاً صالحاً، وببركته حفظ الله الكنز للغلامين، وهكذا يقال إن بركة الأجداد تشمل الأحفاد، وكما قدمنا يحتمل أن يكون الكنز للغلامين بالميراث من أمهما، أو أنه دخل في ملكهما بطريقة شرعية أخرى ولكن ذلك الرجل الصالح حفظه لهما، ويقال: إنه كان أباً سابعاً للغلامين والله أعلم.

١٥٥ ـ صلاح الأب فيما بينه وبين الله وما بينه وبين الناس هو الذي حفظ الله به المال حتى أوصله إلى المستحقين؛ لأنه من كسب حلال، وربما أنها قد أديت زكاته، وما هلك مال في بر أو بحر إلا بسبب منع الزكاة، ولو كان من الحرام أو في عينه حق متعلق لآدمي لضاع وتلف، ولكن الله هو الحافظ الذي لا يضيع، والوديع الذي لا يخون.

١٥٦ ـ تعرض هنا مسائل، وهي: حكم الركاز في الإسلام إذا كان من دفائن الجاهلية أو وجد في دار كفر فهو ملك لواجده، وعليه الخمس منه، ويصرفه في مصارف الزكاة بشرط أن يكون ذهباً أو فضة، وغيرهما لا زكاة فيه.

١٥٧ ـ كل مال وجدت فيه علامة تدل على أنه من دفائن المسلمين كتاريخ الضرب مثلا، أو كونه في دار إسلام فلا يجوز تملكه إلا بالشروط المعتبرة في باب اللقطة.

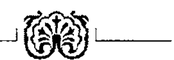
١٥٨ ـ الكنوز التي توجد في المساجد والمدارس والأماكن الموقوفة هي ملك لها، وتصرف في مصالحها إلا إذا علم أن البناء كان بعد الدفن فيجب البحث عن صاحبه، ويجوز تملكه بنية الضمان.

١٥٩ ـ لا يسلم المال إلى اليتيم سواء كان في يد الحاكم أو الولي أو الوصي إلا بعد البلوغ مع الرشد، قال الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ [النساء: ٦] ولذلك يقول الله تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

١٦٠ ـ كان من رحمة الله باليتيمين ومراعاة الصلاح في أبيهما أن حفظ الله لهما المال حتى يحسنا التصرف فيه بعد العثور عليه، ولما خيف عليه من الضياع أوحى الله إلى عبده الخضر عليه السلام أن يقيم عليه الجدار، ويحتمل أنه قد أخبر أحداً من الثقات بهذا الكنز ليعلم به أصحابه حين يريد الله لهما أخذه والإنتفاع به، كما يحتمل أيضا أن يكون السر قد بقي مخفيا حتى اطلع الله عليه بوسيلة أخرى.

١٦١ ـ كشف الخضر لموسى عليه السلام سر تصرفاته في خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار، واعتذر إليه من معاتبته في السؤال قبل أن يحين الجواب عليه، وقال له: إن هذا ليس من قبيل الاجتهاد ولا لصريح المخالفة كلا كلا ولكنه بأمر من الله، والشرائع في ذلك الزمان متعدده، ومثل هذه الأمور لا يصح فيها الاجتهاد، وفي لطف عبارة ودقة إشارة يقول لموسى ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٢].

وإلى هنا تم ما يسر الله جمعه من الأبحاث والمسائل المتعلقة بهذه القصة، وعجائب القرآن لا تفنى، وأسراره لا تنفد، وكل يأخذ من هذا البحر المحيط ما يسر الله له، وفي آخر السورة يقول الله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف: ١٠٩].



وكان الفراغ من الجمع قبل التبييض عشية السبت ٢٥ رجب ١٣٨٢هـ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

انتهت المسائل المستنبطة من قصة الخضر وموسى عليهما السلام



فوائد
عن معجزة القرآن الكريم

فوائد عن معجزة القرآن الكريم ملخصه من رسالة لطيفة تسمى معجزة القرآن تأليف الشيخ محمد متولي الشعراوي (مقارنة بين معجزة الأنبياء ومعجزة القرآن)

أ ـ معجزات الأنبياء معجزات كونية محسوسة تقع مرة واحدة، من رآها فقد آمن بها، ومن لم يرها صارت عنده خبراً إن شاء صدق أو كذب، ولو لم ترد في القرآن لكان ممكناً إنكار حدوثها، أما معجزة القرآن فهي معجزة عقلية خالدة باقية، يستطيع كل واحد أن يقول: محمد رسول الله وهذه معجزته.

ب ـ المعجزات الأخرى فعل من أفعال الله تعالىٰ، وفعل الله تعالىٰ من الممكن أن ينتهي بعد أن يفعله الله تعالىٰ، أما معجزة القرآن فهي صفة من صفات الله تعالىٰ، وهي كلامه، والفعل باقٍ بإبقاء الفاعل، والصفة باقية ببقاء الفاعل نفسه.

جـ ـ كل رسول كانت له معجزة، وله كتاب سماوي كمنهج له، أما الرسول ﷺ فمعجزته هي عين منهجه؛ ليظل المنهج محروساً بالمعجزة وتظل المعجزة في المنهج.

د ـ جرب الله تعالىٰ عباده في الحفاظ على الكتب السماوية

السابقة، فنسوا حظاً مما ذكروا به، وبعضه كتموه، وبعضه حرفوه، أما القرآن الكريم فقد قرر أن يحافظ هو بنفسه على القرآن؛ لأنه معجزة، وكونه معجزة لابد وأن يبقى بهذا النص، وإلا ضاع الإعجاز.

هـ ـ مما يدل على حفظ الله تعالىٰ للقرآن الكريم أننا لو نظرنا إلى ناحيتين: ناحية تطبيق الناس للقرآن والعمل بتعاليمه، وناحية المحافظة على القرآن، فإننا نجد العمل بتعاليم القرآن كلما مر الزمان ضعف، أما ناحية المحافظة على القرآن كلما مر الزمان ازداد وتقوى، ولذا تجد القرآن في كل منزل ومكتب وسيارة، وتتفنن الناس في طبعه وتسجيله على الأشرطة والأسطوانات وغير ذلك من الدول الكافرة، إن ذلك يحدث؛ لأن الله تعالى يريد أن يدلل لنا على أنه يحفظ القرآن مع ابتعادنا عن منهجه وتعاليمه، ولسنا نحن القائمين على منهجه القائمين بحفظه.

إعجاز القرآن

يتجلى بوضوح إعجاز القرآن في أمور كثيرة من أهمها ما يأتي:

أ ـ إخباره بأنباء ماضية لا يعرفها أحد.

ب ـ إخباره بأمور مستقبلة قريبة وبعيدة، مثل غلبة الروم لفارس، والنصر في بدر وغير ذلك.

جـ - إخباره بما يدور في نفوس المؤمنين والكافرين والمنافقين مما لا يطلع عليه أحد.

د - إخباره بذلك وبموت بعض الكفار على الكفر مثل أبي لهب والوليد وغيره.

هـ - عجز هؤلاء الكفار الذين أخبر عنهم بالموت على الكفر عن الدخول إلى الإسلام ولو نفاقاً، وعدم إنكارهم لما أخبر عنهم مما في قلوبهم مع قدرتهم على ذلك ظاهراً، وذلك ليبقى القرآن صحيحاً ليس فيه كذب.

و - إخباره بأمور كثيرة كونية ونباتية وعلمية وغير ذلك.

ز - إخباره بظهور أناس مضلين لا سيما في نظرية خلق الإنسان، وخلق السماوات والمادة والروح وغير ذلك في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف].

حـ - إخباره بخلق الإنسان من التراب، وقد ثبت بالتجربة أن جسم الإنسان مكون من (١٦) عنصراً هي نفس العناصر التي يتكون منها التراب، ومما يدل لصحة ذلك أن أول شيء خروجاً من الجسد هي الروح، وهي آخر ما دخل فيه، ثم تبدأ مراحل عكسية لعملية الخلق يتصلب الجسد، فهذا هو الصلصال، ثم يتعفن فيصبح رمه، هذا هو الحمأ المسنون، ثم يتبخر الماء من الجسد، ويصبح الطين تراباً، ويعود إلى الأرض، فمراحل الإفناء هي عكس مراحل الخلق.

القرآن والعلم الحديث

١ ـ أخبر القرآن بأن موضع الإحساس في الإنسان هو الجلد في قوله ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] بينما كان الناس يعتقدون أنه في الدماغ فقط.

٢ ـ أخبر القرآن بوجود شيء أصغر من الذرة في قوله ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١)﴾ [يونس].

٣ ـ أخبر القرآن بأن للشمس مشارق ومغارب، فهي في كل ثواني تشرق وتغرب عند أمة، كما أنها تنتقل من الجنوب إلى الشمال في موضع شروقها وغروبها، ولم يعرف هذا إلا بعد ظهور الراديو وغيره من الآلات الحديثة، وأخبر القرآن بذلك قبل مدة في قوله ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠)﴾ [المعارج].

٤ ـ أخبر القرآن بظهور المراكب الحديثة للإنسان من السيارات وغيرها في قوله ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)﴾ [النحل].

٥ ـ لم يصرح القرآن ببعض الأمور الحديثة؛ لأنها بالنسبة لأيام نزوله فوق مستوى العقول، وربما أدى التصريح بها إلى كفر بعض المؤمنين، ولكنه ذكرها بالإجمال والرمز والإشارة، ثم جاء العلم الحديث وفصل ذلك؛ ولأنه لا ضرورة إلى تفصيلها.

٦ ـ أما الأحكام الشرعية فقد فصلها التفصيل الكامل، وما كان مجملاً فصله الحديث وكلام العلماء.



تحديات القرآن

لقد تحدى القرآن الناس بأمور كثيرة منها ما يأتي:

١ ـ خلق الذبابة التي هي من أصغر وأحقر المخلوقات.

٢ ـ إنشاء سورة مثل القرآن.

٣ ـ انفراد الله بمعرفة ما في الأرحام وكلمة «ما» تشمل علم الله بكل حقيقة عن المولود من ذكورة وأنوثة، وطول وقصر، ولون، وسعادة وشقاوة، وغير ذلك.

استنتاج كروية الأرض من القرآن

يستنتج من القرآن أن الأرض كروية مما يأتي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾ [الحجر: ١٩] أي: سطحناها، فإن كلمة «مَدَدْنَـٰهَا» مناسبة للعصر الذي نزل فيه القرآن وللعصور القادمة؛ لأنها تؤدي معنى بسطها وكونها كروية.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥] استخدم القرآن كلمة ﴿يُكَوِّرُ﴾ ولم يستعمل كلمة «يبسط أو يغور أو أي لفظ»؛ لأنك تقول: كورت هذا القماش مثلاً أي: جعلته يأخذ شكل الكرة الملفوف حولها، فيصير معنى الآية ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ ﴾ أي: يجعلهما يحيطان بالكرة الأرضية في كل وقت، فإن الله لم يقل «يكور الليل، ثم يكور النهار»،

ولكنه قال: «يكور الليل على النهار» واستخدم كلمة «على» لنتصور مدى انطباقها على كروية الأرض فهماً موجودان في نفس الوقت حولها، وهذا ما تنبأ به القرآن منذ ١٤ قرناً.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ [يس: ٤٠] فقد كان الناس يقولون: إن النهار يسبق الليل يبدأ بشروق الشمس وينتهي بغروبها، ثم يأتي بعده ذلك الليل، فرد الله هذا بهذه الآية التي تفيد بأن النهار لا يسبق الليل، وأن الليل لا يسبق النهار، ولكنهما موجودان دائماً على سطحها، وهذا إعلان لهم بأن الأرض كروية؛ لأنها لو لم تكن كروية وكانت مسطحة فإن الأمر يكون إما أن تكون الشمس مواجهة للأرض المسطحة وفي هذه الحالة يكون النهار أولاً ثم يأتي الليل بعد ذهاب الشمس، وإما أنه خلق الشمس ليست مواجهة لسطح الأرض وفي هذه الحالة يكون الليل موجوداً ثم يأتي النهار، ولكن جاءت هذه الآية ونفت الأسبقية لأي واحد، وأثبتت وجودهما معاً في وقت واحد، وذلك منذ بداية خلق الأرض، ولا يتأتى هذا في عالم الأحجام أبداً إلا إذا كانت الأرض كروية، فحين خلق الله الشمس والأرض وجد الليل والنهار معاً، فنصف الأرض المواجه للشمس صار نهاراً، والنصف الآخر صار ليلاً، ثم دارت الأرض فأصبح الليل نهاراً والنهار ليلاً، وهكذا تدل الآية أن الأرض مخلوقة على هذه الصورة الكروية.



استنتاج دوران الأرض من القرآن

يستنتج ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل] فنستنتج منها تلك الحركة في الدنيا للوجوه الآتية:

١ ـ لا يستطيع أن يعرف الإنسان حركة المتحرك إلا إذا قاسه إلى شيء ثابت ليعرف حركته، ولهذا لما أراد الله إخبارنا بحركة الأرض ودورانها ونحن لا نشعر بها أخبرنا بحركة ما عليها من الجبال ودورانها التي دوراتها تابع للأرض.

٢ ـ قوله ﴿تَحْسَبُهَا﴾ يؤكد أن ذلك في الدنيا؛ لأن الآخرة ليس فيها حسبان، ولكنا نرى فيها الحقائق، ولأن الأرض تبدل غير الأرض والجبال تمور موراً.

٣ ـ لم يقل القرآن مر الرياح أو مر العواصف، ولكن شبه مرورها بمرور السحاب؛ لأن السحاب لا يتحرك بنفسه بل تدفعه قوة ذاتية هي قوة الريح، فتحمله الريح من مكان إلى مكان، وهكذا حركة الجبال ليست حركة ذاتية كحركة الأرض أو حركة الرياح ولكنها تتحرك بحركة الأرض.

٤ ـ لم يقل القرآن وهي تسير أو تجري أو تتحرك ولكنه قال ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ فقد استبعد كل الألفاظ التي تعطي الجبال ذاتية الحركة؛ لأن الذي يتحرك ذاتياً هي الأرض والجبال تتبع هذه الحركة.

٥ ـ السبب في إن الإنسان لا يشعر بحركة الأرض؛ لأن حركة المتحرك لا تعرف إلا إذا قيس إلى شيء ثابت، فراكب السفينة الهادئة لا يشعر بحركتها إلا إذا قاسها إلى جبل ثابت، مثلا في البحر خارج عن السفينة إذا كانت الأرض متحركة بكل ما فيها فلا يستطيع الإنسان قياس حركتها إلى شيء ثابت خارج عنها.

٦ ـ أشار القرآن الكريم إلى حركة الأرض ودورانها إشارة لطيفة لا تصادم العقول المعاصرة إذ ذاك، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وقال في آية أخرى ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، ففي قوله ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ إشارة إلى حركتها ودورانها، فإن المَيَدان المذكور في الآية هو الاضطراب والحركة غير المعتدلة، ولا يضطرب إلا متحرك، فلو لم تكن متحركة لم يخش اضطرابها، فجعلت لها الجبال الراسية مثقلة لها ليتم التوازن والاعتدال في حركتها.

٧ ـ نظرية نيوتن في حركة الأجسام تقول: «الجسم المتماثل في الكثافة حول محور لا يميد ولا يضطرب إذا دار حول ذلك المحور».

ويقول أيضاً: «كل جسم متحرك لا يتغير لا في اتجاهه ولا في مقداره إلا بما يغير ذلك الاتجاه والمقدار من قوة أخرى».

وهاتان النظريتان تنطبق تماماً على حركة الأرض، فلو بنى الإنسان عمارة مثلاً، وزنها عشرين مليون طن مثلاً، فقد أوجد الباني ثِقْلاً في

موضع من الأرض، فلا بد وأن يبقى المكان الذي أخذت منه مواد البناء قد خف ونقص، ولكن يأتي تعويض آخر ويحل محل ذلك، فتكون الأرض وكتلتها في أي قطاع من قطاعاتها مساوٍ للآخر، وهنا ما يسمى «بالقوة الطاردة»، وإلا لولا هذا لسقطت العمارات الطويلة عند حركة الأرض ودورانها، ولكن بسبب ذلك صار دوران الأرض وحركتها يحصل بشكل منتظم، فالزمان المرتب على دورانها لا يتغير ولا يزيد ولا ينقص إلا بنظام.

٨ ـ أشار القرآن الكريم إلى حركة الأرض في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل]، وذلك بعد الإخبار عن هول يوم القيامة في قوله ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾، والحكمة في ذلك أنه بعد ذكر الهول المفزع تكون النفس مهيئة حينئذ للإيمان فذكر لها بعض الآيات والتنبؤات التي تحملها على ذلك، وهو إخباره بحركة الأرض قبل معرفة العلماء لها بقرون متعددة.

فوائد عامة

١ ـ جعل الله رسالة نبيه ﷺ رسالة عامة لكل البشر؛ وذلك لأن الله تعالى علم أن آفات البشر كلها ستصبح آفة واحدة؛ لأن العالم كلما تقدم وازداد اتصاله توحدت الآفات التي يشكو منها، أما قبل رسالة الرسول ﷺ فلا توجد اتصالات بين المجتمعات



البشرية، وكان كل مجتمع بشري يعيش وينتهي دون أن يدري مجتمع بشـري آخر في مكان بعيد عنه؛ لصعوبة الاتصالات وبعد المسافات، وكان لكل مجتمع آفاته الخاصة، فيرسل الله لكل مجتمع رسولاً أو أكثر؛ ليعالج كل رسول آفات مجتمعه.

٢ ـ لا توجد قضية في العالم تمس حياة البشـر إلا وموجود في منهج الله ما يعالج هذه القضية، فإن التشـريعات عند ما تأتي تعالج واقعاً موجوداً في المجتمع.

٣ ـ الدين ليس موضوعه الآخرة فقط بل هو ينظم حركة الإنسـان في الدنيا، أما الآخرة ففيها الجزاء على اتباع الدين أو عدمه.

٤ ـ إن الدين لو اتبعه الناس كما يريده الله فيسـختفي الشقاء من المجتمع، وبعدم إتباعه يوجد الشـقاء والضنك في المعيشة، قـال تعالـى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤]، ومعنى الضنك في المعيشـة ليس اقتصادياً فحسب بل له أسـباب متعددة، فقد يملك الإنسـان أموالاً طائلة ومع ذلك يضيق بحياته؛ وذلك لأن جوانب النفس البشـرية كثيرة قد يشبع المال جانباً منها، وتبقى في الجوانب الأخرى ضيق وشقاء، فقد ينتحر شخص يملك الألوف كما هو الواقع بكثرة في السـويد التي هي أعلا دولة عالمية في نصيب الفرد، وقد تكون للإنسـان جوانب أخرى تسـبب لصاحبها الشقاء أكثر من قلة المال، وقد أوجد الله هذا الشـقاء كشهادة للدين حيث يحدث الله لمن ابتعد عنه داءات وفساد وانحرافات.



٥ ـ إنزال القرآن في ليلة القدر معناه إرادة الحق تبارك وتعالى أن يبرز القرآن من كنزه الذي كان مكنوناً فيه إلى الأرض؛ ليباشر مهمته في الوجود من عالم الغيب إلى عالم الشهادة.

٦ ـ الفرق بين كلمة ﴿مَآ أَدْرَىٰكَ﴾ وكلمة ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ في القرآن الكريم أن كلمة ﴿مَآ أَدْرَىٰكَ﴾ معناها: إن أحداً لم يخبرك بشيء عنها حتى الآن ولكن الله سيدريك الآن، أما كلمة ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فإن معناها: إن هذا الشيء لا يمكن أن يدرك أو يعرف ولكنه من مكنونات الغيب، وأن الله لا يدريك بها.

٧ ـ اختار الله سبحانه وتعالى لتفضيل ليلة القدر ألف شهر؛ وذلك لأن العرب لا تعرف شيئاً من الحساب، وأكبر عدد الألوف المغلقة.

اهـ من الرسالة المذكور باختصار ملخصاً.



فوائد من تفسير الشعراوي المسجل

«**فائدة**» الفرق بين الخوف والغم أن الخوف هو قلق النفس من شيء تعرف مصدره، وأما الغم فهو كآبة النفس من شيء قد لا تعرف مصدره. اهـ.

«**فائدة**» الحكمة من امتناع الرسول ﷺ من القراءة في غار حراء عند ما قال له جبريل: اقرأ، وتكرار الامتناع منه بقوله ثلاث مرات: «ما أنا بقارئ» الرد على الملحدين الآن الذين يزعمون أن القرآن من كلام الرسول ﷺ وإنشائه، فإن جوابه ذلك يدل على شخصيةٍ آمرة قارئه، وشخصيته ممتنعة أمية لا تعرف القراءة، فقال الله له ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق] أي: بتعليم من ربك كما يتكلم الآن المندوبون عن غيرهم من الحكام، فهو يتكلم وكأنه مندوب عن الله وبتعليمه لا بتعليم غيره، وقد أمر الله المؤمن أن يبسمل عند الدخول في أي عمل؛ لأن الله الذي سخر له ذلك العمل، فالزراع مثلاً لا يستطيع أن ينبت الزرع من الأرض، ولكن عليه أن يعمل الأسباب التي في استطاعته حالة كونه ذاكراً لاسم الله ومستعيناً به حيث سخره له ومنتظراً للثواب الذي رتبه على ذلك، فلا يدخل الإنسان إلا وليس له حول ولا قوة، ولكن تسخير الله له، ولو لم يسخره له لما استطاع الإنسان أداء أي عمل، ولا الحصول على النتيجة من أي عمل. اهـ.

«**فائدة**» الله ﷻ خلق في الكون نواميس وقوانين مثل إحراق النار. وتذليل بعض الحيوانات الكبيرة، وتوحش بعضها، وجعل في استطاعة الإنسان إطلاق القانون ولكن لا يستطيع أن يقيده، وأما الحق تعالى فهو يطلق القانون ويقيده، وكل القوانين خاضعة لإرادة الله تعالى، مثال ذلك التسبب في إيجاد الولد بالزواج ولكنها خاضعة لإرادة الله قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا ﴾ [الشورى: ٤٩]، وهكذا إحراق النار وعدم إحراقها لإبراهيم وهكذا. اهـ.

«**فائدة**» شخَّص الله قصة مريم في القرآن تشخصياً كاملاً باسمها واسم أبيها، وكرر الاصطفاء لها مرتين، وذلك يرمز إلى أن هذه القصة لن تكرر، أي: لا تلد امرأة أخرى مثلها بدون أب، وأما القصص التي يمكن أن تتكرر فإنه لم يشخصها تشخيصاً كاملاً مثل قصة أهل الكهف، فإنه لم يذكر أسماءهم ولا اسم مكانهم ولا بلدهم ولازمنهم إشارة إلى أن الذي وقع يمكن وقوعه لأي فتية آمنوا بربهم واتقوا، وهكذا ذو القرنين. اهـ.

«**فائدة**» معنى «ذي بال» أي: شيء يشغل البال والفكر، فهذا هو الذي تسن عنده البسملة، وتوضح أن الشيء الذي يسن عنده البسملة له ثلاث نسب:

١ ـ نسبة ذهنية.

٢ ـ نسبة كلامية.

٣ ـ نسبة خارجية.

ومثال ذلك إذا احتاج الإنســـان مثلاً إلى كأس ماء فإنه يخطر بباله أولاً أنه يريد ماء، فهذه نســـبة ذهنية، ثم يتكلـــم ويأمر غيره أن يأتي له بالماء، فهذه نسبة كلامية، وإذا حضر الماء وشربه، فهذه نسبة خارجية، فكل شيء يمر بهذه النسب يقال له: «ذي بال» فسن عنده البسملة، وأما الذي ليس له تعلق بكل هذه النســـب فلا تســـن عنده البسملة، كما إذا ابتعدت عن مكان خطر مفاجأة، فإن هذا لا يســـبقه تفكيـــر غالباً، وإذا قلت مثلاً: زيد مجتهد فلا علاقة لذلك بالنسبة الذهنية؛ لأنه يحتاج إلى تفكير، ولا علاقة له بالنســـبة الخارجية؛ لأن اجتهاد زيد موجود سواء أخبرت به أم لا، وهكذا، ومثل ذلك الخواطر التي تخطر بالبال. اهـ.

«**فائـــدة**» إذا تكررت في القرآن الكريم آية أو اســـم من أســـماء الله الحســـنى فلا يقال لذلك تكرار ولكن ذلك تأسيسٌ لمعنى جديد يُفْهم ذلك من سياق الآيات، فهو في ظاهره تكرار للّفظ ولكن سياقه يتطلبه من جهة أخرى، فمثـــلاً تكرار لفظ الجلالة في البســـملة والحمد، فهو في البسملة للاستعانة به على فعل الشـــيء، وفي الحمد شكر لله على ما فعله بالعبد وســـخره له وهكذا، فتقول: بســـم الله لما نفعل، والحمد لله على ما فعل لنا حيث ســـخر لنا أشياء كثيرة خارجة عن إرادتنا، مثل إخراج الأرض الزرع، وحلاوة الماء، ولذة الطعام والشراب، وغير ذلك.

والحكمة حيث جعل اسم الرحمن الرحيم بعد لفظ الجلالة أن العبد إذا أراد فعل الشيء وبسمل مستعيناً بالله عليه ربما يكون عاصياً مذنبا فالله تعالى أراد أن يزيل هذه الوحشـــة الحاصلة بين العبد المذنب وربه، وقال له: فاعبدني وإن كنت مذنباً، فاستعن بي وباسمي فإني رحمن رحيم. اهـ.



«**فائدة**» ذكر الله اسمه الرحمن الرحيم في البسملة والحمدلة، فأما حكمة ذكرهما في البسملة فقد تقدم، وأما السر في ذكرهما في الحمدلة فهو أن الإنسان إذا حمد الله على ما فعل وسخر له، فيلاحظ مذاقاً آخر، وهو أن الله زاد في صيغة الحمد قوله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لا توجد في البسملة، لأن الحمد هنا على ما فعل لنا، وقد فعل الله وسخر لنا الأشياء التي نحمده عليها؛ لأجل تربيتنا، لأن ذلك إيجاد من عدم، وإمداد من عُدْم، والتربية كما نعلم تعني السيادة، والسيادة تعني السيطرة والملكية، وبما أنه قد يتوهم من كلمة رب السيطرة والملكية والقسوة عليه كما نعهده فيمن نربيه، فنقسوا عليه أحياناً لينزجر، قال أبو تمام:

فَقَسا لِتَزدَجِروا وَمَن يَكُ حازِماً   فَلْيَقْسُ أَحياناً وَحيناً يَرحَمُ

ولما أراد الله أن يزيل من نفس العبد ربوبيته ليس فيها قسوة ولكنها فيها رحمة ورحمانية ورحيمية؛ لأجل هذا زاد في صيغة الحمد لعباده اسميه الرحمن الرحيم. اهـ.

«**فائدة**» قول علماء التوحيد: «أفعال الله لا تعلل» معناها لا تعلل بعلة تعود عليه أي: على الله بالفائدة؛ لأن ذلك مستحيل، ولكنها تعلل بعلة تعود على غيره بفائدة، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] فجعل العبادة علة لخلق الناس تعود بالفائدة لهم لا عليه، فالفائدة للمأمور بالعبادة لا للآمر، والله مع ذلك قادر أن يقهر العباد على عبادته بالقوة، ولكنه ما أراد ذلك، ولكنه خلق للناس اختيارا ليعبده من أراد باختياره، ويكفر به من أراد. اهـ.

«**فائدة**» هناك فرق بين كلمة «عبد» من العبادة و«عبد» من العبودية، فأما العبودية فكل الناس عبيد الله، فيجري عليهم أشياء لا قدرة لهم على دفعها، يستوي في ذلك مؤمنهم وكافرهم، وصغيرهم وكبيرهم، وأما العبادة فجعل للإنسان اختياراً فيها، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، إن الله لغني عن العالمين. اهـ.

«**فائدة**» الفرق بين العبيد والعباد، أن العبيد متساوون فيما يقهرون عليه، ولكن العباد أوجد الله فيهم الاختيار، فتجد هذا اختار الطاعة، وآخر اختار المعصية، فالشخص الذي يتنازل عن اختياره في الحركة لمراد ربه في التكليف فهذا يعتبر من العباد، أي: أنه حقق معنى كلمة «عباد»، ومن لا فلا، فجميع الناس عبيد، والعباد من هم؟ هم الطائعون؛ ولذا قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] إلى آخر الآيات، فنحن بالنسبة للأشياء التي نقهر عليها في حركات الحياة علينا أو فينا فكلنا عبيد، ولكن فيما لنا فيه اختيار يتنازل عن اختياره لمراد ربه في التكليف فهؤلاء هم العباد. اهـ.

«**فائدة**» أمر الله العباد أن يخضعوا لإله واحد، ولو أمروا بالخضوع لبعضهم البعض لتعبوا كثيراً، وتعدد المخضوع لهم، ولكن أمر الله العبد أن يترك العباد كلهم ويرجع إلى الله، فإنه ليس عليه حارس، ولا يحدد الوقت لمقابلته، ولا المكان ولا الزمان، ولا يغيره أحد، بخلاف العباد في جميع ذلك، «فإن الله لا يمل حتى تملوا» كما في الحديث. اهـ.

«**فائدة**» الحكمة في التعبير في سورة الفاتحة بنون الجمع في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بدلاً عن أعبد مع إنه هو المفروض؛ لأن القاري للفاتحة



واحد، فيكفيه أن يقول أعبد، والجواب: عن ذلك أنه لمصلحة العبد؛ لأن العباد في عبودية الطاعة متفاوتون من كل وجه، ومتفاوتون في القبول أيضاً، بين مقبول كامل، ونصف مقبول، وأقل، ولا بشيء، فإذا حشر الإنسان نفسه مع شخص مقبول قُبِل معه، فهو يعلمنا ـ وإن كنا مقصرين ـ أن نحتال للحصول على الربح والقبول، فإذا رأيت إنساناً أكثر منك عبادة فلا تغار منه؛ لأنك ربما داخل في بركته، وقبلت بسببه، كما يستفيد القاري أيضاً فائدة أخرى، وهي أنه لو قرأ أعبد وأستعين واستجيب له فهبه أنه سيكون عابداً ومستعيناً، فإن حركة الحياة ستصحح منه بالنسبة لغيره فقط، فيستفيد في الدنيا من ذلك غيره، وهو أيضاً سيستفيد، ولكنه سيشقى بضلال غيره، فإذا كان هو مهدي وغيره إذا كان مهدي مثله سيستفيد من هدايته، ولكن غيره إذا كان غير مهدي فإنه سيشقى بضلاله، وإن كانوا سينعمون بهدايتك ولكنك تشقى وتتعب بسبب أنهم غير مهديين، لذلك أمرنا أن نطلب العبادة والاستعانة لنا ولغيرنا؛ لأن الهداية إذا وجدت لك ولغيرك ارتحت في دنياك وآخرتك، وارتاح غيرك أيضاً، وأما إذا لم توجد عند غيرك فإن الغير سيستفيد من هدايتك ولكنك ستتعب معهم في الدنيا بضلالهم وفسادهم. اهـ.

«**فائدة**» في تخصيص الله بالعبادة المستفاد من قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تقرير لمبدأ ما عليه الوجود من طغيان القوي على الضعيف، فأراد الحق تعالى أن يعدنا إعداداً لمواجهة ذلك فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وأمرنا أن نخضع لقوي واحد فقط، وهو الحق تبارك وتعالى. اهـ.

«**فائدة**» المعركة في الحيادة بين الحق والباطل لا تطول؛ لأن الباطل ينهزم أمام الحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] لأن المبطل إذا تعرض للخطر أثناء معركته مع الحق فإنه ينسحب، أما المحق فإنه يثبت غالباً وإن تعرض للخطر؛ لأنه يعرف أنه سينال الثواب والجنة سواء غَلب أو غُلب، وتحصل المعركة أيضاً بين باطلين، وهذه قد تطول، أما المعركة بين حقين فلا توجد أبداً؛ لأن الحق لا يكون إلا واحداً، وصاحب الباطل المدافع عن الباطل هو يقاتل عن الباطل وحريص على الحياة، أما المدافع عن الحق فهو حريص على الشهادة، ولذا فهو ينتقد؛ لأنه لا يبالي بالخطر. اهـ.

«**فائدة**» قيل: إن فاتحة الكتاب نزلت مرتين، أولاً بمكة، وكان فيها صراع العقيدة، ونزلت في المدينة، وكان فيها صراع التكليف. اهـ.

«**فائدة**» الحكمة في وجود المتشابه في القرآن اختبار المؤمنين حتى يؤمنوا به ويسلموا تسليماً، وإن لم يعرفوا معناه ولم تدركه عقولهم؛ لأن لكل واحدة من الحواس الخمس حدوداً في إدراكاتها، فكذلك العقل له حد في فهمه، والمتشابه من القرآن هو فوق ذلك. اهـ.

«**فائدة**» كانت العرب تعتقد أن لكل شاعر شيطاناً، وأن للجن وادياً يسمى عبقر، وتنسب إليه كل شيء عجيب، فيقولون إذا نبغ شخص فوق العادة: هذا عبقري وهكذا، ولذلك تحدى الله بالقرآن الأنس والجن حسب اعتقاد العرب في ملازمة الشياطين للشعراء، فتحداهم أن يأتوا بمثله، ثم بعشر سور، ثم بعشر آيات، ثم بآية، فعجزوا في جميع ذلك. اهـ.

«**فائدة**» حسب بعضهم القافات الموجودة في سورة «ق» فوجدها تنقسم على حروف الفاتحة، أي: تسعة عشر حرفاً، ووجدها أكثر من بقية الحروف في العدد، كما وجد أن الله ذكر قوم لوط في القرآن يعبر عنهم بقوله ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ إلا في سورة «ق» فقد عبر عنهم بقوله ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ فلو عبر بـ«قوم» لزاد قاف، ولم تنقسم عدد القافات حينئذ على حروف الفاتحة. والله اعلم بأسرار كتابه، كما وجد كلمة الربا كلها مكتوبة بالواو إلا في قوله ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ﴾ فقد كتبت بالألف، ومن ذلك كله تعرف أن القرآن وصل إلينا كما أنزل وكما قرأه الرسول ﷺ. اهـ.

«فائدة» مما يدل على أن أسماء الحروف شيء، ومسمياتها شيء آخر قول الشاعر:

لَقَد كُنتُ أَرجو أَن تَكونَ مُواصِلي فَأَسقَيتَني بِالبُعدِ فاتِحَةَ الرَعدِ

يعني قوله تعالى: ﴿الٓمٓر﴾ فنطق بمسميات حروفها فصارت (المر) عكس الحلو، فالقرآن نطق بالأسماء للحروف، والشاعر أراد مسميات الحروف. اهـ.

«**فائدة**» قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فقد نفى عنه الرمي، ثم أثبته، ولا يعد هذا تناقضاً؛ لانفكاك الجهة بين المثبت والمنفي؛ لأن المنفي هو إيصال حفنة التراب المرمية إلى أعين الكفار، والمثبت هو الرمي الشكلي الذي حصل منه ﷺ، ومثل ذلك في القرآن ظاهره التناقض، وليس فيه تناقض؛ لانفكاك الجهة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]



أي: لا تقدر على إيصال الهداية لقلب أحد، وقال له ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] أي: تدل الناس على الصراط المستقيم. اهـ.

«**فائدة**» قال تعالى في القرآن ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] ولم يقل (هادي)؛ لأن هدى أبلغ من هادي، كقولك: رجل عدل أبلغ من قولك رجل عادل، ووجه كونه أبلغ أن الصفة قد تنفك عن الموصوف في قولك هادي وعادل، أما في قولك: هدى وعدل فلا تنفك عنه أبدا؛ لأن الموصوف قد امتزج بالصفة حتى صارت كأنه هو. اهـ.

«**فائدة**» مثال موقف الإنسان من قضاء الله وقدره كشخص ضل عن الطريق، فوجد شرطي المرور، فسأله، فدله على الطريق، ثم إن السائل إذا كان احترم الشرطي وشكره، فإنه سيساعده ويخبره بما في الطريق من صعوبات، وربما يحتاج إلى زاد فيعطيه ذلك، وأما إذا لم يشكره، فإنه لن يعينه على ذلك، وهكذا الناس مع ربهم، فإن الله قد دلهم على الطريق، فمن شكر الله وأطاعه رزقه المعونة والتوفيق وسهل له الطاعة، ومن لم يشكر أو لم يصدق من هداه ودله على الطريق فإنه يعيش في الضلال. اهـ.

«**فائدة**» قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠] فيكف طلب طمأنينة القلب مع إن الإيمان هو عين الطمأنينة للقلب بالشيء الذي غاب عنا، هل يعني هذا أن الإيمان بذلك كان عند إبراهيم غير موجود؟.

والجواب عن ذلك: إن إبراهيم لم يطلب من الله أن يريه إحياء الموتى ليؤمن، فهذا يؤمن به، وهو القدر الواجب من الإيمان، ولكنه طلب من الله كيفية إحيائه للموتى، والكيفية بالشيء قدر زائد على الإيمان بالشيء، لا دخل له في الإيمان، فمثال ذلك: أنت تؤمن بأن هذا القصر لفلان، ولكنك تريد أن تعرف كيف بُنِيَ هذا القصر، وهكذا سيدنا إبراهيم طلب من الله أن يريه كيفية إحيائه للموتى، فلا تناقض حينئذ بين قوله ﴿بَلَىٰ﴾ يعني آمنت وبين قوله ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ فهو طلب الاطمئنان لكيفية إحيائه للموتى، لا لمجرد إيمانه بكونه يحيي الموتى، والله أعلم.

ثم انظر إلى قدرة الله، فهو قادر أن يعدي من قدرته إلى خلقه ليفعل بها ما شاء، كما قال لإبراهيم في قصة إحيائه للموتى للطير ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

أما المخلوق فإنه لا يقدر على ذلك، ولكنه يقدر أن يعدي من أثر قدرته إلى المخلوق الضعيف مع بقاء القدرة نفسها عنده من غير أن يفعل بها الضعيف ما أراد، كما إذا عجز الشخص الضعيف عن حمل شيء ثقيل، فجاء شخص قوي، وحمل له تلك الحجرة، فهو عَدَّى أثر قدرته لنفع غيره، ولكنه لم يقدر أن يجعل الضعيف قادراً على حمل ذلك، فيعدي نفس قدرته إلى غيره؛ لأن ذلك من اختصاص الحق تبارك وتعالى. اهـ.

«**فائدة**» لا يوجد في التوراة ذكر شيء عن الإيمان باليوم الآخر. اهـ.

«**فائدة**» مما يدل على أن المُؤَمِّن على الدعاء شريك في الدعاء قوله

تعالى لسيدنا موســـى عندما دعا على فرعون ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩] مع أن الداعي كان واحداً وهو موسى فقط، ولكن كان هاورن يُؤَمِّن على دعاء موسى، فنسب الدعاء لهما معاً. اهـ.

«**فائدة**» كان زواج الرســول ﷺ من ســيدتنا خديجة وهي في سن أربعين ســنة، فالحكمة من ذلك هو أن الرســول ﷺ سيمر بعد زواجه وبعد البعثة بفترة مــن الزمن صعبة جداً، يحتاج فيهــا إلى امرأة كبيرة في السن عاقلة، كأنها والدة تهدي روعه، وتدخل عليه السرور كما هو معروف مما وقع له بعد البعثة وعند نــزول الوحي، وأذية قريش وغير ذلك، فلو كانــت المرأة التي في عقده عند تلــك الحوادث صغيرة في الســن لم تثبت في تلك الحالــة، وما كانت معينة لــه على ما حصل، وهكذا عَلِم الله ذلك، فاختار له المرأة المناسبة. اهـ.

«**فائــدة**» الحكمة في أن النفــاق لم يظهر في مكــة، وإنما ظهر في المدينة؛ لأن الإنسان لا يحتاج غالباً إلى النفاق إلا مع الشخص القوي، وقد كان الإسلام والمســلمون في مكة ضعفاء، فلما هاجروا واكتسبوا قوة أمــام أعدائهم ظهر النفــاق عند المنافقين حينئذ، وهكذا الإنســان لا ينافق (بكسر الفاء) إلا أمام القوي، أما الضعيف فلا يحتاج معه إلى نفاق. اهـ.

«**فائدة**» في الحروف المقطعة أوائل الســور حكماً وأســراراً كثيرة، فمــن ذلك: إثبــات أمية النبــي ﷺ أي: أن الرســول ﷺ أمــي لا يقرأ ولا يكتب، فهو لا يعــرف من الحروف الهجائية إلا مســمياتها، وليس



له معرفة بأسماء الحروف، فإذا نطق الرسول ﷺ باسم الحروف كقوله في أول البقرة ﴿الٓمٓ﴾ وينطقها ساكنة، ويفرق بين ﴿الٓمٓ﴾ في أول البقرة وبين ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ في أول سورة الإنشراح مع أن صورة الكتاب واحدة، يدل على أن هذه الكلمات كلها والقرآن كله توقيفي من الله يقول الرسول ﷺ بلسانه ما سمعه من الحق بأذنه ﷺ. اهـ.

«**فائدة**» الغيب الذي يجب الإيمان به هو ما غاب عنك وعن نظرائك وغاب عن الحس، وهناك خواص معلومة وهناك أمور باطنة وإحساسات لم يعرف العلماء حقيقتها، أما الأشياء الذي يعلمها الإنسان من غيره أو الأشياء التي علمها نظراؤك أو الأشياء التي أوجدها الله في الكون، ثم علمها الناس بمقدمات وحساب، فلا يقال: في علم ذلك أنه من الغيب، مثل: الاكتشافات الحديثة، ومعرفة حال الطقس، والإخبار بالرياح والزلزال والأمطار، فهذا لا يقال فيه غيب؛ لأن له مقدمات وحسابات يعرفها من تعلمها، والله اعلم فالنتيجة وإن لم تكن معلومة ولكنها وليدة شيء معلوم.

«**فائدة**» في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] حيث لم يقل: «ومما ملكوا» في ذلك إشارة إلى أن المزكي يجب أن لا يأنف من العطاء لغيره؛ لأنه معطى من الله ذلك المال، فلا يأنف أن يكون معطي، وقد عبر في أول القرآن بقوله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، ولم يأتِ بكلمة الزكاة؛ لأن الإنفاق يشمل الزكاة والنفقة والصدقة والهدية، وغير ذلك من الواجب وغيره، وقد جمعت هذه الآية في أول البقرة كل شيء؛ حيث اشتملت على العبادات العقائدية بقوله ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ وعلى العبادات القالبية الجسمية بقوله ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وعلى العبادات المالية



لنمو الأعصاب والأجسام بقوله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وهذا يدخل في جميع الحركة في إطار الكون؛ لأن كل فرد وأسـرة وأمة وجميع العالم يسيره شيء واحد، وهو الإنتاج والاستهلاك، والمراد بالرزق كل ما ينفع من المال والعافية والقوة والعلم وغير ذلك. اهـ.

«**فائدة**» الفرق بين الإعلام والإنذار والإشعار، أن الإعلام هو إخبار الغير بأمر غير مخوف، والإنذار إخبار بأمر مخوف، وهناك فترة بين الخبر ووقوع الخطر يستطيع بها تلافي الوقوع في الخطر والابتعاد عنه، وأما الإشعار فهو الإخبار بمخوف مع عدم الفرصة للفرار منه، كأن أخبره به بعد أو مع وقوعه فيه. اهـ.

«**فائدة**» إذا تصفحنا الآيات القرآنية التي ذكر الله فيها السمع والبصر نجد دائماً أمرين، وهما:

أ ـ إنه يذكر السمع بالمفرد ويذكر الأبصار بالجمع.

ب ـ إنه دائماً يقدم السمع على البصر في الذكر إلا في آية واحدة في ذكر الآخرة قدم فيها البصر على السمع وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، فأما السبب في ذكر السمع بالإفراد والبصر بالجمع هو أن البصر يستطيع الإنسان تغميض عينيه حتى لا يرى، فتكون الناس بسبب ذلك هذا يرى وهذا لا يرى، أما السمع فلا يمكن أن يختلف فيه أحد، فلا يستطيع الإنسان أن يصم أذنيه إلا بوضع شيء في الأذنين.

فالحاصل: إن السمع لا يمكن أن يختلف الناس، أما البصر فممكن الاختلاف فيه هذا يرى وهذا لا يرى.

وأما السبب في تقديم السمع على البصر أن السمع هو أول حاسة يدرك بها الإنسان بعد خروجه من بطن أمه، أما البصر فإنه لا يدرك به الطفل إلا بعد عشرة أيام تقريباً، فلو جئت بأصابعك أمام عينيه فإن جفن عينيه لا يتحرك؛ لأنه لم يشاهد شيئاً، والغالب أن البكم يسبقه صمم، فما صار أبكم إلا لأنه أصم، فمنافذ الإدارك العلمي في الإنسان ثلاثة: الأفئدة والسمع والبصر، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل] فذكر مدارك العلم، ولما أراد الله أن يُنِيْمَ أهل الكهف ثلثمائة سنة وتسع سنوات ضرب الله على آذانهم حتى لا يزعجهم ما يحصل في الكهف وحواليه من صياح، وما يحصل من الرعد والأمطار، وبسبب ذلك ناموا هذه المدة من غير أن تظهر عليهم آثار الشيخوخة والهرم، ولهذا ظنوا أنهم مكثوا يوماً أو بعض يوم كما ذكر القرآن ذلك، فلو أن الله لم يضرب على آذانهم لم يمكن شيء من ذلك. اهـ. **الفوائد المنقولة من تفسير الشعراوي المسجل.**



فوائد
منوعة من علوم القرآن

«**فائدة**» المتقي هو الممتثل للأوامر والمجتنب للنواهي، ويمكن أن تقول أنه الذي جمع بين العمل القلبي والبدني والمالي، وإلى ذلك أشار تعالى بقوله ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ثم أشار للعمل القلبي بقوله ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، وإلى البدني بقوله ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وإلى المالي بقوله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾. اهـ.

«**فائدة**» قال بعض العلماء: إن الأصل في الطلاق الحَضْرُ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]، وجاء رجل إلى سيدنا عمر بن الخطاب يستشير في طلاق امرأته، فقال له سيدنا عمر: لم تريد أن تطلقها؟، قال له: إني لا أحبها، قال له: ويحك أَوَ كل البيوت بُنِيت على الحب، فأين الذمة والوفاء، أين الرحمة والشفقة.

وذهب أبو أيوب إلى الرسول ﷺ يستأذنه في طلاق زوجته، فقال له: «إن في طلاق أم أيوب حوبا» أي: إثما. اهـ. من محاضرة مسجلة للغزالي الجديد.

«**فائدة**» قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] القراءة المشهورة ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ بالصاد، وتجوز القراءة فيها بحروف الصفير الثلاثة: الصاد والزاي والسين وكلها قراءات سبعية، وأشهرها الصاد، وهو حسي ومعنوي، فالأول هو الجسر الذي يمد على متن جهنم، أما المعنوي



فهو طريق الرشاد، وهو الذي نسأل الله أن يهدينا إليه كلما قرأنا سورة الفاتحة، والأول في الآخرة، والثاني في الدنيا. اهـ.

«**فائدة**» المذكور في أول السور نصف الحروف الهجائية وهي: «أ، ح، ر، س، ص، ط، ع، ق، ل، م، ن، هـ، ي».

ويقال: إن هذا الكون وجود وعدم، فالوجود سبع سماوات وسبع أرضين، ويقال: الأيام سبعة والليالي سبع، ويقال أيضا: إن عمود الظهر من الإنسان مكون من أربعة عشر فقرة، ويقال: إن الحروف أيضا تعد منها ١٤ قمرية و١٤ شمسية، وإذا قسمت منازل القمر قسمين كان كل منها ١٤. اهـ.

«**فائدة**» من التفسير الحديث المناسب لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] إنها محطات الإذاعة، ولقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾... الآية [الأعراف: ٥٠] إن هذا يُمَثِّلُهُ التلفزيون، فإنك تسمع النداء وترى المنادي وبينك وبينه مسافات طويلة. اهـ.

«لطيفة» أراد رجل أن يقرأ قوله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ﴾ أول الأعراف فقرأ أولاً: أ، ثم لام، ثم أل، ثم ألم، ثم أَلْمَصْ، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ﴾ كباب، وصار يقرأ أَلْمَصْ كباب، فقال رجل: أخرج يا أخي ومص الكباب خارج المسجد.

«**فائدة**» الدليل على أن أولاد سيدتنا فاطمة الزهراء أولاد النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾... الآية [آل عمران: ٦١]، وقد صح أنه دعا فاطمة والحسن

والحسين مع أنهما أولاد فاطمة وسماهم أولاده ﷺ، ولذلك أدلة كثيرة تطلب من مضانها. اهـ.

«فائدة» ذكر ابن القيم عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢] هذه الفائدة فقال: اختلف هل الظهار إنشاء تحريم أو إخبار، والصحيح أنه يتضمن إنشاءً وإخباراً، فهو إنشاء من حيث قصد التحريم بهذا اللفظ، وإخبار من حيث تشبيهها بهذا اللفظ بظهر أمه، ولهذا جعله الله منكراً من القول وزورا، فهو منكر باعتبار الإنشاء، وزور باعتبار الإخبار. اهـ من كتاب التفسير القيم لابن القيم (ص٤٨٧ وما بعدها).

«فائدة» ذكر ابن القيم عند قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥] هذه الفائدة فقال: يندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب هي:

١ ـ التعوذ بالله من شره والتحصن به.

٢ ـ التوكل على الله.

٣ ـ الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيراً في دفع البلاء والعين وشر الحاسد.

٤ ـ فراغ القلب من الاشتغال به.

٥ ـ تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه.

٦ ـ الإحسان إلى الحاسد، وهذا من أصعب الأسباب.



٧ ـ تجريد التوحيد وتفويض الأمر إلى الله، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧]، وفي الحديث: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك».

٨ ـ الصبر على عدوه.

٩ ـ تجريد التوبة إلى الله من الذنوب؛ لأنها سبب الشر.

١٠ ـ الإقبال على الله والإخلاص له. اهـ باختصار من كتاب التفسير القيم لابن القيم (ص٥٨٥ وما بعدها)، وقد نظمتها بقولي:

يدفع ضر حاسد بعشره	تعوذ توكل وصدقه
فراغ قلب ثم تقوى الله	إحسان تفويض أمره لله
صبر وتوبة من الذنوب	إخلاصه لعالم الغيوب

«فائدة» درجات ضرر الشيطان للإنسان المؤمن على هذا الترتيب:

١ ـ الكفر.

٢ ـ فإن عجز فالبدعة.

٣ ـ إن عجز فالكبائر.

٤ ـ إن عجز فالصغائر.

٥ ـ إن عجز فالمباحات التي تضيع الأوقات.

٦ ـ إن عجز فيشغله بالمفضول عن الفاضل.

٧ ـ إن عجز فيسلط عليه أعوانه وحزبه من الإنس والجن حتى يبقى مشغولاً بهم. حفظنا الله من جميع ذلك آمين. اهـ من كتاب التفسير القيم لابن القيم (ص٦١٣).

«**فائدة**» أول من صنف في علوم القرآن علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي المتوفي عام (٣٣٠هـ) صنف كتاباً سماه «البرهان في علوم القرآن» يقع في ثلاثين مجلدا، موجود منه من غير الأول خمسة عشر مجلدا في دار الكتب المصرية غير مرتبة ولا متعاقبة. اهـ من كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن (ص٣٥) للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني.

«**فائدة**» عرف أفلاطون العبقرية بأنها حالة إلهية مُوَلِّودة للإلهامات العلوية للبشر، وقال الفلاسفة: إنها حالة علوية لا شأن للعقل بها، ويقول الطبيعيون: إنها هبة من الطبيعة نفسها لا تحصلها دراسة ولا يوجدها تفكير. اهـ من كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن (ص٧١).

«**فائدة**» عدد اللهجات في كلمة (أف) في القرآن الكريم سبعة وثلاثين لغة. اهـ من كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن (ص١٥٧).

«**فائدة**» ملخص عن المقري أبو عمر بن العلاء:

أ ـ كان من الطبقة الرابعة من التابعين، روى عن أنس بن مالك، نشأ بالبصرة، ومات بالكوفة عام (١٥٤هـ)، واختار في قراءته التخفيف والتسهيل ما وجد إلى ذلك سبيلا، وأطبق الناس على قراءته، وكانوا يشبهونها بقراءة ابن مسعود.

ب ـ قال معمر بن المثنى: كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية وأيام العرب والشعر، وقال للأعمش بعد أن اعترض عليه: لقد حفظت من علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها.

جـ ـ روى الحديث عن أكثر من خمسين شيخا، ولم يختلف في اسم ما اختلف في اسمه على ثلاثين قولاً، وسبب ذلك أنه لشدة هيبته لم يتجرأ أحد على سؤاله عن اسمه، ومن أسمائه: العريان؛ لشدة فقره، وقيل: عيينة، وقيل: فائد، وقيل: حميد، والصحيح أن اسمه أبو عمرو بن العلاء، وكان الحجاج طلب والده العلاء، فخرج مع أبيه العلاء إلى اليمن، فبينما هم في الصحراء إذا رجل ينشد:

رُبَّما تكره النُّفوس من الأمـ ... ـرِ لَه فَرَجَةٌ كَحَلِّ العِقَال

فقيل: ما الخبر؟، قال: مات الحجاج، قال أبو عمرو: فأنا بقوله «فَرَجَةٌ» بفتح الفاء أشد فرحاً مني بموت الحجاج، فقال أبي: هذا والله الرغبة في طلب العلم. اهـ ملخصا من كتاب جمال القراء وكمال الأقراء للشيخ أبي الحسن علي بن محمد السخاوي.

«**فائدة**» يقال للملائكة جِنَّة؛ لاجتنانهم، أي: استتارهم عن الأبصار، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ [الصافات: ١٥٨] أي: الملائكة، ومن ذلك الجن لاستتارهم عنا، ومنه الجنون لاجتنان عقل صاحبه، أي: استتاره. اهـ.



«**فائدة**» من عادة العرب أن تستكفي بذكر الساحة عن القوم، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾ [الصافات: ١٧٧]. اهـ.

«**فائدة**» إعراب ﴿صٓ﴾ [ص: ١] بالضم على أنه خبر لمحذوف على أنه اسم السورة، أي: هذه ﴿صٓ﴾، ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث، والفتح على أنه مفعول لفعل محذوف تقديره اقرأ ونحوه، أو مبني على الفتح كأين وكيف، والأول أقرب، والكسر بغير تنوين للتخلص من التقاء الساكنين، والتنوين مجرور بحرف قسم محذوف، وصرف بالنظر إلى اللفظ. اهـ صاوي ص٣٥٠.

«**فائدة**» يطلق المناص على المنجى والمفر والتقدم والتأخر. اهـ.

«**فائدة**» يقال لكتاب الحفظة الذي يكتبون فيه أعمال بني آدم «قط» من قط الشيء، سمى بذلك؛ لأنه مقطوط، أي: مقطوع؛ لأن صحيفة الأعمال قطعة ورق مقطوعة من غيرها. اهـ.

«**فائدة**» ورد أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل. اهـ.

«**فائدة**» يستثنى من الذين لا يصعقون من النفخة الأولى في الصور سيدنا موسى عليه السلام، فإنه لا يغشى عليه بل يبقي متيقظا ثابتا؛ لأنه صعق في الدنيا في قصة الجبل فلا يصعق مرة أخرى. اهـ صاوي ص٣٧٩ج٣.

«**فائدة**» لفظة «لا جرم» في الأصل بمعنى لا بد، وقد تحول إلى معنى القسم. اهـ.

«أبيات» قال القائل:

يا أَيُّهـا الرَجُـلُ المُعَلِّـمُ غَيرَهُ ... هَـلا لِنَفسِـكَ كانَ ذا التَعليـمُ

تَصِفُ الدَّواءَ لِذي السِّقامِ وَذي الضَّنا ... كيمـا يَصِـحّ بِـهِ وَأَنتَ سَـقيمُ

فابدأ بِنَفسِـكَ فانهَها عَـن غَيِّها ... فَـإِذا أنتَهَـت عَنهُ فأنـتَ حَكيمُ

فَهُناكَ يُسْـمَعُ ما تَقولُ وَيُشْتَفَى ... بِالقَـولِ منـك وَينفَـعُ التعليمُ

لا تَنـهَ عَن خُلُـقٍ وَتأتـيَ مِثلَهُ ... عـارٌ عَلَيـكَ إِذا فعلـتَ عَظيمُ

«**فائدة**» الحميم يطلق على الماء الحـار، وعلى القريب الذي تهتم لأمره، ويطلق علـى القريب الصديق، والولي هـو القريب. اهـ صاوي رابع ص٢٦.

«**فائدة**» الفرق بين الكِم «بكسـر الكاف» والكُم «بضمها» أن الأول: اسـم لما يغطى الثمرة من النـوار والزهر، ويجمع علـى أكمام وأكمه وكمام، وأما الثاني: فهو اسـم لما تُغطى به اليـد من القميص، وجمعه أكمام. اهـ صاوي ص٢٩.

«**فائدة**» ضابـط الكثرة من الذكر في حق العامـة «٣٠٠»، وفي حق المريدين «١٢٠٠٠»، وفي حق العارفيـن عدم خطور الغير في قلوبهم، ومنه قول ابن الفارض:

ولو خطَرَت لي في سِـواكِ إرادةٌ ... على خاطري يَوْماً حَكَمْتُ بِرِدَّتِي

«بيت» قال القائل:

الصَّبْـرُ كالصَّبِرِ مر فـي مذاقته ... لكـن عواقبه أحلي من العسـل

«بيت» قال القائل:

وإذا تذللت الرقاب تواضعا   منا إليك فعزها في ذلها

«فائدة» اعلم أن في النواة أربعة أشياء يضرب بها المثل في القلة:

الفتيل: وهو ما في شق النواة.

القطمير: وهو اللفافة التي على النواة.

النقير: هو ما في ظهرها.

التفروق: هو ما بين القمع والنواة. اهـ صاوي ج٣ص٣١٠.

«**فائدة**» معنى يحيق: يحيط.

«**فائدة**» قيل إن جماعة ينكرون تأويل الكتاب العزيز، وكان رئيسهم أعمى، فجاءوا إلى أحد العلماء، وهو الشيخ عبدالله زيدان، فتكلم رئيسهم مع الشيخ، وقال له: نِعم الشيخ أنت لولا أنك تؤول القرآن، فقال له: نعم أُأَوِّلُهُ وإلا فلو لم نؤوله لكنت أعمى في الآخرة بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٢]، فلو أبقينا هذه الآية على ظاهرها لكنت أنت من المعنيين بها، قال: لقد ألقمتني حجراً. اهـ.

«فائدة» نظم بعضهم الأشياء التي أجمعت عليها الملل، فقال:

قد أجمع الأنبياء والرسل قاطبة   عن الديانات بالتوحيد في الملل

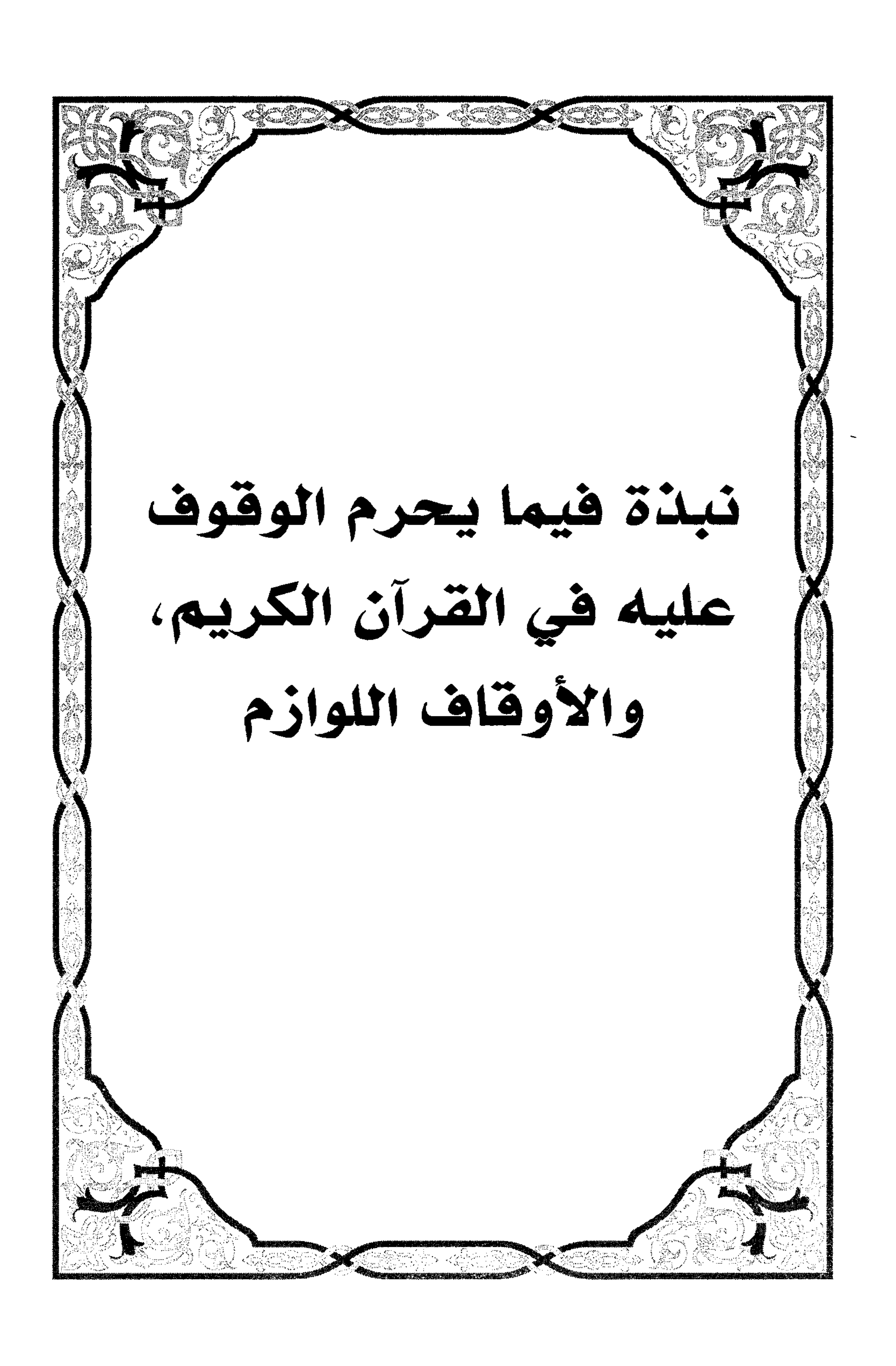
وحفظ نفس ومال معهما نسب   وحفظ عقل وعرض غير مُبتَذَلِ



«بيتان» قال القائل:

أَكَلتُ الضِبابَ فَما عِفتُها ... وكنت اشتهيت قَديد الغَنَمْ

وَرَكَّبتُ زُبداً عَلى تَمرَةٍ ... فَنِعمَ الطَعامُ وَنِعمَ الأَدَمْ



نبذة فيما يحرم الوقوف عليه في القرآن الكريم، والأوقاف اللوازم

اعلم أسعدك الله أن في القرآن الكريم «١٦» موضعا لا يجوز الوقف عليه، بل قد يكفر متعمد الوقف على بعضهن، سواء كان في الصلاة أو خارجها:

«**الأول**»: أن يقف على قولــه تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ﴾ [البقــرة: ١٧] ثم يبدأ بقوله ﴿بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧].

«**الثاني**»: أن يقف على قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

«**الثالــث**»: أن يقف على قوله تعالــى: ﴿فَبَعَثَ﴾ [المائــدة: ٣١] ثم يبدأ بقوله ﴿ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣١].

«**الرابع**»: أن يقف على قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ [المائدة: ٦٤] ثم يبدأ بقوله ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

«**الخامس**»: أن يقف علــى قوله تعالــى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ [المائدة: ٧٣] ثم يبدأ بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

«**الســادس**»: أن يقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا﴾ [المائــدة: ٨٤] ثم يبدأ بقوله ﴿لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٨٤].

«**السابع**»: أن يقف على قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ [التوبة: ٣٠] ثم يبدأ بقوله ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

«**الثامن**»: أن يقف على قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى﴾ [التوبة: ٣٠] ثم يبدأ بقوله ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

«**التاسع**»: أن يقف على قوله تعالى: ﴿لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨] ثم يبدأ بقوله ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩].

«**العاشر**»: أن يقف على قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ثم يبدأ بقوله ﴿إِنِّى كَفَرْتُ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

«**الحادي عشر**»: أن يقف على قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن﴾ [الإسراء: ١١١] ثم يبدأ بقوله ﴿لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١].

«**الثاني عشر**»: أن يقف على قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ثم يبدأ بقوله ﴿ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

«**الثالث عشر**»: أن يقف على قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٥٢] ثم يبدأ بقوله ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ [الصافات: ١٥٣].

«**الرابع عشر**»: أن يقف على قوله تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾ [الغاشية: ٢٤] ثم يبدأ بقوله ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ [الغاشية: ٢٤].

«**الخامس عشر**»: أن يقف على قوله تعالى: ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢] ثم يبدأ بقوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ٣].

«**السادس عشر**»: أن يقف على قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤] ثم يبدأ بقوله ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥].



والأوقاف النبوية اللوازم «١٨» موضعاً:

«**الأول**»: في البقرة ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [١٤٨].

«**الثاني**»: ﴿يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧].

«**الثالث**»: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

«**الرابع**»: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [المائدة: ٤٨].

«**الخامس**»: ﴿مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦].

«**السادس**»: ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

«**السابع**»: ﴿أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [يونس: ٢].

«**الثامن**»: ﴿قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣].

«**التاسع**»: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨].

«**العاشر**»: ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾ [النمل: ١٠].

«**الحادي عشر**»: ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡ﴾ [القصص: ٣١].

«**الثاني عشر**»: ﴿أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٦].

«**الثالث عشر**»: ﴿مِن مَّرۡقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢].

«**الرابع عشر**»: ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٤].

«**الخامس عشر**»: ﴿فَحَشَرَ﴾ [النازعات: ٢٣].



«**السادس عشر**»: ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

«**السابع عشر**»: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].

«**الثامن عشر**»: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣]. **انتهت والله أعلم، قد تلقى ما** ذكر الوالد علي بن عبدالرحمن الحبشـــي عن الإمام بجامع شبام سابقا المعلم سديس.



نقاط مفيدة
تتعلق بالقرآن الكريم



١ ـ نسبة المكي إلى المدني = ٣٠/١٩.

٢ ـ أول آية نزلت منه قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] إلى قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥] في شهر رمضان بغار حراء، ليلة القدر، السابع والعشرين من رمضان، كما رجحه ابن إسحاق مستدلا بقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ [الأنفال: ٤١].

٣ ـ مجموع سور القرآن «١١٤» سورة.

٤ ـ عدد آياته عند المكيين «٦٢١٩» آية، وعند الكوفيين «٦٢٣٦» آية، وعند البصريين «٦٢٠٤» آية، وعند أهل الشام «٦٢٢٦» آية أو «٦٢٢٥» آية، وسبب الخلاف في الآيات الخلاف في بعض مواضع الوقف.

٥ ـ عدد كلمات القرآن في قول عطاء بن يسار «٧٧٤٣٩» كلمة.

٦ ـ عدد حروف القرآن فيما رواه سلام أبو محمد الحماني «٣٤٠٧٤٠»، وذلك عند ما أمر الحجاج بعَدِّ حروفه، قال الحماني: وأنا ممن عَدَّ حروفه.

٧ ـ نصف القرآن ينتهي في الفاء في سورة الكهف من قوله تعالى: ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ [١٩].



٨ ـ أثلاث القرآن: الثلث الأول ينتهي على رأس مائة آية من براءة، والثاني على رأس مائة آية وواحدة من طسم الشعراء، والثلث الثالث ما بقي من القرآن.

٩ ـ أسباع القرآن:

١ ـ إلى سورة النساء إلى نهاية قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ [النساء: ٥٥].

٢ ـ إلى نهاية قوله تعالى في الأعراف ﴿حَبِطَتْ﴾ [الأعراف: ١٤٧].

٣ ـ إلى نهاية قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا﴾ [الرعد: ٣٥] من قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

٤ ـ إلى نهاية قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج: ٦٧] في الألف من ﴿جَعَلْنَا﴾ [الحج: ٦٧].

٥ ـ إلى نهاية قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٦ ـ إلى الواو من قوله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦] ما بقي من القرآن.

١٠ ـ أرباع القرآن:

١ ـ إلى خاتمة الأنعام.

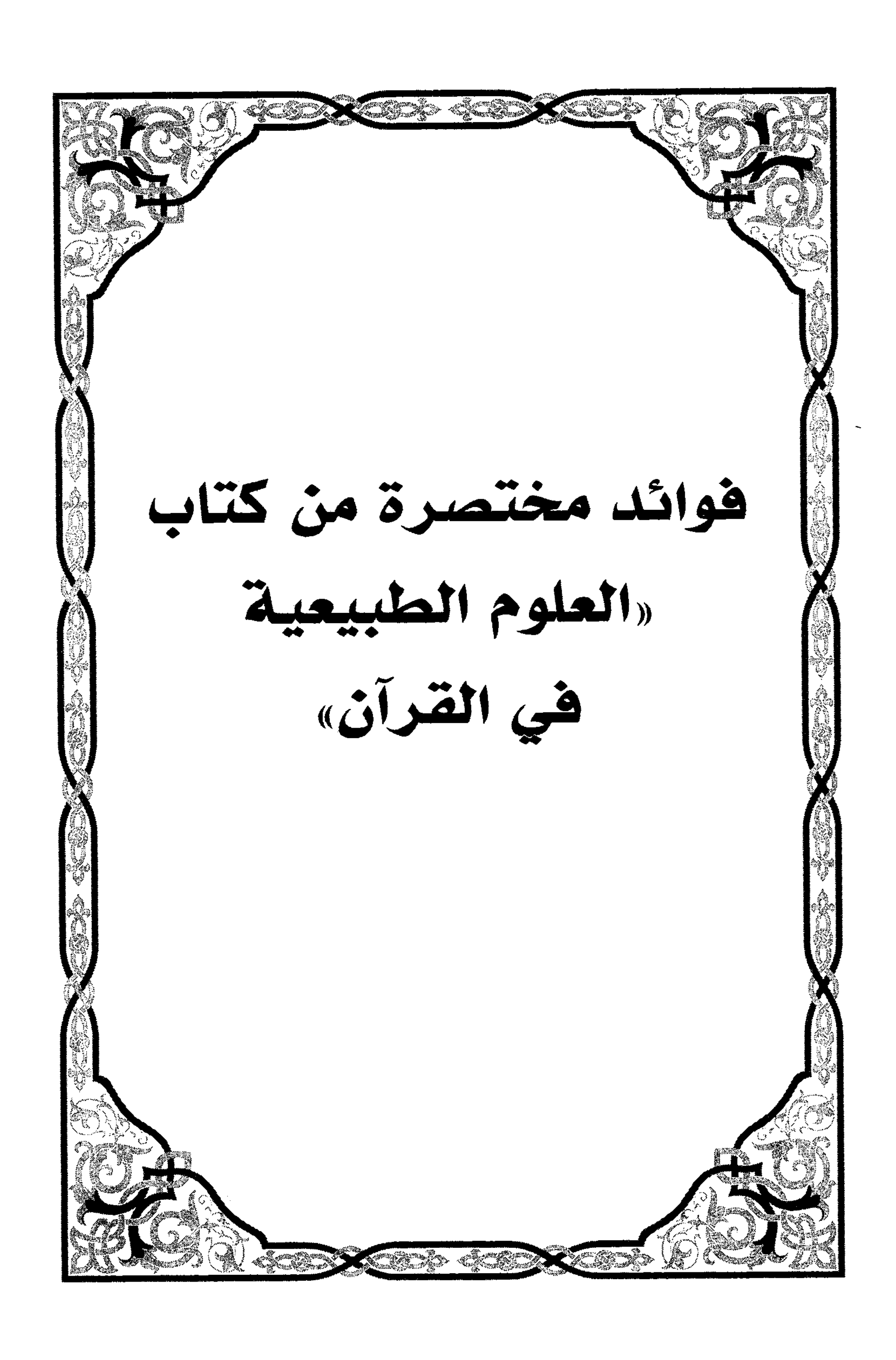
٢ ـ في الكهف.



٣ ـ خاتمة الزمر.

٤ ـ ما بقي من القرآن.

وقد ضبط هـذه كلها لجنة من العلماء بأمـر الحجاج، فضبطوه في أربعة أشـهر، منهم سـلام أبو محمد الحماني. اهـ. ملخصاً من كتاب البيان لأبي عمر الداني، وقد ذكر فيه خلافاً طويل لا سـيما في الجملة الأخيرة فانظره.



فوائد مختصرة من كتاب «العلوم الطبيعية في القرآن»

منشورات مروه العلمية تأليف يوسف مروه

١ ـ المجهر الكهربائي يكبر الأجسـام الصغيرة إلى ما يقرب من ثلاثين ألف ضعف، وبذلك استطاع الإنسان أن يميز الكائنات التي لا يزيد قطرها على جزء واحد من أربعين ألف جزء من السنتيمتر، فتمكن من رؤية ما لا يرى من جراثيم وغيرها.

٢ ـ تعتبـر ذرة الهيدروجين وحدة للقيـاس، ويبلغ وزنها «١,٦٦» جزء من مليون مليار مليار جزء من الغرام.

٣ ـ وجد العلماء أن الفضـاء الخارجي مشـحون بقوى وطاقات هائلة من الـذرات المؤينـة المعروفة علميا باسـم البلازما، وكشـف عن حزام هائل من الإشـعاعات الخطيرة شواظ من نار ونحاس يحيـط بالكـرة الأرضية على طبقتيـن، وعرف علمياً باسـم حزام «فان ـ إلن»، وهذه الإشعاعات تتألف من إلكترونيـات ويوزيترونات مشـحونة تتحرك بسـرعة هائلة، وهذا مصـداق قوله تعالـى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣٥) ﴾ [الرحمن].



٤ ـ يرتدي الرائد الفضائي لباساً خاصاً ثقيلاً بحيث يعادل وزن كل سنتيمتر مربع منه كيلوغراماً على الأقل وذلك كي يتعادل ضغط الدم والغازات التي داخل الجسم مع الضغط الخارجي وإلا لنفجر جسم الرائد كما ينفجر البالون إذا نفخناه أكثر من اللازم أو قربناه من مصدر حراري.

٥ ـ لم يكتشف العلماء إلى الآن جسيماً يتحرك بسرعة أكثر من سرعة النور والأجسام الالكترونية تتحرك بسرعة (٠,٨) من سرعة النور.

٦ ـ استكشف بريبل أشعة غير منظورة إذا سلطت على إنسان أو حيوان أو حمار جعلته يختفي عن الأنظار.

٧ ـ كشف بعض علماء الحشرات الألمان الباحثين عن أن بعض العناكب تنسج خيوطاً دقيقة جداً إذ أنها تنسج بيتها من خيوط كل خيط منها مؤلف من أربعة خيوط أدق منه وكل واحد من هذه الخيوط الأربعة مؤلف من ألف خيط وكل واحد من الألف يخرج من قناة خاصة في جسم العنكبوت وهذا يعني أن كل خيط ينقسم إلى ٤ × ٦٠٠٠ = ٢٤٠٠٠ خيط، وذكر بعض الباحثين الألمان في هذا الميدان أنه إذا ضم أربعة ملاين خيط إلى بعضها لم تكن أغلظ من شعرة واحدة من شعر لحيته مع العلم أن متوسط قطر شعرة اللحية لا تتجاوز (٠,١) مليمتر وبذلك فإن قطر مقطع الخيط الذي تنسجه العنكبوت يساوي (١) على (٤٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠)



من المليتمـــر، وإن الكيفية التي خلق الله بها العنكبوت ألف ثقب يخرج منها ألـــف خيط في آن واحد حيث يخـــرج الخيط الدقيق فيجتمع كل ألف خيـــط في خيط أغلظ، ومـــن الخيوط الجديدة يجتمع كل أربعة سوية لتشكيل خيط أكبر وهكذا تتجمع الخيوط لتنشأ مســـكناً ومصيدة للعنكبوت لتدعو العاقل والعالم والمؤمن إلى التفكير في عظمة الخالق.

٨ ـ أثبت البحث العلمي أن في الجسم البشري شبكة كهربائية لا مثيل لها ففي الأذن مائة ألف خليه ســـمعية وفي العيـــن مائة وثلاثون مليون من الخلايا وكل جســـم يتحرك بســـرعة النور (٣٠٠ ألف) كيلومتر فـــي الثانية يختفي عن الأنظار ولا يمكن للعين البشـــرية مراقبته بأي نوع من أنواع الأجهزة.

٩ ـ توجد في القـــرآن (٧٦٠) آية تبحث في شـــتى المواضيع العلمية موزعه كما يأتي:

م	اسم العلم	عدد الآيات	م	اسم العلم	عدد الآيات
١	الرياضيات	٦١ آية	٢	الفيزياء	٦٤ آية
٣	الذرة	٥ آيات	٤	الكيمياء	٩ آيات
٥	النسبة	٦٢ آية	٦	الفلك	١٠٠ آية
٧	المناخيات	٢٠ آية	٨	المائيات	١٤ آية
٩	علم الفضاء	١١ آية	١٠	علم الحيوان	١٢ آية
١١	علم الزراعة	٢١ آية	١٢	علم الأحياء	٣٦ آية



م	اسم العلم	عدد الآيات	م	اسم العلم	عدد الآيات
١٣	الجغرافية العامة	٧٣ آية	١٤	علم السلالات البشرية	١٠ آيات
١٥	علم طبقات الأرض	٢٠ آية	١٦	علم الكون وتاريخ الأحداث الكونية	٣٦ آية
١٧	وصف العلم والعلماء والحث على طلب العلم	٦٤ آية			



بعض آيات الفيزياء:

١ ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾... الآية [البقرة: ١٤٤].

آيات تدل على فناء المادة:

١ ـ قولــه تعالــى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المؤمنون].

٢ ـ قولــه تعالــى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه].

بعض آيات تدل على الكهربائي المغناطيسي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس].

٢ ـ قوله تعالــى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الإسراء].

٣ ـ قولــه تعالــى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت].



بعض آيات تدل على التلفزه:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [قٓ].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾... الآية [فصلت: ٥٣].

بعض آيات تدل على الانفجارات النووية:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [الدخان: ١٠].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ ﴾ [المرسلات: ٨].

آية تدل على الصاروخ:

قوله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ ﴾ [الانشقاق: ١٩].

بعض آيات تدل على الكيمياء:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ [سبأ: ١٣].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٠].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

بعض آيات تدل على قوانين الاتحاد الكيميائي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر].



بعض آيات تدل على الصفات الكيمائية:

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الفرقان].

بعض آيات الجاذبية:

١ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر].

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج: ٦٥].

٣ - قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [لقمان: ١٠].

حركة الأرض:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل].

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان]

٣ - قوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس].

طبقات الأرض:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [فاطر].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ ﴾ [الزلزلة].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء].

المناخيات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر].

الغلاف الجوي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ ﴾ [الطارق].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ ﴾ [الطارق].

الضغط الجوي:

قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الأنعام].

الجغرافيا:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) ﴾ [الذاريات].

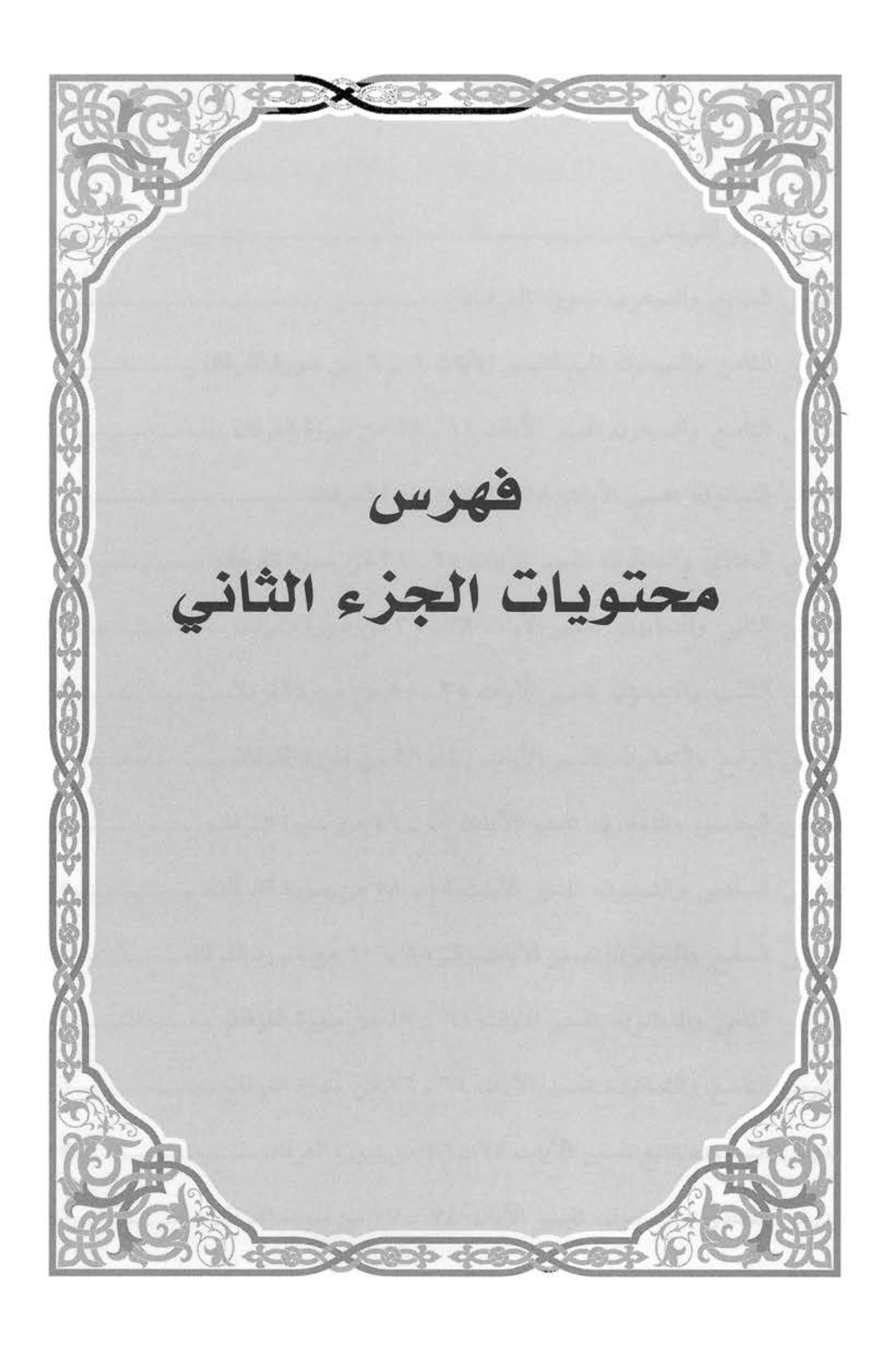
٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣) ﴾ [النور].

النسبة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) ﴾ [المرسلات]... إلخ.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) ﴾ [النمل].

وبذلك انتهى الجزء الثاني من السفينة المذكورة ويليه الجزء الثالث في الحديث



فهرس
محتويات الجزء الثاني







